الوابل الصيب
ورافع الكلم الطيب

تأليف

الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية
(٦٩١ - ٧٥١)

الوابل الصيب
ورافع الكلم الطيب

تأليف

الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية
(٦٩١ - ٧٥١)

اعتنى به

خالد بن عبد الله الكندري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله الذي أَرسلَ رسولَهُ بالـهُدى ودِين الحقِّ؛ ليُـظْهِرَهُ على الدِّين كلِّه، وكفى بالله شهيدًا، وصلى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا مَزيدًا.

وبعد:

فإِنَّ ذِكـرَ الله عَزَّوَجَلَّ مِن أَجَلِّ القُربات والطاعات، وأعظم ما صُرِفَت فيه الأوقات، وبه يَرتَفِعُ العبد إلى أعالي الدرجات، وهو خيرُ مُعينٍ للثَّبات على الصَّالحات، فعَن عبد الله بن بُسْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا قال: يا رسولَ الله إِنَّ شرائعَ الإِسلام قد كَـثُرت عليَّ فأَخبِرني بشَيءٍ أَتشَبَّثُ به، قال: «**لا يزالُ لِسَانُكَ رَطبًا بذِكرِ الله**».

وقد حَرِصَ أهلُ العِلمِ قَديمًا وحَديثًا واعَتَنوا بجَمعِ الأَذكارِ الـمَأثورَةِ بالكتاب والسنة، وبَيانِ فَضْلِها، وعَظيمِ مَنزِلَتِها، ليحافِظَ المؤمنُ عليها، ويَعمُـرَ حياته باللَّهج بها، وكان من أجلِّ تِلْكُم المصنَّفاتِ ما جمعَهُ العلامة ابن قيِّم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الوابل الصَّيِّب»، فإِنَّه عَمدَ إلى كتاب شيخه -شيخ الإِسلام ابن تيمية- رَحِمَهُ اللَّهُ «الكلم الطيب»، فأضاف إليه مقدِّمات عظيمة النفع في بيان فضل الذِّكر والذَّاكرين، وأوردَ قواعدَ بالغة الأهمية في فقه الأذكار والدَّعوات، ثمَّ أَعْقَبها بذِكر الفصول التي أوردها شيخ الإِسلام في «الكلم الطيب»، فزادَ في تهذيبها وتَتمِيمها، وأَبدعَ في تكميلها وتَنقيحها، حتى اكتمَل جمال هذا العقد، وزاد ارتفاعُ شأنِ هذا التَّصنيف باجتماعِهِ مع أصلِـهِ، وتحقَّقَتْ فيه تسميةُ مصنِّفه: «**الوابل الصيِّب ورافع الكلم الطيب**».

ونظراً لأهمية هذا الكتاب ونَفعِهِ، وحاجة القلوب لِغيثِ فوائده ودُرَرِهِ، ولرغبَـةِ أَحَدِ المحسنين الفُضلاء -جزاه الله خيرًا- بإعادة طبعهِ وتوزيعهِ توزيعًا خَيريًّا، في حَجمٍ لطيفٍ، خالٍ من إِطالة المُقدِّمات والحواشي= استعنتُ الله تعالى وأجمعتُ أَمري وهِـمَّتي لِخدمتِهِ والـعَمل عليه.

وتَمَثَّلت هذه العِناية بالآتي:

* ضبطتُ النصَّ وصَحَّحتُـهُ، بمُقابلتِهِ على طبعةِ عالم الفوائد، بتحقيق الشيخ/ عبد الرحمن بن حسن بن قائد -وفقه الله-، فإنها أفضل طبعات الكتاب، واعتمدَ مُحقِّقُها في إثبات النصِّ على أربع نُسخٍ خَطيَّة، وبذلَ جُهدًا مشكورًا في تخريج الأحاديث، والتعليق على النصِّ، وقد نفعني الله بها كثيرًا، فجزاه الله خيرًا وبارك في علمه وعمله.

* شَرحتُ ما يردُ في النصِّ من كلماتٍ غريبة شرحًا مُختصرًا؛ وعلَّقت على بعض المواضع التي قد يُفهمُ منها خلاف مَعناها، تيسيرًا ونُصحًا للقارئ.

* قَصَرتُ تعليقي على ما لم يَثبت من الأحاديث فقط -وهي قليلة بالنِّسبة لعددِ أحاديث الكتاب-؛ بِذكري لأبرزِ علَّةٍ في إسنادها بأوجزِ عبارة؛ طلَبًا للاختصار.

* اعتَنَيتُ بضبطِ الكلمات الـمُشكِلةِ والـمُحتَمِلةِ في عامَّة الكتاب، لاسيما الحركات الإعرابية أواخر الكلمات؛ لأنَّ فهمَ معنى العبارَةِ فرعٌ عن إعرابها، كما اعتنَيتُ بعلامات التَّرقيم؛ فإن ذلكَ يقرِّب الـمُراد من النصِّ، ويُعينُ على تصوُّر المسائل.

وأسأله الله تعالى أن يجزيَ الإمام ابنَ القَيِّم خيرَ الجزاء على ما بذلَ من جُهودٍ مُبارَكةٍ في خِدمة دينِ الله عَزَّوَجَلَّ ونُصحٍ للمسلمين، وأن يُعليَ درجَتَـهُ في جنَّات النَّعيم، كما أسألُهُ عَزَّوَجَلَّ أن يجزيَ بالخَيرات كُلَّ مَن شارك في إخراجِ هذا العمل بتوجيهٍ أو مُراجعة(١).

وصلى الله على نَبيِّنا وإمامِنا وقُرَّةِ أَعيُنِنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحابته، وسلم تسليمًا كثيرًا مزيدًا إلى يوم الدين

وكَتَبَهُ

خالد بن عبد الله الكندري

(١) وأخُصُّ بالشُّكر الجزيل كلًّا مِن الأخوين الحميمَين الفاضلين: فهد بن سالم الطويل، ومحمد بن فاضل الراشد لجهودهما في مراجعة النص وتصحيحهِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهُ ﷻ المسؤول المرجوُّ الإجابة أن يتوَلَّاكم في الدنيا والآخرة، وأن يُسبغَ عليكم نعمَهُ ظاهرةً وباطِنةً، وأن يجعلَكُم ممَّن إذا أَنْعَمَ الله عليه شَكَرَ، وإذا ابتُلِي صَبَر، وإذا أَذنبَ استَغفرَ، فإنَّ هذه الأمورَ الثلاثةَ هي عنوانُ سعادةِ العبدِ، وعلامةُ فلاحِهِ في دُنياه وأُخراه، ولا ينفكُّ عبدٌ عنها أبدًا، فإنَّ العبدَ دائمًا يَتقلَّبُ بين هذه الأَطباق الثلاث:

نِعَمٌ من الله تعالى تترادفُ عليه، فَقَيْدُها الشكرُ؛ وهو مبنيٌّ على ثلاثة أركان: الاعترافُ بها باطنًا، والتحدُّث بها ظاهرًا، وتَصريفُها في مَرضاة وَليِّها ومُسْدِيها ومُعْطِيها، فإذا فعل ذلك فقد شَكَرها مع تقصيرِهِ في شُكرها.

الثاني: مِحَنٌ من الله تعالى يَبتَليهِ بها، ففَرْضُهُ فيها الصَّبرُ والتَّسليمُ.

والصبر: حَبسُ النفسِ عن التَسَخُّط بالمَقْدور، وحَبسُ اللِّسان عن الشكوى، وحَبسُ الجوارح عن المعصيةِ، كاللَّطم، وشَقِّ الثياب، ونَتْفِ الشعر، ونحوِ ذلك، فمَدَارُ الصَّبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قامَ بها العبدُ كما ينبغي انقَلَبتْ المِحْنةُ في حَقِّهِ مِنْحَةً، واستَحَالتْ البَلِيَّةُ عَطِيةً، وصار المَكروهُ محبوبًا، فإنَّ اللهَ ﷻ لم يَبْتَلِهِ ليُهْلِكَه، وإنما ابتلاه ليَمتَحِنَ صبرَه وعبوديَّتَهُ، فإنَّ لله تعالى على العبدِ عبوديَّةً في الضرَّاء، كما له عليه عبوديَّة في السرَّاء، وله عليه عبوديَّة فيما يكره، كما له عبوديَّة فيما يُحِبُّ، وأكثر الخلق يُعْطُون العبوديَّة فيما يحبون، والشأنُ في إعطاء العبوديَّة في المكاره، فبِه تفاوتَتْ مَراتبُ العِباد، وبِحسبِهِ كانت منازلهم عند الله تعالى.

فالوضوءُ بالماء البارد في شدة الحَرِّ عبودية، ومُباشرةُ زوجتِهِ الحَسْناء التي يُحِبُّها عبودية، ونَفَقتُهُ عليها وعلى نفسِهِ وعِيالِهِ عبودية، **هذا** والوضوءُ بالماء البارد في شدة البرد عبودية، وتركُ المعصية التي اشتدَّت دواعي نفسه إليها من غَير خَوفٍ من الناس عبودية، ونَفَقتُهُ في الضرَّاءِ عبودية، **ولكن فَرْقٌ عظيمٌ بين العبودِيَّتَيْن**.

فمن كان عبداً لله في الحالَين، قائمـًا بحقِّهِ في المَكروه والمَحبوب، فذلك الذي يتناوله قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾، وفي القراءة الأخرى: ﴿عِبَادَهُۥ﴾، وهما سواء؛ لأنَّ المفردَ مضافٌ، فيَعُمُّ عمومَ الجَمْعِ.

فالكِفايةُ التامَّةُ مع العبوديةِ التامَّةِ، والناقصةُ مع الناقصة، فمَن وَجَدَ خيراً فليَحْمدِ الله، ومن وجَدَ غيرَ ذلك فلا يَلومنَّ إلا نفسَهُ.

وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوِّهِ عليهم سلطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾، ولمَّا عَلِمَ عدوُّ الله إبليس أنَّ الله تعالى لا يُسْلِمُ عبادَهُ إليه، ولا يُسَلِّطُهُ عليهم قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾، فلم يجعلْ لِعَدوِّهِ سلطانًا على عباده المؤمنين، فإنهم في حِرْزِه وكلاءَتِه وحِفظِه وتحتَ كَنَفِه، وإن اغتال عدوُّهُ أحدَهُم كما يَغْتال اللِّصُّ الرجلَ الغافلَ فهذا لا بُدَّ منه؛ لأنَّ العبدَ قد بُلِيَ بالغفلة والشهوة والغضب، ودخولُهُ على العبدِ من هذه الأبوابِ الثلاثة، ولو احتَرَزَ العبدُ ما احتَرَزَ فلا بدَّ له من غفلة، ولا بدَّ له من شهوة، ولا بدَّ له من غضبٍ، وقد كان آدم أبو البشر ﷺ من أَحْلَم الخَلْق، وأرجَحِهم عقلًا، وأثبتهم، ومعَ هذا فلم يزلْ به عدوُّ الله حتى أوقَعَه فيما أوقَعَهُ فيه، فما الظنُّ بِفَراشَةِ الحِلْم[1]، ومَنْ عَقْلُهُ في جَنْبِ عَقْلِ أبيه كتَفْلَةٍ في بحر؟!

ولكنَّ عدوَّ اللهِ لا يَخْلُصُ إلى المؤمن إلا غِيلةً، على غِرَّة وغفلة، فيُوقِعُهُ ويظنُّ أنه لا يستقيل ربَّه ﷻ بعدها[2]، وأن تلكَ الواقعةَ قد اجتاحَتْهُ وأهلكَتْهُ، وفضلُ الله تعالى ورحمَتُهُ وعَفْوُهُ ومَغفِرتُهُ مِن وَرَاء ذلك كلِّه.

فإذا أرادَ اللهُ بعبدِهِ خيرًا فَتَحَ له بابًا من أبواب التوبةِ، والنَّدمِ، والانكِسارِ، والذُّلِّ، والافتِقارِ، والاستِغاثة به، وصدقِ اللَّجَأ إليه، ودوام التضرُّع، والدعاء، والتقرُّب إليه بما

---

(١) قوله: (**فراشة الحلم**): تقول العربُ: حُلْمُ الفراش لِمَن أحلامُهُ خفيفةٌ لا قِيمَةَ لها، كالفَراشَة التي تُلقي نفسَها في النار.

(٢) قوله: (**يستقيل ربَّه**): أي يطلُبُ من الله ﷻ أن يعفوَ ويصفحَ عنه.

أمكن من الحسنات؛ ما تكونُ تلكَ السيئةُ به سببَ رحمتِهِ، حتى يقولَ عدوُّ الله: (يا ليتني تركتُهُ ولم أُوقِعْهُ).

وهذا معنى قول بعضِ السَّلف: إن العبدَ ليعملُ الذنبَ يَدخُلُ به الجنةَ، ويعملُ الحسنةَ يَدخُلُ بها النار، قالوا: كيف؟ قال: يعملُ الذنبَ فلا يزالُ نُصْبَ عينيه، خائفًا منه، مُشْفِقًا، وَجِلًا، باكِيًا، نادِمًا، مُسْتَحِيًا من ربِّهِ تعالى، ناكسَ الرأس بين يديه، مُنكسرَ القلب له، فيكون ذلك الذنبُ سببَ سعادةِ العبدِ وفلاحِهِ، حتى يكونَ ذلك الذنبُ أنفعَ له من طاعات كثيرةٍ؛ بما ترتَّبَ عليه من هذه الأمور التي بها سعادةُ العبد وفلاحُهُ، حتى يكونَ ذلك الذنبُ سببَ دخوله الجنة.

ويفعلُ الحسنةَ فلا يزالُ يَمُنُّ بها على ربِّه، ويتكبَّرُ بها، ويرى نفسَهُ، ويُعجَبُ بها، ويستطيل بها، ويقول: (فعلْتُ وفعلْتُ)، فيورثه من العُجْبِ والكِبْر والفَخر والاستِطالَة، ما يكون سببَ هلاكِهِ، فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيرًا ابتلاهُ بأمرٍ يَكْسِرُهُ به، ويُذِلُّ به عُنُقَهُ، ويُصَغِّرُ به نَفسَهُ عنده، وإنْ أراد به غيرَ ذلك خَلَّاهُ وعُجْبَهُ وكبره، وهذا هو الخُذْلان الموجِبُ لِهَلاكِهِ؛ فإنَّ العارفين كلَّهُم مُجْمِعُونَ على أنَّ التوفيقَ أن لا يَكِلَكَ الله تعالى إلى نَفْسِك، والخُذْلان أن يَكِلَكَ الله تعالى إلى نفسك، فمن أراد اللهُ به خيرًا فتحَ له بابَ الذُّلِّ، والانكسار، ودوام اللَّجَأ إلى الله تعالى، والافتقار إليه، ورؤية عيوب نفسِهِ، وجهلها، وظُلمها، وعدوانها، ومشاهدةِ فضلِ ربه، وإحسانِهِ، ورحمته، وجودِه، وبِرِّهِ، وغِناه، وحَمْدِهِ، فالعارف سائرٌ إلى الله تعالى بين هذين الجناحين، لا يمكنه أن يسيرَ إلا بهما، فمتى فاتَهُ واحدٌ منهما فهو كالطير الذي فقد أَحَدَ جناحيه.

قال شيخ الإسلام[1]: «**العارف يسير إلى الله بين مُشَاهَدَةِ المِنَّة، ومطالعةِ عَيْبِ النَّفْسِ والعمل**»، وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الصحيح، حديث: «**سَيِّدُ الاستغفارِ أن يقولَ العبدُ: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خَلَقتني وأنا عبدُك، وأنا على عَهْدِك ووَعْدِك ما استَطَعْتُ، أعوذُ بك من شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبوءُ لك بنِعْمَتِكَ عليَّ، وأبوءُ بِذَنبي،**

(١) أي: أبي إسماعيل الهَرَوي، وقد نقلَ هذه العبارة شيخُ الإسلام ابن تيمية عن أبي إسماعيل الهروي كذلك في «رسالة تحقيق الشكر» (١/ ١١٦).

فاغفرْ لي، إنه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلا أنت»، فجَمَعَ في قوله ﷺ: «**أبوء لك بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأبوء بذنبي**»: بين مشاهَدَة المِنَّةِ، ومُطالعة عَيْبِ النفس والعمل؛ فمشاهدة المنة تُوجِبُ له المحبةَ والحمدَ والشكر لِوَلي النِّعمِ والإحسان، ومُطالَعَةُ عَيْبِ النفسِ والعملِ تُوجِبُ له الذُّلَّ والانكسارَ والافتقارَ والتوبةَ في كلِّ وقتٍ، وأن لا يرى نفسَهُ إلا مُفلِسًا، وأقربُ بابٍ دَخَلَ منه العبدُ على الله تعالى بابُ الإفلاسِ، فلا يَرى لنفسِهِ حالًا، ولا مَقامًا، ولا سَبَبًا يتعلقُ به، ولا وسيلة منه يمنُّ بها، بل يدخُلُ على الله تعالى من بابِ الافتقار الصِّرْفِ، والإفلاسِ المَحْضِ، دخولَ من قد كَسَرَ الفقرُ والمَسْكنةُ قلبَهُ، حتى وصلَتْ تلك الكَسْرةُ إلى سُوَيْدَائِهِ فانْصَدَعَ وشَملتْهُ الكَسْرةُ من كُلِّ جِهاته، وشَهِدَ ضَرورَتَهُ إلى ربِّه عَزَّوَجَلَّ، وكمالَ فاقَتِهِ وفقرِهِ إليه، وأنَّ في كُلِّ ذرَّةٍ من ذرَّاته الظاهرة والباطنة فاقةً تامةً وضَرورةً كامِلةً إلى ربِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأنه إنْ تخلَّى عنه طَرْفَةَ عين هلك، وخسرَ خسارةً لا تُجبَر، إلا أن يَعُودَ اللهُ تعالى عليه ويتداركه برحمتِهِ، ولا طريقَ إلى الله أقربُ من العبودية، ولا حجابَ أغلظُ من الدَّعوى.

والعبوديةُ مدارُها على قاعدتين هما أصلها: حبٌّ كامل، وذلٌّ تامٌّ، ومَنْشَأُ هذين الأصلين عن ذَيْنِك الأصلين المتقدمين، وهما: مشاهَدَةُ المِنَّة التي تورثُ المحبةَ، ومطالعَةُ عَيْبِ النفس والعمل التي تورثُ الذلَّ التام، وإذا كان العبدُ قد بنى سلوكَهُ إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يَظْفَر عدُوُّهُ به إلا على غِرَّة وغَفلَةٍ، وما أَسْرَعَ ما يُنْعِشُهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ويَجبُرُهُ ويتداركُهُ برحمته.

فَصل

وإنما يستقيمُ له هذا باستقامَةِ قلبِهِ وجوارحِهِ، فاستقامةُ القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكونَ محبَّةُ الله تعالى تتقَدَّمُ عنده على جميعِ المَحَابِّ، فإذا تعارضَ حُبُّ الله تعالى وحُبُّ غيرِه سبقَ حُبُّ الله تعالى حُبَّ ما سواه، فرُتِّبَ على ذلك مُقْتَضاه، وما أَسهل هذا بالدَّعوى، وما أَصعَبه بالفِعْل! فعِنْدَ الامتحان يُكْرَمُ المرء أو يُهان، وما أكثرَ ما يُقدِّمُ العبدُ ما يُحِبُّه هو ويهواه، أو يحبُّهُ كَبيرُهُ أو أَميرُهُ أو شيخُهُ أو أهلُهُ على ما

يحبُّهُ الله تعالى، فهذا لم تَتقدَّم محبةُ الله تعالى في قلبِهِ جميعَ المَحَابِّ، ولا كانت هي الحاكمةَ عليها، المُؤَمّرةَ عليها، وسنَّةُ الله تعالى فيمن هذا شأنهُ أن يُنَكِّدَ عليه مَحابَّهُ، وينغِّصَها عليه، فلا يَنالُ شيئًا منها إلا بنَكَدٍ وتَنغيصٍ، جزاءً له على إيثاره هواه وهَوى من يُعَظِّمُهُ من الخلق أو يحبُّهُ على محبة الله تعالى.

وقد قضى اللهُ تعالى قضاءً لا يُرَدُّ ولا يُدفعُ أنَّ من أحبَّ شيئًا سِواهُ عُذِّبَ به ولا بدَّ، وأنَّ من خافَ غيرَهُ سُلِّطَ عليه، وأنَّ من اشتغلَ بشيءٍ غيره كان شؤمًا عليه، ومن آثر غيرَهُ عليه لم يُبارك له فيه، ومن أَرضَى غيرَهُ بسَخَطِهِ أَسخَطَهُ عليه ولا بُدَّ.

الأمر الثاني الذي يستقيمُ به القلب: تعظيمُ الأمر والنهي، وهو ناشئٌ عن تعظيمِ الآمرِ الناهي، فإن الله تعالى ذمَّ مَن لا يُعَظِّمُهُ، ولا يُعظِّمُ أمرَهُ ونهيَهُ، قال الله ﷻ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، قالوا في تفسيرها: (ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمةً).

وما أحسنَ ما قال شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنهي: «**هو أن لا يُعارَضا بترَخُّصٍ جَافٍ، ولا يُعَرَّضا لتشديد غالٍ، ولا يُحْمَلا على عِلَّةٍ تُوهِنُ الانقياد**»[1].

ومعنى كلامِهِ: أنَّ أوَّلَ مراتبِ تعظيم الحَقِّ عَزَّوَجَلَّ تعظيمُ أمرِهِ ونهيه؛ وذلك لأن المؤمنَ يعرفُ ربَّه عَزَّوَجَلَّ برسالته التي أرسلَ بها رسولَه ﷺ إلى الناس كافَّة، ومُقتضاها الانقيادُ لأمره ونهيه، وإنَّما يكون ذلك بتعظيم أَمْرِ الله عَزَّوَجَلَّ واتِّباعه، وتعظيم نهيه واجتنابِه، فيكون تعظيم المؤمنِ لأمر الله تعالى ونهيه دالًّا على تعظيمِه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بِحَسَبِ هذا التَّعظيم مِن الأَبرار المَشهودِ لهم بالإيمانِ والتَّصديقِ، وصحَّة العقيدة، والبراءة من النِّفاق الأكبر، فإنَّ الرجلَ قد يَتعاطى فعلَ الأمر لنَظَرِ الخلق، وطلب المنزلةِ والجاهِ عندهم، ويتَّقِي المناهي خشيةَ سقوطِهِ من أعينِهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتَّبها الشارعُ ﷺ على المناهي، فهذا ليس فعلُهُ وتركُهُ صادرًا عن تعظيم الأمر والنهي، ولا عن تعظيم الآمر الناهي.

فعلامةُ التعظيمِ للأوامر: رعايةُ أوقاتِها وحدودِها، والتَّفتيشُ على أركانها وواجباتها

---

(١) أي: الهَرَوي، وكلامه في «مَنازل السائرين» (ص٨١)، وانظر: «مدارج السالكين» للمصنِّف (٢/ ٤٦٤).

وكمالها، والحرصُ على تَحْسينها، وفعلُها في أوقاتها، والمسارعةُ إليها عند وجوبها، والحزنُ والكآبةُ والأَسَفُ عند فَوات حقٍّ من حُقوقِها، كمن يحزنُ على فَوْتِ الجماعة، ويعلمُ أنه لو تُقبِّلت منه صلاته منفردًا فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضِعْفًا، ولو أنَّ رجلًا يعاني البيعَ والشراءَ يفُوتُهُ في صفقة واحدةٍ في بلده من غيرِ سَفَر ولا مشقة سبعة وعشرون دينارًا لأَكَلَ يديهِ ندمًا وأَسَفًا، فكيفَ وكُلُّ ضِعْفٍ مما تُضاعَف به صلاةُ الجماعة خيرٌ من أَلفٍ وأَلفِ أَلفٍ، وما شاء الله تعالى؟! فإذا فَوَّتَ العبدُ عليه هذا الربحَ خَسِرَ قطعًا.

وكثير من العلماء يقول: لا صلاةَ له وهو باردُ القَلبِ، فارغٌ من هذه المصيبة، غيرُ مُرْتاعٍ لها، فهذا من عَدِمِ تَعظيمِ أمرِ الله تعالى في قلبه، وكذلك إذا فاتَهُ أوَّلُ الوقت الذي هو رضوان الله تعالى، أو فاتَهُ الصفُّ الأول الذي يصلي الله وملائكته على ميامِنِهِ، ولو يعلمُ العبدُ فضيلتَهُ لجالَدَ عليه، ولَكانت قُرعَةً، وكذلك فَوْتُ الجمعِ الكثير الذي تُضَاعَفُ الصلاةُ بكثرتِهِ وقِلته، وكُلَّما كَثُرَ الجمع كان أحبَّ إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وكُلَّما بَعُدَت الخُطا كانت خطوةٌ تَحطُّ خطيئَةً وأخرى ترفعُ درجةً، وكذلك فَوْتُ الخُشوعِ في الصلاة، وحضورِ القلبِ فيها بين يدي الربِّ عَزَّوَجَلَّ، الذي هو رُوحُها ولُبُّها؛ فصلاةٌ بلا خُشوعٍ ولا حُضُورٍ كبَدَنٍ مَيِّتٍ لا رُوح فيه، أَفَلا يَسْتَحِي العبدُ أن يُهديَ إلى مَخْلُوقٍ مثلِهِ عبدًا ميتًا أو جاريةً ميتةً!؟ فما ظنُّ هذا العبدِ أن تقعَ تلكَ الهديةُ ممَّنْ قصَدَه بها من مَلِك أو أَمِير أو غيرِهِ؟! فهكذا سواء؛ الصلاةُ الخالِية عن الخشوع والحُضور وجَمْعِ الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد -أو الأمة- الميِّت الذي يريد إهداءَهُ إلى بعض الملوك؛ ولهذا لا يَقبلُها الله تعالى منه، وإن أَسْقَطَت الفرضَ في أحكام الدنيا، ولا يُثيبُهُ عليها؛ فإنَّه ليسَ للعبدِ من صلاتِهِ إلا ما عقل منها، كما في السنن و«مسند الإمام أحمد» وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ العبدَ ليصلي الصلاةَ وما كُتِبَ له إلا نِصْفها، إلا ثُلثها، إلا ربعها، إلا خمسها، حتى بلغ عُشرها**».

وينبغي أن يُعْلَمَ أنَّ سائرَ الأعمالِ تجري هذا المجرى، فتفاضُلُ الأعمالِ عند الله

تعالى بتفاضُلِ ما في القُلوبِ من الإيمان والإخلاصِ والمحبةِ وتوابِعِها، وهذا العملُ الكاملُ هو الذي يكفِّرُ تكفيرًا كاملًا، والناقصُ بحَسَبِهِ، وبهاتين القاعدتين تزول إشكالاتٌ كثيرةٌ، وهما:

- تفاضلُ الأعمالِ بتفاضُلِ ما في القلوب من حقائق الإيمان.
- وتكفيرُ العمل للسيِّئات بحَسَبِ كمالِهِ ونقصانه.

وبهذا يزول الإشكالُ الذي يوردُهُ من نقص حَظُّهُ من هذا الباب على الحديث الذي فيه: «**إنَّ صوم يوم عَرَفَة يُكفِّر سنتين**»، و«**يوم عاشوراء يُكفِّر سنة**»، قالوا: فإذا كان دأْبُهُ دائمًا أنه يصوم يومَ عَرَفة فصامَهُ، وصامَ يوم عاشوراء، فكَيفَ يقعُ تَكفيرُ ثلاثِ سنين كُلَّ سنةٍ؟

وأجابَ بعضُهُم عن هذا بأنَّ: ما فَضَلَ عن التَّكفير يُنال به الدَّرجات.

وياالله العَجب فليت العبدَ إذا أتى بهذه المُكفِّرات كلِّها أن تُكَفَّرَ عنه سيئاتُهُ باجتماع بعضِها إلى بعض، والتَّكفير بهذه مشروط بشروط، موقوفٌ على انتفاء موانع في العمل وخارجه، فإن علمَ العبد أنه جاء بالشروط كُلِّها، وانتَفَتْ عنه الموانعُ كلُّها، فحينئذ يَقَعُ التكفير.

وأما عَمَلٌ شَمِلتْهُ الغفلةُ أو لأَكْثَرِه، وفقدَ الإخلاصَ الذي هو روحُهُ ولبُّهُ، ولم يُوف حقَّهُ، ولم يقدره حقَّ قَدْرِه، فأيُّ شيءٍ يُكَفِّر هذا العمل؟!

فإن وثق العبد من عملِهِ بأنه وفَّاه حَقَّهُ الذي ينبغي له ظاهرًا وباطنًا، ولم يَعرض له مانعٌ يَمنع تَكفِيره، ولا مبطلٌ يُحْبِطُهُ، من عُجْبٍ، أو رؤية نفسه فيه، أو مَنٍّ به، أو يطلبُ من العباد تعظيمه به، أو يَسْتَشْرِفُ بقلبه لمن يُعظِّمه عليه، أو يُعادي من لا يُعظِّمه عليه، ويرى أنه قد بخَسَهُ حَقَّهُ، وأنه قد استهانَ بحرمَتِهِ؛ فهذا أيُّ شيءٍ يُكَفِّر؟

ومحبطاتُ الأعمال ومُفسداتُها أكثرُ من أن تُحْصَرَ، وليس الشأن في العمل، إنَّما الشأنُ في حفظِ العمل مما يُفسِدُهُ ويُحبِطُهُ، فالرياء وإن دَقَّ محبطٌ للعمل، وهو أبواب كثيرة لا تُحصرُ، وكونَ العَمَلِ غير مُقَيَّدٍ باتباع السنة أيضًا موجبٌ لكونهِ باطلًا، والمَنُّ به

على الله تعالى بقلبه مفسدٌ له، وكذلك المَنُّ بالصدقة والمعروف والبر والاحسان والصلة مفسد لها، كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾، وأكثرُ الناس ما عندهم خبرٌ من السيئات التي تُحْبِط الحسنات، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾، فحذَّر سبحانه المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض، وليسَ هذا بِرِدَّةٍ؛ بل معصية يحبط بها العملُ، وصاحبها لا يشعر بها، فما الظن بمن قدَّمَ على قول الرسول ﷺ وهديه وطريقه قولَ غيره وهديَه وطريقَهُ؟!، أليْسَ هذا قد حبِط عمله وهو لا يَشعُر ؟

ومن هذا قوله ﷺ: «**مَن تَرك صَلاة العَصر فقَد حَبط عمَله**»، ومن هذا قول عائشة -رضي الله عنها- وعن أبيها- لزيد بن أرقم رضي الله عنه لما باع بالعِينة: «**إنه قد أبطلَ جِهادَهُ مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب**»، وليس التَّبايُع بالعِينة ردَّةً، وإنَّما غايته أن يكُون معْصِية، فمعرفةُ ما يُفسِدُ الأعمالَ في حَالِ وُقوعها، ويبطلُها ويحبطُها بعد وقوعها مِن أَهمِّ ما ينبغي أن يُفتِّش عليه العبد، ويَحرص على عِلمه ويحذره، وقد جاء في أثرٍ مَعروف: (إنَّ العبد ليعملُ العملَ سرًّا لله لا يَطَّلِعُ عليه أحدٌ إلا الله تعالى، فيتحدَّث به، فينتقِل من ديوان السِّر إلى ديوان العَلانية، ثم يصيرُ في ذلك الديوان على حسب العلانية)؛ فإن تحدَّث به للسُمعة وطلب الجَاه والمنزلِة عند غير الله تعالى أَبْطَلَهُ، كما لو فعله لذلك.

فإن قيل: فإذا تاب هذا هل يعُود إليه ثَواب العمل؟

قيل: إن كان قد عَمِلَه لغير الله تعالى، وأوقعَهُ بهذه النية فإنه لا ينقلبُ صالحًا بالتوبة، بل حَسْبُ التوبة أن تمحو عنه عقابه، فيصير لا له ولا عليه، وأمَّا إن عمله لله تعالى خالصًا ثم عَرَضَ له عُجْبٌ أو رياء أو تحدَّث به ثم تاب من بعد ذلك وندم فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط، وقد يقال: إنه لا يعود إليه بل يستأنف العمل، والمسألةُ مَبْنِيَّةٌ على أصلٍ؛ وهو أنَّ الردةَ هل تُحبط العمل بمجردها أو لا يُحبطه إلا الموت عليها؟

فيه للعلماء قولان مشهوران، وهما روايتان عن الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن قلنا: تُحبط العملَ بنفسها فمتى أسلم استأنفَ العملَ، وبطل ما كان قد عمل قبل الاسلام، وإن قلنا: لا يُحبط العمل إلا إذا مات مرتدًّا فمتى عاد إلى الاسلام عاد إليه ثواب عملِهِ، وهكذا العبد إذا فعلَ حسنة ثم فعل سيئة تُحبطها ثم تاب من تلك السيئة هل يعود إليه ثواب تلك الحسنة المتقدمة؟

يُخَرَّج على هذا الاصل، ولم يَزَل في نفسي شيءٌ من هذه المسألة، ولم أزل حريصًا على الصواب فيها، وما رأيتُ أحدًا شفى فيها، والذي يظهر لي - والله تعالى أعلم وبه المستعان ولا قوة إلا به-: أنَّ الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل، ويكون الحكمُ فيها للغالب، وهو يَقْهَرُ المغلوب، ويكون الحكم له، حتى كأنَّ المغلوبَ لم يكن، فإذا غلبت على العبدِ الحسنات دفعتْ حسناتُهُ الكثيرة سيئاتِهِ، ومتى تابَ من السيئة ترتَّبَ على توبتِهِ منها حسناتٌ كثيرةٌ، قد تَربى وتَزيد على الحسنة التي حَبَطتْ بالسيئة، فإذا عُزِمَت التوبة وصَحَّتْ ونشأتْ من صميم القلب أَحْرَقَتْ ما مرت عليه من السيئات، حتى كأنها لم تكن، فإنَّ التائب من الذنب لا ذنب له.

وقد سأل حكيمُ بن حزام رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عِتاقَةٍ وصِلَةٍ وَبِرٍّ فَعَلَهُ في الشِّرك: هل يثاب عليه؟ فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَسْلَمْتَ على ما أَسْلَفْتَ من خيرٍ**»، فهذا يقتضي أن الاسلامَ أعادَ عليه ثوابَ تلك الحسنات التي كانت باطلةً بالشرك، فلما تاب من الشِّرك عاد إليه ثوابُ حَسَناته المتقدمة، فهكذا إذا تابَ العبدُ توبةً نصوحًا صادِقَةً خالصةً أَحْرَقَتْ ما كان قَبْلها من السيئات، وأعادتْ عليه ثوابَ حسناته، يُوَضِّحُ هذا أنَّ السيئات والذنوب هي أمراض قلبية، كما أن الحُمَّى والأوجاعَ أمراضٌ بدنية، والمريض إذا عُوفي من مرضه عافيةً تامَّة عادت إليه قوته، وأفضل منها، حتى كأنه لم يَضْعُف قطُّ، فالقوة المتقدمة بمنزلة الحسنات، والمرض بمنزلة الذنوب، والصحة والعافية بمنزلة التوبة، سواء بسواء، وكما أن من المَرْضَى من لا تعود إليه صحته أبدًا لضعفِ عافيته، ومنهم من تعود صحته كما كانت لتَقَاوم الأسباب وتَدَافُعِها، وعَوْد البدن إلى كماله الأول، ومنهم من يعود أصحَّ مما كان وأقوى وأنشط؛ لقُوَّةِ أسباب العافية وقهرها وغلبتها

لأسباب الضَّعْفِ والمرض، حتى ربما كان مرض هذا سببًا لعافيته، كما قال الشاعر:

لعلَّ عَتْبَكَ مُحْمُودٌ عَواقِبُهُ ورُبَّما صَحَّتْ الأجْسَامُ بالعِلَلِ

فهكذا العبد بعد التوبة على هذه المنازل الثلاث، والله الموفق لا إله غيره، ولا رب سواه.

فَصل

وأما علاماتُ تعظيمِ المناهي: فالحرصُ على التباعُدِ من مظانِّها، وأسبابها، وما يدعو إليها، ومُجانَبة كلِّ وسيلَة تُقرِّب منها، كمَن يَهرب من الأماكن التي فيها الصُّوَر التي تقع بها الفتنة خَشية الافْتِتان بها، وأَن يَدعَ ما لا بأس به حذرًا مما به البأسُ، وأن يجانِبَ الفُضول من المباحات خشية الوقوعِ في المكروهات، ومجانبة من يُجَاهر بارتكابها، ويُحَسِّنها، ويَدعو إليها، ويَتَهاون بها، ولا يُبالي ما رَكِب منها؛ فإنَّ مخالطةَ مثلَ هذا داعيةٌ إلى سَخِط الله تعالى وغَضَبه، ولا يُخالطه إلا من سقَط من قلبه تعظيمُ الله تعالى وحُرُماتِه، ومن علاماتِ تعظيم النَّهي: أن يغضبَ لله عَزَّوَجَلَّ إذا انتُهِكَت محارمُهُ، وأن يَجد في قلبه حُزنًا وكسْرةً إذا عُصِيَ اللهُ تعالى في أرضِه، ولم يُطَع بإقامَة حُدودِهِ وأوامِرِهِ، ولم يستطع هو أن يُغيِّر ذلك.

ومن عَلامات تَعظيم الأمر والنَّهي: أن لا يسْتَرسِل مع الرُّخصة إلى حدٍّ يكُون صاحِبُهُ جافيًا غير مُسْتقيم على المَنْهَج الوَسَط، مثال ذلك: أن السُّنَّة وَرَدَتْ بالإبرَاد بالظُّهر في شدَّة الحَر، فالتَّرخص الجَافي أن يُبْرِد إلى فَوات الوقت، أو مُقارَبة خُروجه، فيكون مُترخِّصًا جافيًا، وحِكمة هذه الرُّخْصة أنَّ الصَّلاة في شِدَّة الحَر تَمْنعُ صاحبَها من الخُشوع والحُضور، ويَفْعلُ العبادةَ بِتكَرُّهٍ وضَجَر، فمِن حِكمَة الشَّارع ﷺ أن أمَرهم بتَأخيرها حتى ينكسِر الحَرُّ، فيُصلي العبدُ بقَلبٍ حاضِر، ويحصل له مقْصُودُ الصَّلاة من الخُشوع، والإقبال على الله تعالى.

ومِن هذا نهيه ﷺ أن يُصلي الرَّجُل بحَضْرة الطَّعام، أو عند مُدافَعة البَوْل والغَائط،

لتَعَلُّقِ قلبه من ذلك بما يُشَوِّشُ عليه مقْصودَ الصَّلاة، فلا يَحصل المُراد منها، فَمِن فِقهِ الرَّجُلِ في عِبادته أن يُقبِل على شُغله فيعْمَله، ثم يُفرِّغ قلبَهُ للصلاة، فيَقومُ فيها وقد فرَّغ قلبه لله تعالى ونَصَب وجهه له، وأقبل بكُلِيَّته عليه، فركعتان من هذه الصلاة يُغفَر للمُصلي بهما ما تقدَّم من ذنبه، والمقصود: أنه لا يترخص تَرخُّصًا جافيًا، ومن ذلك: أنَّه رخَّصَ للمسافر في الجَمْع بين الصَّلاتَيْن عند العُذر، وتَعذُّر فعلِ كلِّ صَلاة في وقتها، لمُواصلة السَّير، وتَعذُّر النُّزول أو تَعسُّرِه عليه، فإذا أقام في المنزِلِ اليومَين والثلاثة، أو أقَام اليوم فَجَمْعُه بين الصَّلاتيْن لا مُوجِب له؛ لتمَكُّنِهِ من فِعل كُلِّ صلاة في وقتها من غير مشقَة، فالجَمْع ليس سنَّةً راتِبةً كما يعْتَقده أكثَرُ المسافرين أن سنَّةَ السَّفر الجَمْعُ، سَواء وُجِدَ عذرٌ أو لم يُوجد؛ بل الجَمْعُ رُخْصَة عارضِة، والقَصْر سُنَّة راتِبة، فسُنَّةُ المُسافر قَصْر الرُّباعِيَّة، سَواء وُجِدَ له عُذر أو لم يوجد، وأما جَمعُهُ بين الصلاتين فحاجةٌ ورُخْصَةٌ، فهذا لون وهذا لون.

ومن هذا أنَّ الشِّبَعَ في الأكل رُخْصَةٌ غيرُ مُحرَّمةٍ فلا يَنبغي أن يَجْفُوَ العبدُ فيها حتى يصلَ به الشِّبَعُ إلى حَدِّ التُّخْمَةِ والامتِلاءِ، فيتطلَّب ما يصرفُ به الطعامَ، فيكونُ هَمُّهُ بطنَهُ قبلَ الأكلِ وبعدَه، بل ينبغي للعبدِ أن يجوعَ ويشبعَ، ويَدعُ الطعامَ وهو يشتهيه، وميزان ذلك قول النبي ﷺ: «**ثُلُثٌ لطعامِهِ، وثُلُثٌ لِشَرابِهِ، وثُلُثٌ لنَفَسِهِ**» ، ولا يجعل الثلاثة الأثلاث كُلَّها للطعام وَحْدَه.

وأما تعريضُ الأمر والنهي للتشديد الغالي فهو كمن يتوسوسُ في الوضوء مُتَغاليًا فيه، حتى يفوت الوقت، أو يُرَدِّدُ تكبيرةَ الإحرام إلى أن تفوتَهُ مع الإمام قراءَةُ الفاتحة، أو تكاد تفوته الركعة، أو يتشدد في الوَرَعِ الغالي حتى لا يأكل شيئًا من طعام عامَّةِ المسلمين؛ خشية دخول الشبهات عليه، ولقد دخلَ هذا الوَرَعُ الفاسدُ على بعضِ العُبَّاد الذين نقصَ حَظُّهُم من العلم، حتى امتنعَ أن يأكلَ شيئًا من بلادِ المسلمين، وكان يَتَقَوَّتُ بما يُحْمَلُ إليه من بلاد النصارى، ويَبعثُ بالقصد لتحصيل ذلك، فأوقعَهُ الجهلُ المفرطُ والغلو الزائدُ في إساءَةِ الظن بالمسلمين، وحُسْنِ الظنِّ بالنصارى، نعوذ بالله من الخُذْلان.

فحقيقة التَّعظيم للأمر والنَّهي أن لا يُعارَضا بترخُّصٍ جافٍ، ولا يُعرَّضا لتشديدٍ غالٍ، فإنَّ المقصودَ هو الصِّراط المستقيم الموصِل إلى الله ﷻ بسالِكِه.

وما أمر الله ﷻ بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نَزْغتان: إمَّا تقصيرٌ وتفريطٌ، وإما إفراطٌ وغُلوٌّ، فلا يُبالي بما ظَفر من العَبْد من الخطيئتين؛ فإنه يأتي إلى قلبِ العبد فيُشَامُّهُ فإن وَجَدَ فيه تقصيرًا وفتورًا وتوانِيًا وترخِيصًا أَخَذَه من هذه الخطة، فَثَبَّطَهُ وأَقْعَدَه، وضَرَبَهُ بالكَسَل والتَّوَاني والفُتور، وفتح له بابَ التَأْويلات والرَّجاء وغير ذلك، حتى ربَّما تركَ العبدُ المأمورَ جُملةً، وإن وَجَدَ عنده حذرًا وجِدًّا وتَشْمِيرًا ونَهَضَةً وأَيسَ أن يأخذَهُ من هذا الباب أمرَهُ بالاجتهاد الزائد، وسَوَّلَ له أنَّ هذا لا يكفيك، وهِمَّتُك فوقَ هذا، وينبغي لك أن تزيدَ على العامِلِين، وأن لا ترقدَ إذا رَقَدوا، ولا تُفْطِرَ إذا أَفْطروا، وأن لا تَفْتُرَ إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يدَيهُ ووجهه ثلاث مرات فاغتسل أنت سبعًا، وإذا توضأ للصلاة فاغتسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيَحْمِلُهُ على الغلوِّ والمُجاوزة وتعدي الصراط المستقيم، كما يحملُ الأوَّلَ على التقصير دونه، وأن لا يقرَبَه، ومقصودُهُ من الرجلين إخراجهما عن الصراط المسقيم؛ هذا بأنْ لا يَقْرَبَهُ ولا يدنو منه، وهذا بأن يتَجاوزَهُ ويتَعَدَّاه، وقد فتن بهذا أكثر الخلق، ولا يُنْجِي من ذلك إلا علمٌ راسِخٌ، وإيمانٌ، وقوة على محاربته، ولزومُ الوسط، والله المستعان.

فَصل

ومن علامات تعظيمِ الأمر والنهي أن لا يحمل الأمر على عِلَّةٍ تُضْعِفُ الانقيادَ والتسليمَ لأمر الله ﷻ، بل يُسَلِّم لأمر الله تعالى وحُكمِهِ، مُمتَثِلًا ما أُمِرَ به، سواء ظَهَرتْ له حكمة الشرع في أمره ونهيه أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه حمله ذلك على مزيدِ الانقيادِ بالبذلِ والتسليم لأمر الله، ولا يحملُهُ ذلك على الانسلاخ منه، وتركه جملةً، كما حمل ذلك كثيرًا من زنادقة الفقراء، والمنتسبين إلى

التصوف، فإنَّ اللهَ ﷻ شرعَ الصلوات الخمس إقامةً لذكرِهِ، واستعمالًا للقلب والجوارح واللسان في العبودية، وإعطاءُ كلٍّ منها قِسْطَهُ من العبودية التي هي المقصود بخلق العبد، فوُضِعَت الصلاةُ على أكملِ مراتبِ العبوديةِ، فإن الله ﷻ خلقَ الآدمي، واختارَه من بين سائر البرية، وجعل قلبَهُ مَحَلَّ كنوزه من الإيمان، والتوحيد، والإخلاص، والمحبة، والحياء، والتعظيم، والمراقبة، وجَعَل ثوابَهُ إذا قَدِمَ عليه أكملُ الثوابِ وأفضلُه، وهو النظر إلى وجهه، والفوز برضوانه، ومجاورته في جَنَّتِه، وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة، وابتلاهُ بِعَدُوِّه إبليس، لا يفتُرُ عنه، فهو يدخل عليه من الأبواب التي هي من نَفْسِهِ وطَبْعِه، فتَميلُ نفسُهُ معه، لأنه يدخلُ عليها بما تُحِبُّ فيتَّفِقُ هو ونفسُهُ وهواه على العبد؛ ثلاثةٌ مُسَلَّطون آمرون، فيَبْعثون الجوارحَ في قضاء وَطَرِهم، والجوارحُ آلةٌ مُنْقادَة، فلا يُمْكِنها إلا الانبعاث، فهذا شأنُ هذه الثلاثة وشأن الجوارح، فلا تزالُ الجوارحُ في طاعَتِهم كيف أمروا، وأين يَمَّمُوا.

هذا مقتضى حال العبد، فاقْتَضَتْ رحمةُ ربه العزيز الرحيم به أن أعانَهُ بجُنْدٍ آخر، وأَمَدَّهُ بمدد آخر، يقاوم به هذا الجند الذي يريد هلاكه، فأرسل إليه رسولَهُ، وأنزل عليه كتابه، وأيدَهُ بمَلَكٍ كريم يقابلُ عدوَّهُ الشيطان، فإذا أمرَهُ الشيطانُ بأمره أمَرَهُ المَلَكُ بأمرِ ربِّهِ، وبيَّنَ له ما في طاعة العدوِّ من الهلاك، فهذا يُلِمُّ به مرَّةً، وهذا مرة، والمنصورُ من نَصَرَهُ الله ﷻ، والمحفوظُ من حَفِظَه الله تعالى، وجعلَ له مقابل نفسِهِ الأمارة نفسًا مطمئنة، إذا أَمَرتْهُ النفسُ الأمَّارة بالسوء نَهَتْهُ عنه النفسُ المطمئنة، وإذا نَهَتهُ الأمَّارة عن الخير أمرته به النفسُ المطمئنة، فهو يطيع هذه مرة وهذه مرة، وهو للغالب عليه منهما، وربما انقَهَرَتْ إحداهما بالكلية قهرًا لا تقومُ مَعَهُ أبدًا.

وجعل له مقابلَ الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفسِ الأمارة نورًا وبصيرَةً وعقلًا يَرُدُّهُ عن الذهاب مع الهوى، فكُلَّما أراد أن يذهبَ مع الهوى ناداه العقلُ والبصيرَةُ والنور: «الحذرَ، الحذرَ، فإنَّ المَهالك والمَتالف بين يديك، وأنت صَيدُ الحَرَاميَّة وقُطَّاع الطريق إن سِرْتَ خلف هذا الدليل»، فهو يطيع الناصحَ مرَّةً فيُبيِّن له رُشْدَه ونُصْحَه،

ويمشي خلف دليل الهوى مرةً فيقطع عليه الطريقَ، ويُؤْخَذُ مالُهُ وتُسْلَب ثيابُهُ، فيقول: «تُرى من أين أُتِيتُ؟»، والعجبُ أنه يعلم من أين أُتِي، ويعرفُ الطريق التي قُطِعَت عليه، وأُخِذَ فيها، ويَأْبى إلا سلوكها؛ لأنَّ دليلَها قد تَمَكَّنَ منه، وتحكم فيه، وقَوِيَ عليه، ولو أَضْعَفَهُ بالمُخَالفة له، وزَجْرِهِ إذا دعاه، وبمحاربته إذا أراد أَخْذَه، لم يتمكَّن منه، ولكن هو مَكَّنَهُ من نفسه، وهو أعطاهُ يَدَهُ، فهو بمنزلة الرَّجُلِ يَضَعُ يَدَهُ في يَدِ عَدُوِّه فيأسُرَه، ثم يسومُهُ سوءَ العذاب، فهو يستغيثُ فلا يغاث، فهكذا العبدُ يَسْتَأسِرُ للشيطان والهوى ولنفسه الأمارة ثمَّ يَطلبُ الخلاصَ فيعجز عنه.

فلَمَّا أن بُلِيَ العبدُ بما بُلِيَ به أُعِينَ بالعَسَاكر والعُدَدِ والحُصُون، وقيل له: «قاتل عدوَّكَ وجاهِدْهُ، فهذه الجنودُ خُذْ منها ما شِئْتَ، وهذه العُدَدُ البس منها ما شِئتَ، وهذه الحُصُون تَحَصَّن منها بأيِّ حِصْنٍ شئتَ، ورابِطْ إلى الموتِ، فالأمر قريبٌ، ومُدَّةُ المُرابطَةِ يسيرةٌ جدًّا، فكأنَّك بالمَلِكِ الأعظَمِ، وقد أرسلَ إليك رُسَلَه، فنَقَلُوكَ إلى دارِهِ، واستَرَحْتَ من هذا الجهاد، وفُرِّقَ بينَك وبين عدوِّكَ، وأُطْلِقْتَ في دار الكرامة تتقَلَّبُ فيها كيف شِئْتَ، وسُجِنَ عَدُوُّكَ في أصعب الحُبُوس، وأنتَ تراهُ، فالسِّجن الذي كان يريد أن يُودِعَكَ فيه قد أُدْخِلَهُ، وأُغْلِقَتْ عليه أبوابُهُ، وأَيِسَ من الخروجِ والفرج، وأنت فيما اشْتَهَتْ نفسُكَ، وقَرَّت عينُكَ، جزاءً على صبرك في تلك المُدَّة اليسيرة، ولزُومك الثَّغر للرِّباط، وما كانت إلا ساعة ثم انقَضَتْ، وكأن الشدة لم تكن».

فإن ضَعُفَت النفسُ عن ملاحظَةِ قِصَرِ الوقت، وسُرْعَةِ انقضائه، فليتدبَّر قولَه عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾، وخَطَبَ النبيُّ ﷺ أصحابَهُ يومًا فلما كانت الشمس على رؤوس الجبال وذلك عند الغروب قال: «**إِنَّهُ لم يَبقَ من الدنيا فيما مَضَى إلا كما بَقِيَ من**

يَوْمكُم هذا فيما مَضَى منه»[1]، فليتأمل العاقلُ الناصِحُ لنفسِهِ هذا الحديث، وليَعلَم أيَّ شيءٍ حَصَل له من هذا الوقت الذي قد بَقِيَ في الدنيا بأسرها؛ ليعلَمَ أنهُ في غُرورٍ، وأَضْغاث أحلام، وأنه قد باع سعادَةَ الأبد والنعيم المقيم بحظٍّ خَسِيس لا يساوي شيئًا، ولو طلب اللهَ تعالى والدارَ الآخرة لأَعطاهُ ذلك الحظَّ هنيئًا موَفَّرًا، وأكملَ منه، كما في بعض الآثار: «ابن آدم بِعِ الدنيا بالآخرة تربَحْهُما جميعًا، ولا تَبِع الآخرةَ بالدنيا تَخْسَرْهُما جميعًا».

وقال بعض السلف: «ابن آدم أنتَ محتاجٌ إلى نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نَصيبك من الآخرة أحوج، فإن بَدَأْتَ بنصيبك من الدنيا أَضْعَتَ نصيبَك من الآخرة، وكنت من نصيب الدنيا على خطر، وإن بَدَأْتَ بنصيبك من الآخرة فُزْتَ بنصيبك من الدنيا، فانْتَظَمْتَهُ انتظامًا».

وكان عمر بن عبد العزيز ﷺ يقول في خطبته: «أيها الناس إنكم لم تُخَلقوا عبثًا، ولم تُتْركوا سُدًى، وإنَّ لكم مَعادًا يَجْمَعُكم اللهُ ﷻ فيه للحُكْم فيكم، والفصل بَيْنَكم، فخَابَ وشَقِيَ عبدٌ أخرجَهُ اللهُ ﷻ من رحمتِهِ التي وسعتْ كلَّ شيء، وجنَّته التي عَرْضُها السمواتُ والأرضُ، وإنما يكون الأمانُ غدًا لمنْ خافَ الله تعالى واتقى، وباع قليلًا بكثير، وفَانِيًا بباقٍ، وشقاوةً بسعادةٍ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين[2]، وسيخلُفُكم بعدَكُم الباقون؟! ألا ترون أنكم في كلِّ يوم تُشَيِّعون غاديًا إلى الله ورائِحًا قد قضى نَحْبَه، وانقطعَ أملُهُ، فتَضَعُونَهُ في بطن صَدْعٍ من الأرض، غير مُوَسَّدٍ ولا مُمَهَّد قد خلع الأسلابَ، وفارق الأحبابَ، وواجه الحِسابَ».

والمقصود أن الله ﷻ قد أمدَّ العبدَ في هذه المدة اليسيرة بالجنود والعُدَدِ والإمداد،

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم: (٢١٩١)، ضمن حديثٍ طويل، وفي إسناده عليُّ بن زيد بن جُدعان، وهو ضعيف الحديث، لكن تابَعَهُ على هذه الجُملةِ المذكورة عبد العزيز بن مُسلم، وهو ثقة، وأخرج حديثَهُ أبو الشيخ في «الأمثال» برقم: (٢٨٣)، وحسَّن الحديثَ الحافظ ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص ١٧٠).

(٢) (أسلاب): جمعُ سَلب: الشيء الذي يسلبه الإنسان من الغنائم، ويُطلق أيضًا على كُلِّ ما لُبِسَ من الثياب.

وبيَّن له بماذا يُحْرِزُ نفسَهُ من عدوِّه، وبماذا يَستَفِكُّ نفسَهُ إذا أسره، وقد روى الإمام أحمد ﵁ والترمذي من حديث الحارث الاشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ اللهَ ﷻ أمرَ يحيى بن زكريا ﷺ بخمسِ كلمات؛ أن يعملَ بها، ويأمرَ بني إسرائيلَ أن يعلموا بها، وأنه كادَ أن يُبْطِيء بها، فقال له عيسى ﷺ: (إن الله تعالى أمركَ بخمس كلمات لتعملَ بها، وتأمرَ بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرَهُم، وإما أن آمرَهُم) فقال يحيى: (أخشى إن سَبقْتَني بها أن يُخْسَفَ بي أو أُعَذَّب، فجَمَعَ يحيى الناسَ في بيت المقدس، فامتلأَ المسجد، وقعدوا على الشُّرَفِ فقال: إنَّ الله تَبارَكَ وتَعالَى أمرني بِخَمسِ كلمات؛ أن أعمَلَهُن، وآمرَكُم أن تعْمَلوا بهن: أوَّلُهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، فإنَّ من أشرك بالله كمثل رجلٍ اشترى عبدًا من خَالصِ ماله بذَهَبٍ أو وَرِقٍ، فقال : هذه داري وهذا عملي، فاعملْ وأَدِّ إِلَيَّ فكان يعملُ ويؤدي إلى غَيرِ سَيِّدِه، فأيكم يرضى أن يكون عبدُه كذلك؟ وإنَّ اللهَ أمرَكُم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا؛ فإنَّ اللهَ يَنصِبُ وجهَهُ لوجهِ عبدِهِ في صلاته ما لم يَلْتَفِت، وأمرَكُم بالصيام، فإنَّ مَثَلَ ذلك كمَثَلِ رَجُلٍ في عِصابةٍ معَهُ صُرَّةٌ فيها مِسْكٌ، فكُلُّهُم يَعْجَبُ أو يُعْجِبُهُ ريحه، وإن ريحَ الصائم أطيبُ عند الله تعالى من رِيح المِسْك، وأمرَكُم بالصدقة؛ فإنَّ مَثَلَ ذلك مَثَل رجلٍ أسرَهُ العدو، فأوثَقُوا يدَهُ إلى عُنُقِهِ، وقَدَّمُوه ليَضْرِبوا عُنَقَهُ، فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسَهُ منهم، وأَمرَكُم أن تذكروا الله تعالى، فإنَّ مَثَلَ ذلك كمَثَلِ رجلٍ خرجَ العدوُّ في أَثَرِهِ سِراعًا، حتى إذا أتى على حِصْنٍ حصين فأَحْرَزَ نفسَهُ منهم، كذلك العبدُ لا يحرز نفسَهُ من الشيطان إلا بذكر الله تعالى)، قال النبي ﷺ: (وأنا آمرُكُم بخمس الله أمرني بهن: السمع والطاعة، والجهاد، والهِجرة، والجماعة؛ فإنه من فارق الجماعة قِيدَ شِبْرٍ فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسلام من عُنُقِهِ إلا أن يُراجِع، ومن ادَّعى دَعوى الجاهلية فإنه من جَثَا جَهَنَّم) فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: (وإن صَلَّى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سمَّاكم المسلمين المؤمنين عباد الله) »**، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

فقد ذكر النبيُّ ﷺ في هذا الحديث الصحيح –العظيم الشأن، الذي ينبغي لكلِّ

مسلم حِفْظُهُ وتعقُّلُهُ- ما ينجي من الشيطان، وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة في دنياه وأخراه؛ فذكر مَثَلَ المُوَحِّد والمشرك؛ فالمُوَحِّد كمن عَمِلَ لسيِّدِه في داره، وأَدَّى لسَيِّده ما استعمَلَهُ فيه، والمشرك كمن استَعْمَله سيُّدُهُ في داره فكان يعمل ويؤدي خَراجَهُ وعملَهُ إلى غير سيده، فهكذا المشركُ يعمل لغير الله تعالى في دارِ الله تعالى، ويتقرَّبُ إلى عدو الله تعالى بنعم الله تعالى عليه، ومعلومٌ أنَّ العبدَ من بني آدم لو كان له مملوكٌ كذلك لكان أَمْقَتَ المماليك عنده، وكان أشدَّ شيءٍ غضبًا عليه، وطردًا له وإبعادًا، وهو مخلوق مثلهُ، كلاهما في نعمة غيرهما، فكيف بربِّ العالمين؛ الذي ما بالعبد من نعمة فَمِنْهُ وحدَه لا شريك له، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يَصْرِفُ السيئات إلا هو، وهو وحده المنفردُ بخلقِ عبده ورحمته وتدبيره ورزقه ومعافاته وقَضاء حَوائِجِهِ، فكيف يليق به مع هذا أن يَعْدِلَ به غيرَهُ في الحُبِّ والخوفِ والرَّجاءِ والحَلِفِ والنَّذْرِ والمُعامَلَةِ، فيُحِبُّ غيرَه كما يُحِبُّهُ أو أكثر، ويخافُ غيرَهُ ويرجوه كما يخافُهُ أو أكثر، وشواهِدُ أحوالِهم -بل وأقوالهم وأعمالهم- ناطِقَةٌ بأنهم يُحِبُّون أندادَهم من الأحياءِ والأموات، ويخافونهم، ويرجونهم، ويعاملونهم، ويطلبون رضاهُم، ويهربون من سخطهم، أعظمَ مما يحبون الله تعالى، ويخافونه، ويرجونه، ويهربون من سخطه، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله عَزَّوَجَلَّ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

والظلمُ عند الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة له دوَاوين ثلاثة:

- ديوَانٌ لا يَغْفِرُ اللهُ منه شيئًا؛ وهو الشِّرك به، فإنَّ الله لا يغفر أن يُشْرَك به.

- وديوَانٌ لا يَتْرُكُ الله تعالى منه شيئًا، وهو ظُلم العباد بعضُهُم بعضًا؛ فإن الله تعالى يَسْتوفِيه كلَّهُ.

- وديوَانٌ لا يَعبأُ الله به شيئًا، وهو ظُلم العبدِ نَفْسَهُ بينه وبين ربه عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ هذا الديوان أَخَفُّ الدواوين، وأسرَعُها مَحْوًا، فإنه يُمحَى بالتوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المُكَفِّرة، ونحو ذلك، بخلاف ديوان الشرك فإنه لا يُمْحَى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يُمْحَى إلا بالخروج منها إلى أربابها، واستحلالهم منها،

ولمَّا كان الشركُ أعظمَ الدواوين الثلاثة عند الله عَزَّوَجَلَّ حَرَّمَ الجنةَ على أهلِهِ، فلا تَدْخُلُ الجنةَ نفسٌ مُشْرِكة، وإنما يدخُلُها أهلُ التوحيدِ؛ فإنَّ التوحيدَ هو مفتاح بابها، فمن لم يكن معه مفتاحٌ لم يُفْتَح له بابُها، وكذلك إن أَتى بمفتاحٍ لا أسنان له لم يُمْكِن الفتحُ به.

وأسنان هذا المفتاح هي: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحجُّ، والجهادُ، والأمرُ بالمعروف، والنهيُ عن المنكر، وصدقُ الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وبِرُّ الوالدين، فأيُّ عبدٍ اتَّخَذَ في هذه الدار مفتاحًا صالِحًا من التوحيد، ورَكَّب فيه أسنانًا من الأوامر جاءَ يومَ القيامة إلى بابِ الجنة ومعه مِفْتَاحُها الذي لا تُفْتَحُ إلا به، فلم يُعِقْهُ عن الفتح عائِقٌ، اللهم إلا أن تكونَ له ذنوبٌ وخَطايا وأوزارٌ لم يذهبْ عنه أَثَرُها في هذه الدار بالتوبة والاستغفار، فإنَّهُ يُحْبَسُ عن الجنة حتى يَتَطَهَّرَ منها، وإن لم يُطَهِّره الموقفُ وأهوالُه وشدائِدُه فلا بُدَّ مِن دُخولِ النار ليَخْرُجَ خَبَثَه فيها، ويتطهَّر من ذنوبِهِ ووَسَخِهِ، ثم يخرجُ منها فيدخلَ الجنةَ، فإنَّها دارُ الطيبين لا يدخُلُها إلا طَيِّبٌ، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾، فَعَقَّبَ دخولَها على الطيب بحرف الفاء الذي يُؤذن بأنه سببٌ للدخول، أي: بسبب طِيبكم قيل لكم: ادخلوها.

وأما النار فإنها دار الخُبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب ودار الخبيثين، قال الله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، فالله تعالى يَجمعُ الخبيثَ بعضُهُ إلى بعضٍ فيَركُمَهُ كما يُرْكَمُ الشيءُ المُتراكِبُ بعْضُهُ على بعض، ثم يَجعلُهُ في جَهَنَّم مع أهله، فليس فيها إلا خبيثٌ، **ولمَّا كان الناسُ على ثلاث طبقات**: طَيِّبٌ لا يَشُوبُهُ خبثٌ، وخَبيثٌ لا طيبَ فيه، وآخرون فيهم خُبْثٌ وطِيب؛ **كانت دورهم ثلاثة**: دارُ الطِّيب المَحْضِ، ودار الخَبيث المَحْضِ، وهاتان الداران لا تفنيان، ودارٌ لِمَن معه خُبْثٌ وطِيب، وهي الدار التي تَفْنَى، وهي دارُ العصاة؛ فإنَّه لا يَبقي في جهنم من عُصاةِ

المُوَحِّدين أحدٌ، فإنَّهم إذا عُذِّبوا بقدرِ أعمالهم أُخْرِجوا من النار فأُدخِلوا الجنة، ولا يبقي إلا دار الطيب المَحْضِ، ودار الخبيث المَحْضِ.

وقوله في الحديث: «**وأمركم بالصلاةِ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإنَّ اللهَ يَنصِبُ وجهَهُ لوجْهِ عبده في صلاته ما لم يَلْتَفِت**»، الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفاتُ القلب عن الله عَزَّوَجَلَّ إلى غير الله تعالى.

الثاني: التفاتُ البَصَر، وكِلاهما مَنْهِيٌّ عنه، ولا يزال الله مُقْبِلًا على عبده ما دامَ العبدُ مُقْبلًا على صلاتِهِ، فإذا التفتَ بقلبِهِ أو بصَرِهِ أَعْرَضَ اللهُ تعالى عنه، وقد سئل رسولُ الله ﷺ عن التفاتِ الرَّجُلِ في صلاته فقال: «**هو اختِلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشيطانُ من صلاةِ العبد**»، وفي أثر آخر: يقولُ الله تعالى: «**إلى خَيْرٍ مِنِّي؟!، إلى خَيْرٍ مِنِّي؟!**»، ومَثَلُ مَن يَلتَفِتُ في صلاتِهِ ببَصَرِهِ أو بقَلْبِهِ مَثَلُ رجل قد استدعاه السلطانُ، فأَوْقَفَهُ بين يديه، وأقبلَ يُناديه ويُخاطِبُهُ، وهو في خِلال ذلك يَلتفتُ عن السلطان يمينًا وشمالًا، أو قَد انصَرَفَ قلبُهُ عن السلطان، فلا يَفْهَمُ ما يخاطبُهُ به؛ لأنَّ قلبَهُ ليس حاضرًا معه، فما ظَنُّ هذا الرجل أن يفعلَ به السلطان؟ أَفليْسَ أقل المراتب في حَقِّهِ أن ينصرِفَ من بين يديهِ مَمْقُوتًا مُبْعدًا، وقد سَقَطَ من عَينَيهِ؟! فهذا المصلِّي لا يستوي والحاضرُ القلب المقبل على الله تعالى في صلاته، الذي قد أشعر قلبَهُ عظمةَ مَن هو واقف بين يديه، فامتلأ قلبه من هيبتِهِ، وذلَّت عنقه له واستحيى من ربه تعالى أن يُقْبِلَ على غيرِه، أو يلتَفِتَ عنه، وبين صلاتَيْهما كما قال حسَّان بن عطية: «إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة وإن ما بينهما في الفَضْل كما بين السماء والأرض»، وذلك أن أحدَهما مقبلٌ بقلبه على الله عَزَّوَجَلَّ والآخر ساهٍ غافلُ.

فإذا أقبلَ العبدُ على مخلوقٍ مثلِهُ وبينَهُ وبينَهُ حِجابٌ لم يَكُنْ إقبالًا ولا تقريبًا، فما الظنُّ بالخالق عَزَّوَجَلَّ؟ وإذا أقبلَ على الخالق عَزَّوَجَلَّ وبينَهُ وبينَهُ حِجابُ الشهوات، والوساوس، والنَّفْسُ مَشْغُوفةٌ بها، ملأى منها، فكيف يكون ذلك إقبالًا وقد ألهَتْهُ الوساوس والأفكار، وذَهَبَتْ به كلَّ مَذْهَب؟! والعبدُ إذا قام في الصلاة غارَ الشيطانُ منه،

فإنه قد قام في أَعْظَمِ مَقامٍ وأقرَبِهِ وأَغْيَظِهِ للشيطان وأَشَدِّهِ عليه، فهو يَحرصُ ويجتهدُ كُلَّ الاجتهادِ أن لا يقيمَهُ فيه، بل لا يزالُ به يَعِدُهُ ويُمَنِّيه ويُنْسِيه ويجْلِبُ عليه بِخَيلِهِ ورَجِلِه حتى يُهَوِّن عليه شأنَ الصلاة، فيتهاون بها، فيَتْرُكَها، فإن عَجَزَ عن ذلك منه، وعصاهُ العبدُ، وقام في ذلك المقام؛ أقبلَ عدوُّ الله تعالى حتى يَخْطُرَ بينَهُ وبين نفسِهِ، ويَحُول بينَهُ وبينَ قلبِهِ، فيُذَكِّرَه في الصلاة ما لم يَذْكُرْ قبلَ دخولِهِ فيها، حتى ربما كان قد نَسِيَ الشيءَ و الحاجة وأَيِسَ منها فيُذَكِّره إيَّاها في الصلاة ليَشْغَلَ قلبَهُ بها، ويأْخُذَه عن الله عَزَّوَجَلَّ، فيقومَ فيها بلا قلب، فلا يَنالُ من إقبالِ الله تعالى وكَرامَتِه وقُربِهِ ما يَنالُهُ المُقْبِلُ على ربِّهِ عَزَّوَجَلَّ، الحاضِرِ بقلبِهِ في صلاته، فيَنْصَرِفُ من صلاتِهِ مِثْلَ ما دَخَلَ فيها بِخَطاياه وذنوبِهِ وأَثْقَالِهِ، لم تَخِفَّ عنه بالصلاةِ، فإنَّ الصلاةَ إنما تُكَفِّرُ سيئاتِ مَن أَدَّى حقَّها، وأَكْمَل خُشوعَها، ووَقَفَ بين يدي الله تعالى بقلبِهِ وقالَبِهِ، فهذا إذا انصرفَ منها وَجَدَ خِفَّةً من نفسِهِ، وأَحَسَّ بأَثْقَالٍ قد وُضِعَت عنه، فوَجَدَ نَشاطًا وراحَةً ورُوحًا، حتى يتمَنَّى أنه لم يَكُنْ خَرَجَ منها لأنها قُرَّةُ عَينَيهِ، ونَعِيمُ روحِهِ، وجَنَّةُ قَلبِه، ومُسْتَراحُهُ في الدنيا، فلا يزالُ كأَنَّهُ في سِجْنٍ وضِيقٍ حتى يدخلَ فيها فيستريحَ بها، لا منها، فالمُحِبُّون يقولون: نصلي فنَسْتَرِيحَ بصلاتنا، كما قال إمامُهُم وقُدْوَتُهم ونبيهم ﷺ: «**يا بلال أَرِحْنا بالصلاة**»، ولم يقل: أرِحْنا منها، وقال ﷺ: «**جُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة**»، فمن جُعِلَتْ قُرَّةُ عينِهِ في الصلاة كيفَ تَقَرُّ عينُهُ ﷺ بدونها، وكيف يُطِيقُ الصبرَ عنها؟ فصلاة هذا الحاضِرِ بقلبه الذي قُرَّة عينه في الصلاة هي التي تَصْعَدُ ولها نور وبرهان، حتى يُسْتَقْبَلَ بها الرحمنُ عَزَّوَجَلَّ فتقول: (حَفِظَكَ اللهُ تعالى كما حَفِظْتَني)، وأمَّا صلاةُ المُفَرِّطُ المُضَيِّعُ لحُقُوقِها وحُدُودِها وخُشُوعِها فإنَّها تُلَفُّ كما يُلَفُّ الثوبُ الخَلِقُ، ويُضْرَبُ بها وَجْهُ صاحِبِها، وتقول: (ضَيَّعَكَ الله كما ضَيَّعْتني).

وقد رُوِيَ في حديثٍ مرفوع رواهُ بَكْرُ بن بِشْر، عن **سَعِيد بن سِنان**،[1] عن أبي الزَّاهِرِيَّة، عن أبي شَجَرة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يرفعُهُ أنه قال: «**ما مِن مُؤْمِنٍ يُتِمُّ**

---

(١) **مُتَّفَقٌ على شِدَّة ضعفِهِ، ورماه الدارقطني والجوزجاني بوضع الحديث**. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ١٤٥)، و«إكمال تهذيب الكمال» لمُغَلطاي (٥/ ٣١٠)، ولذا صدر المصنِّف الحديث بقوله: (رُوي).

الوضوءَ إلى أماكنِهِ، ثم يقوم إلى الصلاة في وقتها، فيُؤَدِّيها لله ﷻ؛ لم يُنْقِص من وَقْتِها ورُكُوعِها وسُجُودِها ومعالِمِها شيئًا إلا رُفِعَت له إلى الله ﷻ بيضاءَ مُسْفِرَة، يَسْتَضِيءُ بنُورِها ما بين الخافِقَين، حتى يُنْتَهى بها إلى الرحمن ﷻ، ومَن قام إلى الصلاة فلم يُكْمِل وُضوءَها، وأخَّرَها عن وَقْتِها، واسْتَرَقَ رُكوعَها وسُجُودَها ومَعالِمَها، رُفِعَتْ عنه سَوداءَ مُظْلِمَة، ثم لا تُجَاوِزُ شعرَ رَأْسِهِ تقول : (ضَيَّعَك الله كما ضَيَّعْتَني، ضَيَّعَك الله كما ضَيَّعْتَني)».

فالصلاة المقبولةُ والعملُ المقبولُ أن يصليَ العبدُ صلاةً تَليق بربِّهِ ﷻ، فإذا كانت صلاةٌ تَصْلُحُ لرَبِّه تَبارَكَ وتَعالَى، وتَليقُ به كانت مقبولةً، **والمقبول من العمل قِسمان:**

أحدُهُما: أن يُصَلِّيَ العبدُ ويعملَ سائرَ الطاعاتِ وقلبُهُ مُتَعَلِّقٌ بالله ﷻ، ذاكرٌ لله ﷻ على الدوام، فأعمالُ هذا العَبْدِ تُعْرَضُ على الله ﷻ حتى تَقِفَ قبالَتَهُ، فينظرُ الله ﷻ إليها، فإذا نَظَرَ إليها رآها خالِصَةً لِوَجْهِهِ مَرْضِيَّة، قد صَدَرتْ عن قلبٍ سَلِيمٍ، مُخْلِصٍ، مُحِبٍّ لله ﷻ، مُتَقَرِّبٍ إليه، أَحَبَّها ورَضِيَها وقَبِلَها.

والقسم الثاني: أن يعملَ العبدُ الأعمالَ على العادةِ والغفلةِ وينوي بها الطاعة والتقرب إلى الله، فأركانُهُ مشغولَةٌ بالطاعة، وقلبُهُ لاهٍ عن ذكر الله، وكذلك سائر أعماله، فإذا رُفِعَت أعمال هذا إلى الله ﷻ لم تَقِفْ تِجَاهَهُ، ولا يقعُ نَظَرُهُ عليها، ولكن تُوضع حيث تُوضع دواوين الأعمال، حتى تُعرضَ عليه يوم القيامة فتُمَيَّزَ، فيُثِيبه على ما كان له منها، ويُرَدُّ عليه ما لم يُرِد وَجْهَهُ به منها، فهذا قبولُهُ لهذا العمل إثابَتُهُ عليه بمخلوق من مخلوقاته؛ من القُصُور والأكل والشرب والحور العين، وإثابة الأول رضاهُ العملَ لنَفْسِهِ، ورِضاهُ على عامله، وتَقْريبه منه، وإعلاءُ درجته ومنزلته، فهذا يُعطيه بغير حِساب، فهذا لون والأول لون.

والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مَرْتَبَةُ الظالمِ لنفسِهِ، المُفَرِّط؛ وهو الذي انتقصَ من وُضُوئِها، ومَوَاقيتِها، وحُدُودِها، وأَرْكانِها.

الثاني: من يُحافِظُ على مَواقِيتها، وحُدُودِها، وأركانِها الظاهرة، ووضوئِهَا، لكنَّه قد ضَيَّعَ مُجَاهَدةَ نَفْسِه في الوَسْوَسة، فذهبَ مع الوَساوس والأَفكار.

الثالث: مَن حافظَ على حُدودِها، وأركانها، وجاهدَ نفسَهُ في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغولٌ بمجاهدةِ عَدُوِّه لئلَّا يَسرق منه صلاتَهُ، فهو في صلاةٍ وجهاد.

الرابع: مَن إذا قام إلى الصلاة أكملَ حُقوقَها، وأركانَها، وحُدودَها، واسْتَغْرَقَ قلبَه مراعاةُ حُدُودِها وحُقُوقِها لئلَّا يُضَيِّع منها شيئًا، بل هَمُّهُ كلُّه مَصْروفٌ إلى إقامَتها كما ينبغي، وإكمالِها وإتمامها، قد استغرق قلبَهُ شأنُ الصلاةِ، وعبوديَّةُ ربِّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أَخَذَ قلبَهُ ووَضَعَهُ بين يدي ربِّه عَزَّوَجَلَّ، ناظِرًا بقَلبِه إليه، مُراقِبًا له، مُمْتَلئًا من مَحَبَّتِهِ وعَظَمتِه، كأنه يراهُ ويشاهِدُه، وقد اضْمَحَلَّتْ تلك الوَساوس والخَطَرات، وارْتَفَعَتْ حُجُبُها بينَهُ وبين رَبِّه، فهذا بينَهُ وبينَ غيرِهِ في الصلاة أعظمُ مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاتِهِ مَشغولٌ بربِّهِ عَزَّوَجَلَّ، قَرِير العَينِ به.

فالقسم الأول مُعاقَبٌ، **والثاني** مُحاسَبٌ، **والثالث** مُكَفَّرٌ عنه، **والرابع** مُثابٌ، **والخامِس**: مُقَرَّبٌ؛ لأنَّ له نصيبًا مِمَّن جُعِلَتْ قُرَّةُ عينِهِ في الصلاة، فمَن قَرَّتْ عينُهُ بصلاته في الدنيا، قَرَّتْ عينُهُ بقُرْبِهِ من ربِّه عَزَّوَجَلَّ في الآخرة، وقَرَّتْ عينُهُ أيضًا به في الدنيا، ومن قَرَّتْ عينُهُ بالله قَرَّتْ به كُلُّ عينٍ، ومَن لم تَقَرَّ عينُهُ بالله تعالى تَقَطَّعَتْ نفسُهُ على الدنيا حَسَرات.

وقد رُوِيَ أن العبدَ إذا قام يصلي قال الله عَزَّوَجَلَّ: «**ارفعوا الحُجُبَ بيني وبين عبدي، فإذا التَفَتَ قال: أَرْخُوها**»[1]، وقد فُسِّرَ هذا الالتِفات بالتفاتِ القلبِ عن الله عَزَّوَجَلَّ إلى غيره، فإذا التفتَ إلى غيره أَرخَى الحِجَابَ بينَهُ وبينَ العبدِ، فدَخَلَ الشيطانُ وعَرَضَ عليه أمورَ الدنيا، وأراه إِيَّاها في صورة المِرآة، وإذا أقبلَ بقلبه على الله ولم يَلتفتْ، لم

(١) قال الحافظُ العِراقيُّ في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ١١٩): «**لم أَجِدْهُ**».

يَقدِر الشيطانُ على أن يتوسطَ بين الله تعالى وبين ذلك القلب، وإنمَّا يدخلُ الشيطانُ إذا وَقَعَ الحجابُ، فإنْ فَـرَّ إلى الله تعالى وأَحْضَرَ قلبَهُ فَـرَّ الشيطانُ، فإن التَفَتَ حَضَرَ الشيطانُ، فهو هكذا شأنه وشأنُ عدُوِّهِ في الصلاة.

فَصل

وإنما يَقْوى العبدُ على حضورِهِ في الصلاة واشتغالِهِ فيها بربِّهِ عَزَّوَجَلَّ إذا قَـهَـرَ شَهْوَتَه وهَوَاهُ، وإلا فَقَلْبٌ قد قَهَرتْهُ الشَهوةُ وأَسَرَهُ الهَوَى، ووَجَدَ الشيطانُ فيه مَقْعَدًا تمَكَّن فيه، كيف يَخْلُصُ من الوساوس والأفكار؟! **والقلوب ثلاثة:**

– **قلبٌ خالٍ من الإيمان وجَميعِ الخيرِ**، فذلك قلبٌ مُظلمٌ، قد اسْتَراحَ الشيطانُ من إلقاءِ الوساوس إليه؛ لأنه قد اتَّخَذَه بيتًا ووَطَنًا، وتحَكَّمَ فيه بما يريدُ، وتمكن منه غاية التَّمَكُّن.

– **القلب الثاني**: قلبٌ قد اسْتَنار بنورِ الإيمان، وأوقدَ فيه مِصباحَهُ، لكن عليه ظُلمةُ الشَّهوات، وعواصفُ الأهوية، فللشَّيطان هناك إِقبالٌ وإِدْبار، ومُجَاولات ومَطامع، فالحَرْبُ دُوَلٌ وسِجَال، وتختلف أحوال هذا الصنف بالقِلَّة والكثرة؛ فمنهم مَن أوقاتُ غَلَبَتِهِ لعَدُوِّه أكثر، ومِنهم مَن أوقات غلبة عَدُوِّه له أكثر، ومنهم من هو تارة وتارة.

القلب الثالث: قلبٌ مَحْشُوٌّ بالإيمان، قد اسْتَنار بنور الإيمان، وانقَشَعَتْ عنه حُجُبُ الشَّهوات، وأقلَعَتْ عنه تلكَ الظلمات، فَلِنُورِهِ في قلبِهِ إِشْراقٌ، ولذلك الإِشراق إِيقادٌ؛ لو دَنا منه الوسواس احتَرَقَ به، فهو كالسماء التي حُرِسَتْ بالنُّجوم، فلو دنا منها الشيطانُ لِيَتَخَطَّاها رُجِمَ فاحتَرَقَ، وليست السماءُ بأَعْظَم حُرمَةً من المؤمن، وحِراسَةُ الله تعالى له أَتـمُّ من حِراسَة السماء، والسماءُ مُتَعَبَّدُ الملائكة، ومُسْتَقَرُّ الوحي، وفيها أنوار الطاعات، وقلبُ المؤمن مُسْتَقَرُّ التوحيد، والمحبة، والمَعرفة، والإيمان، وفيه أنوارُها، فهو حَقِيقٌ أن يُحْرَسَ ويُحفظَ من كيد العدو، فلا ينالُ منه شيئًا

إلا على غِرَّة وغفلة خَطْفَةً، وقد مُثِّلَ ذلك بمِثَالٍ حَسَنٍ، **وهو ثلاثة بيوت**: بيتٌ للمَلِكِ فيه كنوزُهُ وذخائِرُهُ وجواهِرُهُ، وبيتٌ للعبدِ فيه كنوزُ العبدِ وذخائِرُهُ وجواهرُهُ، وليس فيه جواهرُ الملك وذخائرُهُ، وبيت خالٍ، صِفْرٌ لا شيءَ فيه، فجاءَ اللصُّ لِيَسْرقَ من أحد البيوت، فمِن أيِّها يسرقُ؟

فإن قُلتَ: من البيت الخالي كان مُحَالًا، لأنَّ البيتَ الخالي ليس فيه شيءٌ يُسْرَق، ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما: «**إن اليهودَ تزعم أنها لا توسوس في صلاتها، فقال: وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب؟!**».

وإن قُلتَ: يسرقُ من بيت المَلِك، كان ذلك كالمستحيل المُمْتَنِع؛ فإنَّ عليه من الحَرَس واليَزَك[1]، ما لا يستطيعُ اللِّصُّ الدُّنُوَّ منه، كيفَ وحارِسُهُ المَلِكُ بنفسه؟! وكيفَ يستطيعُ اللِّصُّ الدنوَّ منه وحَوْلَه من الحَرَسِ والجُنْدِ ما حَولَهُ؟!

فلم يَبقَ للِّصِّ إلا البيتُ الثالث، فهو الذي يَشُنُّ عليه الغارة.

فليتأمل اللبيبُ هذا المثالَ حقَّ التأمُّل، ولْيُنْزِله على القلوب، فإنَّها على مِنْوالِهِ؛ فقَلْبٌ خَلا من الخَيرِ كُلِّهِ، وهو قَلْبُ الكافر والمنافق، فذلك بيت الشيطان، قد أحْرَزَه لِنَفْسِهِ، واستَوطَنَه، واتَّخَذَه سَكَنًا ومُسْتقَرًّا، فأيُّ شيءٍ يَسْرِقُ منه وفيه خزائِنُهُ وذخائِرُهُ وشُكُوكُهُ وخَيالاتُهُ ووساوِسُهُ؟!

وقلب قد امتلأ من جلال الله عَزَّوَجَلَّ وعظمَتِهِ ومحبته ومراقبته والحياء منه، فأيُّ شيطان يَجْتَرِئُ على هذا القلب؟ وإن أرادَ سَرِقَةَ شيءٍ منه فماذا يَسْرِقُ؟! وغايتُهُ أن يظفرَ في الأَحايين منه بِخَطفَةٍ ونَهْبةٍ تَحصلُ له على غِرَّةٍ من العبد، وغفلة لا بد له منها؛ إذ هو بَشَرٌ، وأحكامُ البشرية جارية عليه من الغفلة والسهو والذهول وغلبة الطبع، وقد ذُكِرَ عن وَهْبِ بن مُنَبِّه رحمه الله أنه قال: «وفي بعض الكتب الإلهية: (**لَسْتُ أسكنُ البيوت، ولا تَسَعُني، وأيُّ بيتٍ يَسَعُني والسماوات حَشْوُ كرسيِّي؟ ولكن أنا في قلبِ المُؤْمِن**

(١) **اليَزَكُ**: كلمةٌ فارسيَّة يُراد بها الحاجز بين الجيش والعَدو، وتُطلق أيضًا على مَن يحرسُ طلائع الجيش.

الوادع، التاركِ لكلِّ شيءٍ سِواي) »، وهذا معنى الأثر الآخر: «**ما وَسِعْتني سماواتي ولا أرضي ووَسِعَني قلبُ عبدي المؤمن**»[1].

وقلبٌ فيه توحيدُ الله تعالى ومعرفَتُهُ ومحبَّتُهُ والإيمانُ به والتصديقُ بوَعْدِهِ ووَعِيده، وفيه شهواتُ النفس وأخلاقُها ودواعي الهوى والطَّبع، وقلبٌ بين هذين الداعِيَيْن؛ فمرَّة يَمِيلُ بقلبه داعي الإيمان والمعرفة والمحبة لله تعالى وإرادته وَحْدَه، ومَرَّة يميل بقَلْبه داعي الهوى والشيطان والطِّباع، فهذا القَلْبُ للشيطان فيه مَطْمَعٌ، وله منه مُنازَلات ووَقَائع، ويعطي اللهُ النصرَ من يشاء: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾، وهذا لا يتمَكَّنُ الشيطان منه إلا بما عِنْدَه من سِلَاحِهِ، فيدخلُ الشيطان إليه فيَجِدُ سلاحَهُ عنده، فيأخُذَه ويُقَاتله به، فإنَّ أَسْلحَتَهُ هي الشهوات والشُّبُهات والخيالات والأماني الكاذبة، وهي في القلب، فيدخلُ الشيطانُ فيَجِدُها عنده، فيأخُذُها ويَصُولُ بها على القلب، فإن كان عند العَبْدِ عُدَّةٌ عَتِيدة من الإيمان تُقاوم تلك العُدَّة وتزيدُ عليها انتَصَفَ مِنَ الشيطان، وإلا فالدَّوْلةُ لعَدُوِّه عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، فإذا أَذِنَ العبدُ لِعَدُوِّه، وفَتَحَ له بابَ بيتِه، وأَدْخَلَه عليه، ومَكَّنَهُ من السِّلاحِ يُقَاتِلُه به فهو المَلُوم.

فَنَفْسَكَ لُمْ، ولا تَلُمِ الْمَطايَا ... ومُتْ كَمَدًا فليْسَ لكَ اعتذارُ

فَصْل

عُدنا إلى شَرْح حديث الحَارث الذي فيه ذِكر ما يُحْرِزُ العبدَ من عدوِّه:

قوله ﷺ: «**وأمركم بالصيام، فإنَّ مَثَل ذلك مَثَل رَجُل في عِصابة معه صُرَّة فيها مِسكٌ، فكلهم يُعجَبُ أو يُعجِبُهُ ريحه، وإن رِيح الصائم أطيبُ عند الله من ريح المِسك**»،

---

(١) سُئل شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٧٦) عن هذه الآثار وما جاء في معناها فقال: «**هذا مذكورٌ في الإسرائيليات، ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ**، ومعنى:(وسعني قلبُهُ) أي: الإيمان بي، ومحبتي، ومعرفتي، وإلا من قال: إن ذات الله تَحُلُّ في قلوب الناس فهذا أكفرُ من النصارى .الذين ـ خصوا ذلك بالمسيح وحده».

إنما مَثَّل ﷺ ذلك بصاحب الصُّرة التي فيها المِسك؛ لأنها مَستورة عن العيون، مَخْبوءَةٌ تحت ثيابه كعادة حامل المِسك، وهكذا الصائم صومُهُ مَستور عن مشاهدة الخلق، لا تُدركه حواسُّهم، **والصائم**: هو الذي صامت جوارحُهُ عن الآثام، ولسانُهُ عن الكذب والفُحْش وقَول الزُّور، وبطنُهُ عن الطعام والشراب، وفَرْجُهُ عن الرَّفَث، فإن تكلَّم لم يتكلَّم بما يَجْرح صومَهُ، وإن فعل لم يفعلْ ما يُفسِد صومَهُ، فيخرج كلامُهُ كله نافعًا صالحًا، وكذلك أعمالُهُ فهي بمِنزلة الرَّائحة التي يشمُّها مَن جالَسَ حامِل المِسك، كذلك مَن جالس الصَّائم انتفَع بمُجالستِه له، وأمِن فيها من الزُّور، والكَذب، والفُجور، والظُّلم، هذا هو الصَومُ المَشروع لا مُجرَّد الإمساك عن الطعام والشراب، ففي الحديث الصَّحيح: «**مَن لم يَدعْ قَول الزُّور والعمل به والجهلَ، فليس لله حاجة أن يدَعَ طعامَهُ وشرابَهُ**»، وفي الحديث: «**ربَّ صائمٍ حظُّهُ من صِيامِهِ الجُوعُ والعَطَش**»، فالصَّوم هو صَوم الجَوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يَقْطعُهُ ويُفسدُه، فكذلك الآثام تقطَعُ ثوابَهُ، وتُفسد ثمرته، فتُصيِّره بمَنزلة من لم يَصُم.

وقد اختُلِف في وجود هذه الرائحة من الصائم؛ هل هي في الدنيا أو في الآخرة؟ على قولَيْن، ووقَع بين الشيخَين الفاضِلَين أبي محمد ابن عبد السلام، وأبي عمرو ابن الصلاح في ذلك تنازُعٌ، فمَالَ أبو محمد إلى أنَّ تلك في الآخرة خاصَّة، وصنَّف فيه مصنَّفًا، ومال الشيخُ أبو عمرو إلى أنَّ ذلك في الدنيا والآخرة، وصنَّفَ فيه مُصنَّفًا ردَّ فيه على أبي محمد، وسلَكَ أبو عمرو في ذلك مسلَك أبي حاتم بن حبان؛ فإنه في «صحيحه» بوَّب عليه كذلك، فقال: (ذكرُ البَيَان بأنَّ خَلوف فمِ الصائم أطيبُ عند الله تعالى من ريح المِسك)، ثم ساق حديث الأعمَش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**كُلُّ عَمل ابن آدم له إلا الصيام، والصيامُ لي، وأنا أجْزي به، ولخَلُوف فمِ الصائم أطيبُ عند الله من ريح المِسك**»، ثم قال: (ذكر البيان بأن خَلوف فم الصائم يكون أطيبُ عند الله من ريح المسك يوم القيامة)، ثم ساق حديثًا من حديث ابن جُريجْ، عن عَطاء، عن أبي صالح الزَّيات، أنه سَمِع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تَبارَكَ وتَعالَى**: (**كلُّ**

عمِل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجْزي به)، والذي نفسُ محمدٍ بيَدِه لخَلُوف فمِّ الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المِسك، للصائم فَرحتان: إذا أفطَرَ فَرِح بفطره، وإذا لقَي الله تعالى فَرِح بصَوْمه»، قال أبو حاتم: (شِعار المؤمنين يوم القيامة التَّحْجيل بوضوئهم في الدنيا فَرْقًا بينهم وبين سائر الأمم، وشِعارُهُم في القيامة بصومهم؛ طِيب خَلُوف أفواهِهِم أطيب من ريح المِسك؛ لِيُعرَفوا من بين سائر الأمم في ذلك الجَمْع بذلك العمل، جعلنا الله تعالى منهم)، ثم قال: (ذكر البيان بأن خَلوف فمِ الصائم قد يكون أيضًا أطيبُ من ريح المِسك في الدنيا)، ثم ساق مِن حديث شُعبة، عن سليمان، عن ذَكوان، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**كلُّ حسنةٍ يَعملُها ابن آدم بعشرِ حَسَنات إلى سبعمائة ضعفٍ، يقول الله: (إلا الصومُ فهو لي، وأَنا أَجْزِي به، يَدعُ الطعام من أجلي، والشراب من أجلي، وللصائم فَرْحتان: فرحةٌ حين يُفْطر، وفرحةٌ حين يلقى ربَّه، ولخَلوفُ فمِ الصائم حين يَخْلفُ من الطعام أطيبُ عند الله من ريح المِسك)**».

واحتجَّ الشيخ أبو محمد بالحديث الذي فيه تَقْييد الطِّيب بيوم القيامة.

قُلتُ: ويشهدُ لقوله الحديث المتفق عليه: «**والذي نَفسِي بيده ما من مَكْلوم يُكْلَم في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة وكَلْمُه يَدمى، اللونُ لون دَمٍ، والرِّيحُ ريحُ مِسْكٍ**»، فأخبر ﷺ عن رائحة كَلْم المَكْلُوم في سبيل الله ﷻ بأنها كريح المِسك يوم القيامة، وهو نَظِير إخبارِهِ عن خَلوف فمِ الصائم، فإنَّ الحِسَّ يدُلُّ على أن هذا دمٌ في الدنيا، وهذا خَلوف، ولكن يَجعل الله تعالى رائحةَ هذا وهذا مِسْكًا يوم القيامة.

واحتجَّ الشيخ أبو عمرو بما ذَكره أبو حاتم في «صحيحه» من تقييده ذلك بوقت إِخْلافه، وذلك يدلُّ على أنه في الدنيا، فلما قيَّد المبتدأ وهو: (خَلوف فَمِ الصائم) بالظَّرف وهو قوله: (حِين يخلف)، كان الخَبر عنه وهو قوله: (أطيبُ عند الله) خبرًا عنه في حال تقييده، فإنَّ المبتدأَ إذا تَقَيَّد بوَصْف، أو حالٍ، أو ظرَف كان الخبرُ عنه حالَ كونه مُقيدًا، فدلَّ على أنَّ طِيبه عند الله تعالى ثابتٌ حال إِخلافه، قال: ورَوى الحسن بن سُفيان في «مسنده» عن جابر أن النبي ﷺ قال: «**أُعْطَيتْ أمتي في شهر رمضان خمسًا..**»

فذكر الحديث، وقال فيه: «**وأما الثانية: فإنهم يُمْسُون وريحُ أفواهِهِم أطيبُ عند الله من ريح المِسك**»[1]، ثم ذكر كلام الشُّرَّاح في مَعنى: (**طِيبِهِ**)، وتَأويلهم إيَّاه بالثناء على الصائم، والرِّضَى بِفعلِه على عادةِ كثيرٍ منهم بالتأويل من غير ضَرورةٍ، حتى كأنه قد بُورِكَ له فيه، فهو مُوَكَّلٌ به، **وأيُّ ضرورةٍ تَدعو إلى تأويل كونه (أطيب عند الله من ريح المسك) بالثناء على فاعِلِه، والرِّضى بفعله، وإخراجِ اللَّفظ عن حقيقته؟!**

وكثيرٌ مِن هؤلاء يُنْشِئ للَّفظِ معنًى، ثم يدَّعي إرادَةَ ذلك المَعنى بلفظ النَّص، مِن غير نظرٍ منه إلى استعمالِ ذلك اللفظ في المعنى الذي عيَّنَهُ، أو احتمال اللُّغة له، ومعلومٌ أنَّ هذا يتضَمَّن الشهادةَ على الله تعالى ورسوله ﷺ بأنَّ مراده من كلامِهِ كَيْت وكَيْت، فإن لم يكن ذلك معلومًا بوَضعِ اللَّفظ لذلك المَعنى، أو عُرْفِ الشَّارع ﷺ، وعادَتِهِ المطَّرِدَة، أو الغَالبة باستِعمال ذلك اللَّفظ في هذا المعنى، أو تفسيره له به وإلا كانت شَهادة باطِلة، وأدنى أحوالها أن تكونَ شهادة بلا علمٍ، ومِن المَعلوم أنَّ أطيبَ ما عند الناس من الرائحة رائحةُ المِسْك، فمَثَّل النبي ﷺ طِيبَ هذا الخَلُوف عند الله تعالى بطيبِ رائحة المسك عندنا وأعظم، **ونِسبَةُ استِطَابة ذلك إليه ﷻ كنِسْبَة سائر صفاتِهِ وأفعالِهِ إليه، فإنها استِطَابةٌ لا تُماثِلُ استِطَابةَ المخلوقين، كما أنَّ رِضاه، وغضبَهُ، وفرحَهُ، وكَراهتَهُ، وحبَّهُ، وبُغضَهُ، لا تُماثل ما للمخلوق من ذلك، كما أنَّ ذاتَه ﷻ لا تُشْبِهُ ذَوَات خَلقِهِ، وصفاتِهُ لا تُشبه صفاتِهم، وأفعالَهُ لا تُشبه أفعالَهم**، وهو ﷻ يَستَطيبُ الكَلِمَ الطيِّب، فيصعَدُ إليه، والعملَ الصالحَ فيرفَعُه، وليست هذه الاستِطَابةُ كاستِطَابتنا، ثم إنَّ تأويلَهُ لا يَرفعُ الإشكال، إذ ما استَشْكَله هؤلاء من الاستِطَابة يَلزم مثلُهُ في الرِّضى، فإن قالوا: رِضاه ليس كرِضى المخلوقين، فقولوا: استِطَابتُهُ ليست كاستِطَابةِ المخلوقين، وعلى هذا جميع ما يجيء من هذا الباب.

ثم قال: (وأمَّا ذِكر يوم القيامة في الحديث؛ فلأنه يوم الجزاء، وفيه يَظهرُ رُجْحان

---

(١) في إسناده زيد بن الحواري العمّي، وقد ضعَّفَهُ أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، وابن سعد، وابن المديني، والنسائي، والعجلي وابن عبد البر، وغيرهم، والراوي عنه الهيثم بن الحواري، مجهول الحال. انظر: «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر (٣/ ٤٠٩).

الخَلوف في الميزان على المِسْكِ المُستَعمل لِدَفعِ الرائحة الكَريهة، طلبًا لِرضى الله تعالى، حيث يُؤمر باجتنابها واجْتِلاب الرائحة الطيِّبة، كما في المساجد والصلوات وغيرها من العبادات، فخصَّ يومَ القيامة بالذِّكر في بعضِ الرِّوايات، كما خصَّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾، وأطلقَ في باقِيها نظرًا إلى أنَّ أَصْلَ أفضَليَّتِهِ ثابِتٌ في الدَّارَين).

قلت: مِن العَجب ردُّه على أبي محمد بما لا يُنْكِرُهُ أبو محمد ولا غيره، فإن الذي فسَّر به الاستِطَابة المَذكورة في الدنيا بِثَناء الله تعالى على الصائمين ورِضاهُ بفعلهم أمرٌ لا يُنكِرهُ مُسْلمٌ، فإنَّ الله تعالى قد أثنى عليهم في كتابه، وفيما بَلَّغَهُ عنه رسول الله ﷺ، ورَضِي بفعلهم، فإنْ كانت هذه هي الاستطابة أَفَتُرى الشيخ أبا محمد ينكرها؟! والذي ذكره الشيخ أبو محمد أنَّ هذه الرائحة إنما يَظهرُ طِيبُها على طِيبِ المِسْك في اليوم الذي يظهرُ فيه طِيبُ دَمِ الشهيد، ويكونُ كرائحةِ المِسْك، ولا رَيبَ أن ذلك يومَ القِيامة، فإنَّ الصائمَ في ذلك اليوم يجيءُ ورائحةُ فَمِهِ أطيبُ من رائحة المِسْكِ، كما يَجيء المَكْلُومُ في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ ورائحةُ دَمِهِ كذلك، لا سيما والجهادُ أفضلُ من الصيام، فإذا كان طِيبُ رائحتِهِ إنما يظهرُ يوم القيامة، فكذلك الصائم.

وأما حديث جابر رضي الله عنه: «**فإنهم يُمْسُون وخَلُوفُ أَفْواهِهِم أَطيبُ من رِيحِ المِسْك**» فهذه جملةٌ حاليَّةٌ لا خَبَريَّة، فإنَّ خبرَ إمْسَائِهم لا يَقترنُ بالواو؛ لأنه خبرٌ مُبتدَأ، فلا يجوز اقترانُهُ بالواو، وإذا كانت الجملةُ حاليَّةً فلأَبي محمد أن يقول: (هي حالٌ مُقَدَّرةٌ، والحالُ المُقَدَّرة يجوزُ تأخيرُهَا عن زَمنِ الفِعلِ العامِلِ فيها، ولهذا لو صَرَّحَ بيوم القيامة في مثل هذا فقال: (يُمسُون وخَلُوف أفواهِهِم أطيبُ مِن رِيحِ المِسْكِ يوم القيامة) لم يَكُنْ التَّركيبُ فاسدًا، كأَنه قال: (يُمْسُون وهذا لهم يوم القيامة).

وأما قولُهُ: «**لَخَلُوفُ فَمِ الصائم حين يخلف**» فهذا الظَّرفُ تحقيقٌ لمعنى المبتدأ، وتأكيدٌ له، وبيانُ إرادةِ الحقيقة المفهومة منه، لا مَجَازُهُ، ولا استِعارتُهُ، وهذا كما تقول: (جهادُ المؤمنِ حينَ يُجاهد، وصلاتُهُ حينَ يُصلي يَجزيه الله تعالى بها يَومَ القيامة، ويرفع بها درجَتَهُ يوم القيامة)، وهذا قريبٌ من قوله ﷺ: «**لا يَزني الزَّاني حين يَزني وهو مُؤمن،**

ولا يَشربُ الخمرَ حين يشرَبُها وهو مؤمن»، وليس المرادُ تقييدُ نفي الإيمان المطلقِ عنه حَالةَ مُباشَرة تلك الأفعال فقط؛ بحيثُ إذا كَمُلَتْ مباشرَتُهُ وانقطعَ فِعلُهُ عاد إليه الإيمان، بل هذا النفيُ مُسْتمِرٌ إلى حينِ التَّوبةِ، وإلا فما دام مُصِرًّا -وإن لم يُبَاشِر الفعلَ- فالنَّفيُ لاحِقٌ به، ولا يزولُ عنه اسم الذنب والأحكام المترتبة على المباشرة، إلا بالتوبة النصوح، والله ﷻ أعلم.

قلتُ: وفَصْلُ النِّزاع في المسألة أن يُقال: حيثُ أخبرَ النبيُّ ﷺ بأنَّ ذلك الطِّيبَ يكون يوم القيامة فلِأنَّهُ الوقتُ الذي يَظْهَرُ فيه ثواب الأعمال وموجباتُها من الخير والشر، فيظهرُ للخلقِ طِيبُ ذلك الخَلُوف على المِسْك، كما يظهرُ فيه رائحةُ دَمِ المَكْلُوم في سَبِيله كرائِحَة المِسْك، وكما تظهرُ فيه السَّرائِرُ وتَبدُو على الوجوه، وتصيرُ عَلانيةً، ويَظهرُ فيه قُبْحُ رائحةِ الكُفَّار وسَوَادُ وجوهِهِم، وحيثُ أخبرَ بأن ذلك: (حين يخلف)، و(حين يُمسون) فَلِأنَّهُ وقتُ ظهورِ أَثرِ العِبادة، ويكونَ حِينَئِذٍ طِيبُها زائدًا على رِيح المِسْكِ عند الله تعالى، وعندَ مَلائِكتِه، وإن كانت تلك الرائحةُ كريهةً للعِبادِ، فَرُبَّ مَكروهٍ عند الناس محبوبٍ عند الله تعالى، وبالعكس، فإنَّ الناسَ يكرهونَهُ لمُنافَرَتِهِ طِباعَهم، والله تعالى يَسْتَطِيبُهُ ويُحِبُّهُ لموافقته أَمْرَه ورِضاهُ ومحبَّتَهُ، فيكون عنده أَطيبُ من ريح المسك عندنا، فإذا كان يومُ القيامة ظَهَرَ هذا الطيبُ للعباد، وصارَ عَلانيةً، وهكذا سائِرُ آثارِ الأعمال من الخير والشر، وإنَّما يَكْملُ ظُهورُها ويَصيرُ علانية في الآخرة، وقد يَقْوَى العملُ ويَتزايدُ حتى يَستلزمَ ظُهورَ بعض أثره على العبد في الدنيا في الخير والشر، كما هو مُشاهَدٌ بالبَصَر والبَصِيرة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إنَّ للحسنة ضياءً في الوَجْهِ، ونورًا في القَلبِ، وقُوةً في البدن، وسَعَةً في الرِّزق، ومحبةً في قلوب الخلق، وإنَّ للسيئة سوادًا في الوجه، وظُلْمةً في القلب، ووَهَنًا في البدن، ونَقْصًا في الرِّزق، وبِغْضَةً[1] في قلوب الخلق»، وقال عثمان ابن عفان رضي الله عنه: «ما عَمِلَ رجلٌ عَمَلًا إلا أَلبَسَهُ اللهُ تعالى رِدَاءَهُ؛ إنْ خيرًا فخيرٌ، وإن شَرًّا فَشَرٌّ»،

(١) **البِغْضَة**: بكسر الباء، شِدَّةُ البُغضِ، وهو ضِدُّ المَحبَّة. انظر: «تاج العروس» للزبيدي (١٨/ ٢٤٧).

وهذا أمرٌ مَعلومٌ، يَشتركُ فيه وفي العلم به أصحابُ البصائرِ وغيرهم، حتى إنَّ الرجلَ الطَّيبَ البَرَّ لتَشُمُّ منهُ رائحةً طيبةً، وإن لم يَمَسَّ طيبًا، فيظهَرُ طِيبُ رائحةِ رُوحِهِ على بَدَنِهِ وثيابِهِ، والفاجرُ بالعكس، والمزكومُ الذي أصابَهُ الهَوى لا يَشُمُّ لا هذا ولا هذا، بل زُكامُهُ يحمِلُهُ على الإنكار، **فهذا فَصْلُ الخِطاب في هذه المسألة**، والله ﷻ أعلم بالصواب.

فَصل

وقولُهُ: «**وأَمَركُم بالصدقة؛ فإنَّ مَثَلَ ذلك مَثَلُ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ فأَوْثَقوا يَدَه إلى عُنُقِهِ، وقدَّموهُ ليَضْرِبوا عُنُقَهُ، فقال: أنا أفتدي منكم بالقَليل والكثير، ففَدَى نفسَهُ منهم**»، هذا أيضًا من الكلام الذي بُرهانُهُ وُجُودُهُ، ودَلِيلُهُ وُقُوعُهُ؛ فإنَّ للصدقةِ تأثيرًا عَجيبًا في دَفعِ أنواعِ البَلاء ولو كانت من فاجِرٍ أو ظالم، بل مِن كافِرٍ، فإنَّ اللهَ تعالى يَدفَعُ بها عنه أَنواعًا من البَلاء، وهذا أمرٌ معلومٌ عند الناسِ -خاصَّتِهم وعامَّتِهم-، وأهلُ الأرضِ كُلُّهم مُقِرُّون به؛ لأَنهم قد جَرَّبوه.

وقد روى الترمذيُّ في «جامِعه» من حديث أنسٍ بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الصَّدقةَ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّب، وتَدْفَعُ مِيتةَ السُّوء**»[1]، وكما أنها تُطْفِئُ غضبَ الربِّ تبارك وتعالى فهي تُطْفِئُ الذُّنوبَ والخطايا كما تُطْفِئُ الماءُ النارَ.

وفي الترمذي عن معاذ بن جبل قال: «كنت مع رسول الله ﷺ في سَفَرٍ فأَصْبَحْتُ يومًا قريبًا منه ونحن نَسِير، فقال: (**ألا أَدُلُّك على أبواب الخير؟ الصومُ جُنَّةٌ، والصَّدقةُ تُطفِئُ الخَطيئةَ كما يُطفِئُ الماءُ النارَ، وصلاةُ الرَّجل في جوفِ الليلِ**) ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾».

---

(١) في إسناده عبد الله بن عيسى الخَزَّاز، قال أبو حاتم: «مُنكرُ الحديث»، وقال النسائي: «ليس بثقة»، وذكرَ ابن القطَّان الفاسي أنه لم يُوَثِّقه أحدٌ، فلا يصحُّ الحديث بهذا التمام، **ولكن للجملة الأولى منه: «إن الصدقة تُطفئُ غضب الربِّ» شواهِد عديدةٌ تُقوِّيها، لكن مع تقييدها بـ «صدقة السِّر»**. انظر لما سبق: [«تهذيب التهذيب» (٥/ ٣٥٣)، و «الإرواء» (٨٨٥)، و«الصحيحة» (١٩٠٨)].

وفي بعض الآثار: «**باكِروا بالصَّدَقةِ؛ فإنَّ البلاءَ لا يَتَخَطَّى الصَّدقةَ**»[1].

وفي تمثيل النبيِّ ﷺ ذلك بمَنْ قُدِّمَ ليُضْرَبَ عُنُقُهُ فافتدى نَفسَهُ منهم بمالِهِ كِفايةٌ، فإنَّ الصدقةَ تَفْدي العبدَ من عذابِ الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ ذُنوبَهُ وخَطاياهُ تَقْتَضِي هَلاكَهُ، فَتَجِيءُ الصدقةُ تَفْدِيه من العذاب، وتَفُكُّهُ منه، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لما خَطَبَ النساءَ يومَ العيد: «**يا مَعْشرَ النساء تَصَدَّقْن ولو مِن حُلِيِّكُنَّ؛ فإني رَأَيتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النار**»، وكأنه حَثَّهُن ورَغَّبَهُنَّ على ما يَفْدِينَ به أَنفُسَهُنَّ من النار.

وفي «الصحيحين» عن عَدِيِّ بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنكم مِنْ أحدٍ إلا سَيُكَلِّمُهُ ربُّهُ ليس بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تُرجُمان، فيَنْظُرُ أيمنَ منه فلا يَرى إلا ما قَدَّم، ويَنظُرُ أَشْأَمَ منه فلا يرى إلا ما قَدَّم، وينظرُ بينَ يَديه فلا يَرى إلا النار تلقاءَ وَجْهِه، فاتقوا النارَ ولو بِشِقِّ تَمْرَة**».

وفي حديث أبي ذرٍّ أنه قال: «سألتُ رسولَ الله ﷺ: ماذا يُنجِي العبدَ من النار؟ قال: (**الإيمانُ بالله**)، قلتُ: يا نبيَّ الله، مع الإيمان عَمَلٌ؟ قال: (**أن تَرْضَخَ مِمَّا خَوَّلَك الله** -**أو: تَرْضَخَ مما رزقك الله**-)، قلتُ: يا نبيَّ الله، فإن كان فقيرًا لا يَجِدُ ما يَرْضَخُ؟ قال: (**يأمرُ بالمعروفِ، وينهى عن المُنكرِ**)، قلتُ: إن كان لا يستطيعُ أن يَأمُرَ بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال: (**فَلْيُعِن الأخْرَقَ**)، قلتُ: يا رسول الله أَرأيتَ إن كان لا يُحْسِنُ أن يَصنع؟ قال: (**فَلْيُعِن مَظْلومًا**)، قلتُ: يا رسول الله، أرأيتَ إن كان ضَعيفًا لا يستطيعُ أن يُعينَ مظلومًا؟ قال: (**ما تُرِيدُ أَنْ تَتْرُكَ في صاحِبِكَ من خَيرٍ؟! لِيُمْسِك أَذَاهُ عن الناس**) قلتُ: يا رسول الله، أَرأيتَ إن فعلَ هذا يدخلُ الجنة؟ قال: (**ما مِن مُؤمنٍ يُصِيبُ خَصْلةً من هذه الخِصال إلا أَخَذَتْ بيده حتى أَدْخَلَتْهُ الجنةَ**)»، ذكرَهُ البيهقيُّ في كتاب «شُعَب الإيمان».

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ذُكِرَ لي أنَّ الأعمالَ تَتَباهى؛ فتقولُ الصدقةُ: أنا أفضَلُكم».

---

(١) صحَّ من قول أنس بن مالك رضي الله عنه. انظر: «الترغيب والترهيب» للمُنذري (١/ ٦٧٢).

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: «ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ مَثَلَ البَخيلِ والمُتَصَدِّق كمَثَلِ رَجُلين عَلَيهما جُبَّتان من حَدِيد -أو: جُنَّتان من حديد- قد اضْطَرَّت أيديَهُما إلى ثُدِيِّهما وتراقِيهُما، فجعلَ المُتَصدِّقُ كُلَّما تَصَدَّقَ بصدقةٍ انبَسَطَتْ عنه حتى تُغَشِّي أناملَهُ، وتَعْفُوَ أثرَهُ، وجَعَلَ البَخِيلُ كُلَّما هَمَّ بصدقةٍ قَلَصَتْ، وأَخَذَتْ كُلُّ حَلقَةٍ مكانَها، -قال أبو هريرة:- فأَنا رَأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ بإِصْبعِهِ هكذا في جَيبِهِ، فرأيتُهُ يُوَسِّعُها ولا تَتَّسِعُ»، وورى البُخاريُّ هذا الحديثَ في كتاب الزكاة عن أبي هريرةً أيضـًا، ولفظُهُ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَثَلُ البخِيلِ والمُنفِقِ كمَثَلِ رَجُلَينِ عَلَيهِمَا جُبَّتانِ مِن حَدِيدٍ مِن ثُدِيِّهِمَا إلى تَرَاقِيهما، فأَما المُنفِقُ فلا يُنفِقُ إلا سَبَغَتْ أو وَفَرَتْ على جِلدِهِ، حتى تُخفِيَ بَنانَهُ، وتَعْفُوَ أثَرَهُ، وأَما البخِيلُ فلا يُرِيدُ أَن يُنْفِقَ شَيئًا إلا لَزِقَتْ كُلُّ حَلقَةٍ مَكانَها، فهُوَ يُوَسِّعُهَا ولا تَتَّسِعُ**».

وروى عن أبي بُردة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «**على كُلِّ مُسلِمٍ صَدَقةٌ**»، قالوا: يا رسول الله، فمن لم يجد؟ قال: «**يَعمَلُ بِيدِهِ، فَينفعُ نَفسَهُ ويَتَصدَّقُ**» قالوا: فإن لم يَجِد؟ قال: «**يُعينُ ذا الحاجَةِ المَلهُوفَ**» قالوا: فَإن لم يَجِدْ؟ قال: «**فلْيَعمَلْ بالمَعرُوفِ، وَلْيُمسِكْ عنِ الشَّرِّ، فإِنَّها له صدَقَةٌ**».

ولما كان البَخيلُ مَحبُوسًا عن الإِحسان، ممنوعًا عن البِرِّ والخير كان جَزاؤُهُ من جِنْسِ عَمَلِهِ، فهو ضَيِّقُ الصَدْرِ، ممنوعٌ مِنَ الانْشِراحِ، ضَيِّقُ العَطَن[1]، صغيرُ النَّفسِ، قليلُ الفَرَح، كثيرُ الهَمِّ والغَمِّ والحُزن، لا يكادُ تُقْضَى له حَاجةٌ، ولا يُعانُ على مَطلوبٍ، فهو كرَجُلٍ عليه جُبَّةٌ من حَديدٍ قد جُمِعَتْ يَداهُ إلى عُنُقِهِ بحيث لا يتمكن من إِخْراجِها ولا حَرَكَتِها، وكُلَّما أرادَ إِخراجَها أو تَوسِيعَ تلكَ الجُبَّة لَزِمَتْ كُلُّ حَلقَةٍ من حِلَقِها مَوضِعَها، **وهكذا البَخيلُ** كُلَّمَا أرادَ أن يَتَصَدَّقَ مَنَعَهُ البُخْلُ، فبَقيَ قلبُه في سِجْنِه كما هو، **والمُتَصدقُ** كُلَّمَا تَصَدَّقَ بصدقةٍ انشَرَحَ لها قلبُهُ، وانفَسَحَ بها صدْرُهُ، فهو بمنزلةِ اتِّسَاع تلك الجُبَّة عليه، فكُلَّما تَصَدَّقَ اتَّسَعَ، وانفَسَحَ، وانشَرَحَ، وقَوِيَ فَرحُهُ، وعَظُمَ

(١) قوله: (**ضيِّق العطن**): أي ضَيِّق الرَّحب.

سرُورُه، **ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدةَ وَحْدَها لكان العبْد حقيقًا بالاستِكْثار منها، والمُبَادَرة إليها**، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، وكان عبدُ الرحمن بن عوف -أو سعدُ بن أبي وقاص- يطوفُ بالبيتِ وليسَ له دَأْبٌ إلا هذه الدعوة : «ربِّ قِنِي شُحَّ نفسي، ربِّ قِنِي شُحَّ نفسي»، فقيل له: أما تدعو بغيرِ هذه الدعوة؟ فقال: «إذا وُقِيتُ شُحَّ نفسي فقد أَفلَحْتُ».

والفَرْقُ بينَ الشُّحِّ والبُخْل: أنَّ **الشُّحَّ** هو: شِدَّةُ الحِرْصِ على الشيء، والإحْفَاءِ في طلبه، والاستِقْصَاء في تحصيله، وجَشَعِ النفس عليه، **والبُخْلَ**: منعُ إنفاقِهِ بعدَ حصولِهِ، وحُبُّهُ، وإمْسَاكُهُ، فهو شَحِيحٌ قبلَ حُصُوله بَخِيلٌ بعد حصوله، فالبُخْلُ ثَمَرةُ الشُّحِّ، والشُّحُّ يدعو إلى البُخْل، والشُّحُّ كامِنٌ في النَّفسِ، فمَنْ بَخِلَ فقد أَطاع شُحَّهُ، ومَنْ لَم يَبْخَل فقد عَصَى شُحَّهُ، ووُقِي شَرَّه، وذلك هو المُفلح: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

والسَّخِيُّ قريبٌ من الله تعالى ومِنْ خَلْقِه ومِنْ أهله، وقريبٌ من الجنة، وبعيدٌ من النار، والبَخِيلُ بَعيدٌ من الله، بعيدٌ من خَلْقِه، بَعِيدٌ من الجنة، قَريبٌ من النار، فجُودُ الرَّجُلِ يُحَبِّبُهُ إلى أَضْدادِهِ، وبُخْلُهُ يُبَغِّضُهُ إلى أولاده، كما قال:

وَيُظْهِرُ عَيبَ المَرءِ في الناس بُخْلُهُ ... وَيَسْتُرُهُ عنهم جَمِيعًا سَخَاؤُهُ
تَغَطَّ بِأَثْوابِ السَّخَاءِ فَإِنَّني ... أَرى كُلَّ عَيبٍ فالسَّخَاءُ غِطَاؤُهُ
وقَارِن إِذَا قَارَنْتَ حُرًّا فإِنَّما ... يَزِينُ ويُزْرِي بِالفَتَى قُرَناؤُهُ
وأَقلِلْ إِذا ما اسْطَعْتَ قَولًا فإِنَّهُ ... إِذا قَلَّ قَوْلُ المَرْءِ قَلَّ خَطاؤُهُ
إِذا قَلَّ مَالُ المَرْءِ قَلَّ صَدِيقُهُ ... وَضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ وَسَماؤُهُ
وَأَصْبَحَ لا يَدرِي وإِنْ كان حازِمًا ... أَقُدَّامَهُ خَيرٌ لَه أَمْ وَرَاؤُهُ
إِذا المَرءُ لَم يَخْتَرْ صَدِيقًا لِنَفسِهِ ... فَنَادِ بِهِ في النَّاسِ هذا جَزَاؤُهُ

وحَدُّ السَّخاءِ: بَذْلُ ما يُحتاج إليه عند الحَاجة، وأن يُوصلَ ذلك إلى مُسْتَحقِّهِ بقَدْر الطَاقة، وليس كما قال بَعضُ مَن نَقَصَ عِلمُهُ: (حَدُّ الجُود بَذْل المَوجود)، ولو كان كما

قال هذا القائل لارتَفَع اسمُ السَّرَفِ والتَّبذير، وقد ورَد الكتاب بذمِّهما، وجاءت السُّنة بالنَّهي عنهما، وإذا كان السَّخاءُ مَحمودًا فمَنْ وقَفَ على حدِّهِ سُمِّيَ كريمًا، وكان لِلْحَمدِ مُستَوجِبًا، ومن قَصُرَ عنه كان بَخيلًا، وكان لِلذَمِّ مُستَوجِبًا، وقد رُوِيَ في أثرٍ: (**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أقسَمَ بعِزَّتِهِ ألا يُجاوره بَخيلٌ**)[1].

والسَّخاء نَوعان: فأشرَفهُما سَخاؤُكَ عمَّا بيَدِ غَيرك، **والثاني**: سَخاؤُكَ ببَذْلِ ما في يَدِك، فقد يكونُ الرَّجل مِن أَسْخَى النَّاس وهو لا يُعطيهم شَيئًا؛ لأنه سَخا عمَّا في أَيدِيهم، وهذا معنى قول بعضهم : (السَّخاءُ أن تكون بمالِكَ مُتَبرِّعًا، وعن مالِ غَيرِك مُتَورِّعًا، وسَمعت شيخَ الإسلام ابنَ تيمية قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يقول: (**إن الله أوحَى إلى إبراهيم** ﷺ: **أتدري لِمَ اتَّخَذتُك خَليلًا؟، قال: لا، قال: لأني رأيتُ العَطاءَ أحبَّ إليك مِن الأخذِ**)[2]، وهذه صِفةٌ من صِفات الرَّب جَلَّ جَلَالُهُ، فإنه يُعطِي ولا يَأخُذُ، ويُطْعِم ولا يُطْعَم، وهو أَجْودُ الأَجْودِين، وأكرمُ الأكرَمين، وأَحبُّ الخَلقِ إليه من اتَّصَفَ بصِفاته، فإنه كَريمٌ يُحِبُّ الكَريمَ من عِبادِهِ، وعالِمٌ يحبُّ العُلماءَ، وقادِرٌ يحبُّ الشُّجْعان، وجَميلٌ يحبُّ الجَمال.

رَوى التِّرمِذيُّ في «جامِعه» قال: حدَّثنا محمد بن بشَّار: حدَّثنا أبو عامر: أخبرنا خالد بن إلياس، عن صالح بن أبي حسَّان، قال: سَمعتُ سعيد بن المُسَيَّب يقول: «إنَّ الله طيِّبٌ يُحِبُّ الطيبَ، نَظيفٌ يُحبُّ النَّظافةَ، كَريمٌ يحبُّ الكَرمَ، جَوادٌ يحبُّ الجودَ، فنَظِّفوا أخبِيَتَكُم[3]، ولا تَشبَّهوا باليهود»، قال: فذكرتُ للمُهاجر بن مِسْمار، فقال: حدَّثنيه عامر بن سعد، عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ مثله إلا أنه قال: «**فنَظِّفوا أفنِيَتَكُم**»، هذا حديثٌ غريب، خالد بن إلياس يُضَعَّف[4].

وفي التِّرمِذي أيضًا في «كتاب البِرِّ» قال: حدَّثنا الحَسنُ بن عَرَفَة: حدَّثنا سَعيد بن محمد الورَّاق، عن يَحيى بن سعيد، عن الأَعْرَج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

---

(١) في إسنادِهِ بِشرُ الأصبهاني، وهو متروك الحديث، واتُّهِمَ بالكَذِب. انظر: «الميزان» للذهبي (١/ ٣١٥).

(٢) جاء هذا الأثر من كلام بعض السلف كيوسف بن أسباط، ولعلَّه أخذه عن كتب بني إسرائيل، والله أعلم.

(٣) قوله: (**أخبيتكم**) جمع خِباء، وهو شِبهُ المظلَّة التي تكون في البيت كالسَّقف، وتكون من صوف أو وبر.

(٤) بيَّن الترمذيُّ علَّة الضعف، وقال ابن الجوزي: «هذا حديثٌ لا يَصِحُّ». انظر «العلل المتناهية» (٢/ ٢٢٤).

«السَّخِيُّ قَريبٌ من الله، قَريبٌ من الجنَّة، قريبٌ من الناس، بعيدٌ من النَّار، والبَخيلُ بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الجنَّة، بعيدٌ من الناس، قَريبٌ من النار، ولَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إلى الله تعالى من عابِد بَخيل»[1].

وفي الصَّحيح: **«إنَّ الله تعالى وِترٌ يُحبُّ الوِترَ»**، وهو ﷻ رَحيم يحبُّ الرُّحمَاء، وإنَّما يَرحمُ من عبادِهِ الرُّحَماء، وهو سِتِّير يُحبُّ مَن يَستُرُ على عِباده، وعَفوٌّ يُحبُّ مَن يَعفو عنهم، وغَفورٌ يُحبُّ مَن يَغفِرُ لهم، ولَطيفٌ يُحِبُّ اللطيفَ من عباده، ويُبغضُ الفَظَّ الغَليظَ القاسِي الجَعْظريَّ الجَوَّاظ[2]، ورَفيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وحَليمٌ يُحبُّ الحِلمَ، وبَرٌّ يُحِبُّ البِرَّ وأهلَه، وعَدْلٌ يحبُّ العَدْلَ، وقابِلٌ للْمَعاذِير يحبُّ مَن يَقبلُ مَعاذِيرَ عِباده، ويُجازي عَبدَهُ بِحسَب هذه الصِّفات فيه وُجُودًا وعَدَمًا، فمَن عَفا عَفا عنه، ومن غَفر غَفر له، ومن سامَح سامَحه، ومن حاقَقَ حاقَقَهُ، ومن رَفق بعِباده رَفق به، ومن رَحِمَ خَلْقَه رَحِمَه، ومَن أحسَنَ إليهم أحسَنَ إليه، ومَن صَفحَ عنهم صَفحَ عنه، ومَن جادَ عليهم جادَ عَلَيْه، ومَن نَفعَهم نَفعَه، ومَن سَتَرَهم سَتره، ومن تتَّبعَ عَوراتهم تتَّبعَ عورتَهُ، ومَن هَتكَهُم هَتكَه وفَضَحه، ومَن مَنعَهم خَيرَه مَنعَهُ خَيرَهُ، ومَن شَاقَّ اللهَ شاقَّ اللهُ تعالى به، ومَن مَكَرَ مَكَرَ به، ومَن خادَع خادَعَهُ، ومَن عامَلَ خَلقَهُ بِصِفةٍ عامَلَهُ الله تعالى بتِلك الصِّفةِ بعَينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعَبدِهِ على حَسَب ما يكون العَبدُ لخَلقِهِ، ولهذا جاء في الحديث: **«مَن سَترَ مُسلمًا سَترَه الله تعالى في الدنيا والآخرة، ومن نفَّسَ عن مُؤمن كُربةً من كُرَبِ الدنيا، نفَّس الله تعالى عنه كُربةً من كُرَبِ يوم القِيامة، ومن يسَّرَ على مُعسِرٍ يسَّر الله تعالى عليه حسابَهُ»** ، و**«مَن أَقالَ نادِمًا أقالَه الله تعالى عثْرَته»**، و**«مَن أنظرَ مُعسِرًا أو وَضَعَ عنه أظلَّه الله تعالى في ظِل عَرشِه»**؛ لأنه لما جعَلَهُ في ظِل الإنْظارِ والصبر، ونجَّاه من حَرِّ المُطالَبةِ، وحَرارةِ تَكَلُّفِ الأَداءِ مَع عُسرَتِهِ وعَجزِه، نجَّاه الله تعالى من حَرِّ الشمس يوم القيامة إلى ظِل العَرشِ.

---

(١) في إسنادِهِ سعيد الورَّاق، وهو متروك الحديث، وقال العُقيلي: «ليس لهذا الحديثِ أصلٌ». انظر: «الضعفاء الكبير» للعُقيلي (٢/ ١١٧).

(٢) قوله: (**الجَعْظَرِيُّ**): هو الفَظُّ الغليظ المتكبر والمُتفخُ بما ليس عنده، وقوله: (**الجَوَّاظ**): هو الجافي المُختال في مشيته.

وكذلك الحديث الذي في التِّرمِذي وغيره، عن النبي ﷺ أنه قال في خُطبتِه يومًا: «**يا مَعشرَ من آمنَ بلسانِه ولم يَدخُل الإيمانُ إلى قلبه، لا تُؤْذُوا المسلمين، ولا تَتَبَّعوا عَوراتِهم، فإنه من تَتَبَّعَ عورةَ أخيه تَتَبَّعَ اللهُ عَورتَهُ، ومن تَتَبَّعَ الله عورتَه يفضَحْهُ ولو في جَوْفِ بيتِه**»، فكَما تَدينُ تُدانُ، وكُن كَيفَ شِئتَ فإن الله تعالى لكَ كما تكونُ أنتَ له ولعبادِه.

ولمَّا أَظهرَ المُنافقون الإسلامَ، وأسرُّوا الكُفرَ، وأظهرَ الله تعالى لهم يومَ القيامةِ نورًا على الصِّراطِ، وأظهرَ لهم أنهم يَجُوزونَ الصِّراطَ، وأسَرَّ لهم أن يُطفئَ نورَهم، وأن يُحالَ بينَهُم وبين قَطْعِ الصِّراط جَزاءً مِن جِنسِ أعمالِهم، **وكذلك مَن يُظهرُ للخلقِ خِلافَ ما يَعلَمُهُ اللهُ فيه، فإن الله تعالى يظهرُ له في الدنيا والآخرةِ أسبابَ الفَلاحِ والنَّجاح والفَوزِ، ويُبطِنُ له خِلافَها**، وفي الحَديثِ: «**مَن رَاءَى رَاءَى الله به، ومن سمَّعَ سمَّعَ الله به**»، والمَقصودُ أنَّ الكَريمَ المُتَصَدِّقَ يُعطِيه اللهُ ما لا يُعطي البخيلَ المُمسِكَ، ويُوسِّعُ عليه في ذاته، وخُلُقِهِ، ورِزقِهِ، ونَفسِهِ، وأسبابِ مَعيشتِهِ، جَزاءً له مِن جِنسِ عَملِه.

فَصل

وقوله ﷺ: «**وأمرَكم أن تَذكروا الله تعالى، فإن مَثَل ذلك مَثَل رجلٍ، خرجَ العَدوُّ في أثرِهِ سِراعًا حتى إذا أتى على حِصْنٍ حَصِينٍ، فأحْرزَ نفسَهُ منهم، كذلك العَبد لا يُحْرِزُ نَفسَهُ من الشَّيطان إلا بذكرِ الله**»، فلَو لَم يكن في الذِّكرِ إلا هذه الخِصلَةِ الوَاحدةِ لكان حقيقًا بالعَبد أن لا يَفتر لِسانه من ذِكرِ الله تعالى، وأن لا يَزال لَهِجًا بِذكرِه، فإنَّه لا يُحْرِزُ نفسَهُ من عَدوِّه إلا بالذِّكر، ولا يَدخل عليه العَدوُّ إلا من بابِ الغَفلةِ، فهو يَرصُدُه فإذا غَفلَ وثَبَ عَليه، وافترَسَه، وإذا ذَكرَ الله تعالى انخَنسَ عَدوُّ الله، وتَصاغرَ وانقَمعَ حتى يكون كالوَصْعِ[1]، وكالذُّبابِ، ولهذا سُمِّي الوُسواس الخنَّاس، أي يُوسوسُ في الصُّدور فإذا ذُكر الله تعالى خَنسَ، أي: كفَّ وانقبضَ، قال ابن عباس: «الشَّيطان جاثِمٌ على قلبِ

(١) قوله: (**الوَصْعُ**): هو طائرٌ أصغَرُ من العصفور. انظر: «تاج العروس» (٢٢/ ٣٣٤).

ابن آدم، فإذا سَها وغَفلَ وَسْوسَ، فإذا ذَكر الله تعالى خَنسَ».

وفي «مُسند الإمام أحمد» عن عبد العزيز بن أبي سَلمة الماجِشُّون، عن زِياد ابن أبي زياد، مَولى عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة، أنه بلغَه عن مُعاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما عَمِلَ آدميٌ عملًا قَطُّ أنجَى له من عَذابِ الله مِن ذِكر الله** ﷻ»، وقال مُعاذ: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبِرُكم بخَيرِ أعمالِكم، وأزكَاها عِند مَليكِكُم، وأرفَعِها في دَرجاتِكم، وخَير لكم مِن إنفاقِ الذهبِ والفِضةِ، ومِن أن تَلقَوا عدوَّكم فتَضرِبوا أعناقَهم، ويَضربوا أعناقَكم؟**، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **ذِكر الله** ﷻ».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يَسيرُ في طَريقِ مكَّةَ فمرَّ على جَبَلٍ يُقالُ له: جُمْدَانُ، فَقالَ: «**سِيرُوا هذا جُمْدَانُ، سَبقَ المُفَرِّدُون**» قالُوا: وما المُفَرِّدُونَ؟ يا رسُول اللهِ قال: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثيرًا، والذَّاكِرَاتُ**».

وفي «سنن أبي داود» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن قومٍ يَقومون مِن مَجلسٍ لا يَذكرون الله تعالى فيه، إلا قامُوا عن مِثل جِيفَةِ حِمار، وكان عَليهم حَسرةً**»، وفي رِواية التِّرمذي: «**ما جَلس قومٌ مجلِسًا لم يَذكروا اللهَ فيه، ولم يُصلُّوا على نبيِّهم إلا كان عليهم تِرَةً، فإن شَاء عذَّبَهم، وإن شَاء غَفر لهم**».

وفي «صحيح مسلم» عن الأغَرِّ أبي مُسْلم قال: أشهدُ على أبي هريرةِ وأبي سعيدٍ أنهما شَهِدَا على رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يَقْعُدُ قومٌ يَذكرون الله إلا حفَّتْهُم الملائكةُ، وغَشِيَتهم الرَّحمةُ، ونزلَتْ عليهم السَّكينةُ، وذَكرَهُم الله فيمن عندَه**».

وفي «الترمذي» عن عبد الله بن بُسْرٍ أنَّ رجلًا قال: «يا رسول الله، إنَّ أبوابَ الخيرِ كثيرةٌ ولا أستطيعُ القِيامَ بكلِّها، فأخبرني بشيءٍ أَتشَبَّثُ به، ولا تُكثِر عليَّ، فأنسى...»، وفي رواية: «إنَّ شَرائعَ الإسلامِ قد كَثُرَت عليَّ، وأنا قد كَبِرتُ، فأخبرني بشَيء أَتشَبَّثُ به، ولا تُكثر عليَّ فأنسى، قال: **لا يَزالُ لسانُك رطبًا بذِكرِ الله تعالى**».

وفي «الترمذي» أيضًا: عن أبي سعيد، أنَّ رسول الله ﷺ سُئل: «أيُّ العِبَاد أفضلُ،

وأرفعُ درجةً عندَ الله يومَ القيامةِ؟، **قال: الذَّاكرون الله كثيرًا**، قيل: يا رسول الله، ومِن الغازِي في سبيل الله؟، **قال: لو ضَربَ بسيفِه في الكفارِ والمشركين حتى يَنكَسِرَ، ويَختَضِبَ دمًا، كان الذاكرُ للهِ تعالى أفضلَ منه درجةً**»[1].

وفي «صحيح البخاري» عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الذي يذكرُ ربَّه، والذي لا يذكرُ ربَّه مثلُ الحيِّ والميِّت**».

وفي «الصَّحيحَين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **أنا عندَ ظنِّ عبدي بي، وأنا معَه إذا ذَكرني، فإن ذَكرني في نفسِهِ، ذَكرتُه في نفسي، وإن ذَكرني في ملأٍ، ذَكرتُه في ملأٍ خير منهم، وإن تقرَّبَ إليَّ شِبرًا، تقرَّبتُ إليه ذِراعًا، وإن تقرَّبَ إليَّ ذراعًا، تقرَّبتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيتُهُ هَرولةً**».

وفي «الترمذي» عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مَرَرتُم بِرياضِ الجنَّة فارْتَعُوا**، قالوا: يا رسول الله، وما رِياض الجنةِ؟، **قال: حِلَقُ الذِّكْرِ**».

وفي «الترمذي» أيضًا عن النبي ﷺ، عن الله عَزَّوَجَلَّ أنه يقول: «**إنَّ عبدي كُلَّ عبدي الذي يَذْكُرني وهو مُلاقٍ قِرْنَهُ**»[2]، وهذا الحَديثُ هو فَصْلُ الخِطابِ في التفضيلِ بين الذَّاكر والمُجاهد؛ فإن الذَّاكرَ المُجاهدَ أفضلُ من الذَّاكر بلا جِهاد والمُجاهدُ الغافِلُ، والذَّاكر بلا جهادٍ أفضلُ مِن المُجاهدِ الغافلِ عن الله تعالى، **فأفضل الذَّاكرين المُجاهدون، وأفضل المُجاهدين الذَّاكرون**، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾، فأمرَهم بالذِّكر الكثيرِ والجهادِ معًا؛ ليَكونوا على

---

(١) قال الترمذيُّ بعدهُ: «هذا حديث غريبٌ»، لأنَّ في إسناده درَّاج بن سمعان أبو السمح، قال الإمام أحمد: «أحاديثهُ مناكير»، وكذا قال النسائي. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ٢٤).

(٢) قال الترمذيُّ بعدِ إخراجه للحديث: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، **ليس إسناده بالقوي**»، وقال البخاريُّ: «لم يَصحَّ إسناده»، لأنَّ في إسناده عُفير بن معدان وهو ضعيفٌ، لكنَّ الحديث رُويَ مرسلاً عن التابعي عبد الرحمن بن جُبير بن نُفَير قال: قال الله عَزَّوَجَلَّ: «**إنَّ عبدي كل عبدي الذي يذكرني، وإن كان مُكافِئًا قِرْنَه**»، وإسنادُهُ ثابتٌ إلى عبد الرحمن بن جُبير.

وقوله: (**ملاقٍ قرنه**): القِرن هو المكافئُ، والمراد مَن يواجه العدو في الجهاد والنِّزال.

رجاءٍ مِن الفَلاحِ، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾، أي: كثيرًا، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَاسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾، فقيَّدَ الأمرَ بالذِّكر بالكَثْرةِ والشدَّة؛ لشدَّة حاجةِ العَبد إليه، وعَدم اسْتِغنائه عنه طرفةَ عينٍ، فأيُّ لحظةٍ خَلا فيها العبدُ عن ذكرِ الله عَزَّوَجَلَّ كانت عليه لا لَهُ، وكان خُسْرانُه فيها أعظمَ مما ربِحَ في غَفلتِه عن الله عَزَّوَجَلَّ، وقال بعضُ العَارفين: (لو أقبلَ عبدٌ على اللهِ تعالى كذا وكذا سنَة، ثم أعرضَ عنه لحظةً لكَان ما فاتَه أعظَمَ ممَّا حصَّله).

وذَكر البَيهقي عن عائشةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما مِن ساعةٍ تَمرُّ بابن آدم لا يَذكرُ الله فيها إلا تحسَّرَ عليها يوم القيامة**»[1].

وذُكرَ عن مُعاذِ بن جبل يرفعُهُ أيضًا: «**ليسَ يَتَحَسَّر أهلُ الجنةِ إلا على ساعةٍ مرَّت بهم لم يَذكروا الله عَزَّوَجَلَّ فيها**»[2].

وعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**كلامُ ابن آدم كلُّه عليه لا لَه، إلا أمرًا بمَعروفٍ، أو نهيًا عن مُنكرٍ، أو ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ**»[3].

وعن مُعَاذ بنِ جَبَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ: «أيُّ الأَعمال أحبُّ إلى الله عَزَّوَجَلَّ؟ قال: **أن تموتَ ولسانُكَ رَطبٌ من ذِكر الله عَزَّوَجَلَّ**».

---

(١) تفرَّد به عمرو بن الحصين العقيلي، قال أبو حاتم: «ذاهب الحديث» وقال أبو زرعة: «واهٍ»، وقال الدارقطني: «متروك». انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٢٥٢).

(٢) في إسناده يزيد بن يحيى القرشي، قال أبو حاتم: «ليس بقويٍّ في الحديث»، وقال الذهبي: «لا يُعرف». انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٧)، و«ميزان الاعتدال» (٤/ ٤٤١)، فلا يصحُّ الحديثان، والله أعلم.

(٣) تفرَّدت به أم صالح بنت صالح، عن صفية بنت شيبة، عن أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأمُّ صالح هذه لا يُعرفُ حالها، وقوَّى معنى هذا الحديث سفيانُ الثوري بشواهده من القرآن، فعندما قال أحد الرواة في مجلسِه: «ما أشدَّ هذا الحديث!» يشير لضعفه، ردَّ عليه سفيان بقوله: «**وما شِدَّتُهُ؟! ألم تَسمع قول الله تعالى في كتابه: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾؟!، أوَلَم تَسمع قول الله تعالى في كتابه: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾؟! هو هذا بعينه**». انظر: «الفوائد الغيلانية» (٦٩١).

وقال أبو الدرداء ﷺ: «لِكلِّ شَيءٍ جِلاء، وإنَّ جِلاءَ القلوبِ ذكرُ الله ﷻ».

وذَكر البَيهقيُّ مَرفوعًا مِن حَديث عبد الله بن عمر ﷺ عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**لكلِّ شيءٍ سِقالَة، وإن سِقالَةَ القُلوب ذكرُ الله ﷻ، وما مِن شَيءٍ أَنْجَى من عَذابِ الله ﷻ من ذكر الله**، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله ﷻ؟، **قال: ولو أن يضرِبَ بسيفِهِ حتى ينقطعَ**»[1].

ولا رَيبَ أنَّ القلبَ يَصدأُ، كما يَصدأُ النُّحاسُ والفِضةُ وغيرُهما، وجِلاؤُهُ بالذِّكر، فإنه يَجلُوهُ حتى يَدعَهُ كالمِرآةِ البَيضاءِ، فإذا تُرِك الذِّكرُ صَدِئَ، فإذا ذكرَ جَلاه.

وصَدأ القلبِ بأمرَين: بالغفلةِ والذنبِ، **وجِلاؤُهُ بشَيئَين**: بالاستغفار والذِّكرِ؛ فمَن كانت الغَفلةُ أغلَب أوقاتِه كان الصَّدأُ مُتراكبًا على قلبِه، وصَداؤُهُ بحَسَبِ غَفلَته، وإذا صَدِئَ القلبُ لم تَنطَبِع فيه صوَرُ المَعلوماتِ على ما هيَ عليه، فيَرى الباطِلَ في صورةِ الحقِّ، والحقَّ في صورةِ الباطلِ؛ لأنه لمَّا تَراكَم عليه الصَّدأُ أظلَم، فلم تَظهر فيه صورَةُ الحَقائقِ كما هيَ عليه، فإذا تراكَم عليه الصَّدأُ واسوَدَّ، ورَكِبه الرَّانُ، فَسَدَ تَصوُّرُه وإدراكُهُ، فلا يَقبلُ حقًّا، ولا يُنكر باطلًا، وهذا أعظم عُقوباتِ القلبِ.

وأصلُ ذلك من: الغفلةِ واتِّباعِ الهَوى، فإنهما يَطمِسان نُورَ القلب، ويُعمِيان بصرَهُ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾، فإذا أرادَ العبدُ أن يقتديَ برجلٍ فلينظر: هَل هو مِن أهل الذِّكرِ أو هو مِن الغافِلين؟ وهَل الحاكِم عليه الهَوى أو الوَحي؟ فإنْ كان الحاكمُ عليه هو الهَوى، وهو مِن أهلِ الغَفلةِ، وأَمْرُهُ فُرُطٌ، لم يَقْتدِ به، ولم يَتبعْهُ، فإنه يقودُهُ إلى الهلاك.

ومَعنى الفُرُط: قد فُسِّرَ بالتَّضييع، أي: أمرُه الذي يَجِبُ أن يلزمَه، ويقومَ به، وبه رُشدُهُ وفَلاحُهُ ضائعٌ قد فرَّط فيه، وفُسِّر بالإسرَافِ؛ أي: قد أفرطَ، وفُسِّر بالإهلاك، وفُسِّر بالخِلافِ للحقِّ، وكلُّها أقوالٌ مُتقارِبةٌ.

---

(١) في إسناده سعيد بن سِنان الحنفي، **وهو متروكُ الحديث، ورماه الدارقطنيُّ بالوضع**. انظر التهذيب لابن حجر (٤/ ٤٦).

والمقصود: أن الله ﷻ نهى عن طاعةِ مَن جمَعَ هذه الصِّفات، فينبغي للرَّجُلِ أن ينظُـرَ في شيخِهِ وقُدْوتِه ومَتبُوعِهِ؛ فإنْ وجدَهُ كذلِك فليُبعد مِنه، وإنْ وجدَهُ مِمَّن غَـلَبَ عليه ذِكرُ الله تعالى، واتِّباعُ السنَّة، وأمرُهُ غيرُ مَفروطٍ عليه، بل هو حازِمٌ في أمرِهِ **فليَستَمسِك بغَرزِه**، ولا فَرقَ بين الحيِّ والميِّت إلا بالذِّكر، فمَثَلُ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لا يَذكرُ ربَّه كمَثَلِ الحيِّ والميِّتِ، وفي «المُسند» مرفوعًا: «**أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقالُ: مجنون**»(١).

فَصل

وفي الذِّكر نَحْوٌ مِن مائةِ فائدة:

إحداها: أنه يَطـرُدُ الشَّيطانَ، ويَقمَعُهُ ويكسِرُه.

الثانية: أنه يُرضِي الرَّحمن ﷻ.

الثالثة: أنه يُزيلُ الهَمَّ والغَمَّ عن القلبِ.

الرابعة: أنه يَجْلِبُ للقلب الفرحَ والسرورَ والبَسْط.

الخامسة: أنه يُقَـوِّي القلبَ والبدنَ.

السادسة: أنه يُنَـوِّرُ الوَجْهَ والقلبَ.

السابعة: أنه يَـجْلِبُ الرزقَ.

الثامنة: أنه يَكْسو الذاكِرَ المَهابةَ والحَلاوةَ والنَّضْرَةَ.

التاسعة: أنهُ يُورِثُـهُ المحبةَ التي هي روحُ الإسلام، وقُطْبُ رَحى الدِّين، ومَدَارُ السعادَةِ والنجاة، وقد جعلَ اللـهُ لكلِّ شيءٍ سببًا، وجعلَ سببَ المحبة دوامَ الذِّكر، فمنْ أرادَ أن ينالَ محبةَ الله ﷻ فَـلْيلهَج بذِكْرِه؛ فإنه الدَّرسُ والمذاكرَةُ، كما أنه بابُ العلم،

---

(١) في إسناده درَّاج بن سمعان أبو السمح، قال الإمام أحمد: «أحاديثهُ مناكير»، وكذا قال النسائي، وعدَّ ابن عدي هذا الحديث من مناكيره. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ٢٤)، و«الكامل في الضعفاء» لابن عدي (٣/ ١٥).

فالذِّكْرُ بابُ المَحبةِ، وشارِعُها الأعظم، وصِراطُها الأَقوم.

العاشرة: أنهُ يورِثُهُ المُراقبةَ حتى يُدخِلَهُ في باب الإحسان، فيعبدَ اللهَ كأنه يراهُ، ولا سبيلَ للغافِلِ عن الذكر إلى مقامِ الإحسان، كما لا سبيلَ للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

الحادية عشرة: أنهُ يورثُهُ الإنابةَ؛ وهي: الرجوعُ إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فمتى أكثرَ الرجوعَ إليه بذكْرِه أورثَهُ ذلك رجوعَهُ بقلبِهِ إليه في كُلِّ أحوالِهِ، فيبقى الله عَزَّوَجَلَّ مَفْزَعَهُ، ومَلجَأَهُ، ومَلاذَهُ، ومَعاذَهُ، وقِبلةَ قلبِهِ، ومَهْرَبَهُ عند النوازل والبلايا.

الثانية عشرة: أنه يورثُهُ القربَ منه، فعَلى قَدْرِ ذِكرِهِ لله عَزَّوَجَلَّ يكون قُربُهُ منه، وعلى قَدرِ غَفْلتِهِ يكون بعدُهُ منه.

الثالثة عشرة: أنه يفتحُ له بابًا عظيمًا من أبواب المَعرفةِ، وكُلَّما أكثرَ من الذِّكر ازدادَ من المَعرفة.

الرابعة عشرة: أنه يورثُهُ الهيبةَ لربِّهِ عَزَّوَجَلَّ وإجلالَه؛ لشدَّة استِيلائِهِ على قلبِهِ، وحضورِهِ مع الله تعالى، بخلافِ الغافلِ فإنَّ حِجابَ الهيبةِ رقيقٌ في قلبه.

الخامسة عشرة: أنه يورثه ذكرَ الله تعالى له كما قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾، ولو لم يَكُن في الذِّكرِ إلا هذه وحدَها لكفى بها فَضْلًا وشَرَفًا، وقال ﷺ فيما يروي عن ربه تَبَارَكَ وتَعَالَى: «**مَن ذَكَرني في نفسِهِ ذكرتُهُ في نفسي، ومن ذَكَرني في مَلَإٍ ذَكَرتُهُ في مَلَإٍ خيرٍ منهم**».

السادسة عشرة: أنه يورثُ حياةَ القلبِ، وسمعتُ شيخَ الاسلام ابن تيمية قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يقول: «الذكرُ للقلبِ مِثلُ الماءِ للسَّمَك، فكَيفَ يكونُ حالُ السَّمَكِ إذا فارقَ الماءَ؟».

السابعة عشرة: أنه قوتُ القلبِ والرُّوح، فإذا فَقَدَهُ العبدُ صار بمنزلة الجِسم إذا حِيلَ بينَهُ وبينَ قُوتِهِ، وحَضَرْتُ شيخَ الاسلام ابن تيمية مَرَّةً صَلَّى الفجرَ، ثمَّ جلسَ يذكرُ اللهَ تعالى إلى قَريبٍ من انتِصافِ النَّهار، ثم الْتَفتَ إليَّ وقال: «هذه غَدْوَتي، ولو لم أَتغَدَّ هذا الغداءَ لسَقَطَتْ قُوَّتي»، أو كلامًا قريبًا من هذا، وقال لي مرَّةً: «لا أتركُ الذِّكرَ إلا بِنِيَّةِ إجْمامِ نفسي وإراحَتِها لأَستَعِدَّ بتلكَ الرَّاحة لِذكرٍ آخرٍ»، أو كلامًا هذا معناه.

الثامنة عشرة: أنه يُورثُ جِلاءَ القلبِ من صَداهُ كما تقدم في الحديث، وكُلُّ شيءٍ له صَدأٌ، **وَصَدأُ القلب**: الغفلةُ والهَوى، وجِلاؤُه الذِّكرُ والتوبةُ والاستغفارُ، وقد تقدم هذا المعنى.

التاسعة عشرة: أنه يحطُّ الخطايا ويُذهِبُها؛ فإنَّهُ من أَعظمِ الحسنات، والحسناتُ يُذْهِبنَ السيئات.

العشرون: أنه يُزيلُ الوَحْشَةَ بينَ العبدِ وبينَ ربِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فإنَّ الغافلَ بينَهُ وبينَ الله عَزَّوَجَلَّ وَحْشَةٌ لا تزولُ إلا بالذِّكر.

الحادية والعشرون: أن ما يَذْكُرُ به العبدُ ربَّهُ عَزَّوَجَلَّ من جَلالِهِ وتَسبيحِهِ وتحميدِهِ يُذَكِّرُ بِصَاحِبِهِ عندَ الشِّدَّةِ؛ فقد روى الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «المسند» عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مِمَّا تَذكرون مِن جَلال الله عَزَّوَجَلَّ من التَّهليلِ والتَّكبيرِ والتَّحميدِ يَتَعَاطَفْنَ حَولَ العَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرنَ بِصاحِبِهِنَّ، أفَلا يُحِبُّ أحدُكُم أنَ يكون له ما يُذَكِّر به؟**»، هذا الحديث أو معناه.

الثَّانيةُ والعشرُون: أن العَبدَ إذا تعرَّفَ إلى اللهِ تعالى بذِكرِه في الرَّخاءِ، عَرفَهُ في الشِّدةِ، وقد جاء أثرٌ معناه: (أنَّ العبدَ المُطيعَ الذَّاكرَ للهِ تعالى إذا أصابتهُ شدَّةٌ، أو سألَ اللهَ تعالى حاجةً، قالت الملائكةُ: (يا ربِّ صَوْتٌ مَعروفٌ، من عبدٍ معروفٍ)، والغافلُ المُعرِضُ عن الله عَزَّوَجَلَّ إذا دَعاه وسَألَه، قالت الملائكُة: (يا ربِّ صوتٌ مُنكرٌ، من عبدٍ مُنكرٍ)[1].

الثالثة والعشرون: أنه مَنجاةٌ مِن عذابِ اللهِ تعالى، كما قال معاذٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -ويُروى مرفوعًا-: «**ما عَمِلَ آدمِيٌّ عملًا أنْجى له مِن عَذابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِن ذِكر اللهِ تعالى**».

الرابعة والعشرون: أنه سببُ نُزول السَّكينةِ، وغِشيان الرَّحمةِ، وحُفوفِ الملائكةِ بالذاكرِ، كما أخبر به النبي ﷺ.

الخامسة والعشرون: أنه سببُ اشتِغالِ اللسانِ عن الغيبةِ والنميمةِ، والكَذبِ، والفُحْش،

---

(١) وردَ هذا الأثر موقوفًا على الصحابي الجليل سلمان الفاسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من قوله بإسناد صحيح.

والباطل، فإنَّ العبدَ لا بُدَّ له مِن أن يتكلمَّ، فإن لم يتكلَّم بذكرِ الله تعالى، وذِكرِ أوامرِهِ تكلَّم بهذه المحرماتِ، أو ببعضها، فلا سبيلَ الى السلامةِ مِنها ألبتَّة إلا بذكرِ اللهِ تعالى، والمُشاهدةُ والتَّجربةُ شاهِدان بذلك، فمن عوَّدَ لسانَه ذكرَ اللهِ صانَ الله لسانَه عن الباطل واللَّغو، ومن يَبِسَ لسانُهُ عن ذكرِ الله تعالى تَرَطَّبَ بكلِّ باطلٍ ولَغوٍ وفُحش، ولا حَول ولا قُوة إلا بالله.

السادسة والعشرون: أنَّ مجالسَ الذِّكر مجالسُ الملائكةِ، ومجالسَ اللغوِ والغفلةِ مجالسُ الشياطين، فليتَخيَّرِ العبدُ أعجَبهما إليه وأَوْلاهُما به فهو مع أهلِه في الدنيا والآخرةِ.

السابعة والعشرون: أنه يسعدُ الذَّاكر بذكرِه، ويَسعدُ به جليسُه، وهذا هو المُبارك أينَما كانَ، والغافِلُ واللاغي يَشقى بِلَغوِه وغفلتِه، ويَشقى به مُجالِسُهُ.

الثامنة والعشرون: أنه يُؤَمِّنُ العبدَ من الحسرةِ يومَ القيامةِ، فإنَّ كلَّ مَجلسٍ لا يَذكرُ العبدُ فيه ربَّه تعالى كان عليه حسرةً وتِرَةً يوم القيامة.

التاسعة والعشرون: أنَّه مع البُكاءِ في الخَلوةِ سَببٌ لإظلالِ اللهِ تعالى العبدَ يومَ الحرِّ الأكبر في ظلِّ عرشِه، والناس في حرِّ الشمسِ قد صَهرَتهم في الموقفِ، وهذا الذَّاكر مُستظِلٌّ بظلِّ عرشِ الرَّحمنِ عَزَّوَجَلَّ.

الثلاثون: أن الاشتغالَ به سببٌ لعطاءِ الله الذَّاكرَ أفضلَ ما يُعطي السائلين، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله: مَن شَغلَهُ ذِكري عن مَسأَلتي أَعطيتُهُ أفضلَ ما أُعطي السَّائلين**»(١).

الحادية والثلاثون: أنه أيسرُ العِباداتِ، وهو مِن أجلِّها وأفضلِها، فإن حَركةَ اللِّسانِ أخفُّ حركاتِ الجوارحِ، وأيسرُها، ولو تحرَّكَ عُضوٌ مِن أعضاء الإنسانِ في اليومِ والليلةِ بقَدرِ حركةِ لسانِه لشَقَّ عليه غايةَ المشقَّةِ، بل لا يَمكنُه ذلك.

---

(١) في إسناده راويان ضعيفان جدًّا: **ضرار بن صُرد، وصفوان بن أبي الصَّهْباء**. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ٣٢٧)، وللحديث شاهدان بمثلِ لفظِهِ عن حذيفة بن اليمان، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، ولا تخلو جميعها من ضعفٍ، وقد حسَّن بعضُ أهل العلم الحديثَ بمجموعِ هذه الشواهد، منهم الحافظ ابن حجر رحمه الله. انظر: «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ٢٨٨).

الثانية والثلاثون: أنه غِراسُ الجنة، فقد روى الترمذي في «جامعه» مِن حديث عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسرِيَ بي، فقال: يا مُحمد، أقْرِئ أُمتك مني السَّلامَ، وأخبِرهُم أنَّ الجنةَ طيِّبةُ التربةِ، عَذبةُ الماءِ، وأنها قِيعان، وأنَّ غِراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»، قال الترمذي: حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود.

وفي «الترمذي» من حديثِ أبي الزُّبير، عن جابرٍ عن النبي ﷺ قال: «**مَن قال: سُبحان الله وبحمده، غُرِست له نخلةٌ في الجنةِ**»، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

الثالثة والثلاثون: أنَّ العطاءَ والفَضلَ الذي رتِّبَ عليه لم يُرتَّب على غيرِه مِن الأعمالِ، ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَن قال: لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، له المُلكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٍ في يومٍ مائةَ مرةٍ، كانت له عَدْل عشرِ رِقابٍ، وكُتِبت له مائةُ حسنةٍ، ومُحِيَت عنه مائةُ سيئةٍ، وكانت له حِرزًا مِن الشيطانِ يومَهُ ذلك حتى يُمسِي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلٍ ممَّا جاءَ به إلا رَجلٌ عملَ أكثر منه، ومن قال: سُبحان الله وبحمدِه، في يومٍ مائةَ مَرَّة حُطَّت خَطاياه، وإن كانت مثلَ زبَدِ البَحرِ**».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأنْ أقولُ: سُبحانَ الله، والحَمدُ للهِ، ولا إلهَ إلا اللهِ، واللهُ أكبرُ، أحبُّ إليَّ ممَّا طَلَعت عَليه الشمسُ**».

وفي الترمذيِّ من حديثِ أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن قال حِين يُصبح أو يُمسي: اللهم إني أَصْبَحتُ أُشْهِدُك وأُشْهِدُ حَمَلةَ عَرْشِك وملائِكَتَك وجميعَ خَلقِك أنكَ أنتَ اللهُ لا إله إلا أنت، وأنَّ محمدًا عَبْدُك ورسولُك؛ أعتقَ اللهُ رُبْعَهُ من النَّار، ومَن قَالها مرتين أعتقَ اللهُ نِصْفَهُ من النار، ومَن قالها ثلاثًا أعتقَ اللهُ ثلاثةَ أَرباعِهِ من النار، ومَن قالها أربعًا أعتقَهُ اللهُ تعالى من النار**».

وفيه عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن قال حين يُمسي وإذا أَصبحَ: رَضِيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ رسولًا كان حقًّا على الله أن يُرضِيَهُ**»[1].

(١) في إسناده سابِقُ بن ناجية، وهو مجهول الحال، وقد تفرَّدَ به، لذا حكمَ عليه الترمذيُّ والذهبيُّ بالغرابة، وأصحُّ منه

وفي الترمذيِّ: «**مَن دَخَلَ السُّوقَ فقال: لا إله إلا الله وَحْدَه لا شريك له، لهُ الملكُ وله الحمد، يُحيي ويميت وهو حَيٌّ لا يموتُ، بيده الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير؛ كَتبَ اللهُ له ألفَ ألفَ حسنةٍ، ومَحَا عنه ألفَ ألفَ سيئةٍ، ورَفَع له ألفَ ألفَ درجةٍ**»[1].

الرابعة والثلاثون: أنَّ دوامَ ذكرِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُوجِبُ الأمانَ من نِسْيانه الذي هو سببُ شقاءِ العبدِ في معاشِهِ ومَعادِهِ، فإنَّ نِسيان الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُوجبُ نِسيان نَفسِهِ ومَصالِحِها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، وإذا نَسِي العبدُ نَفسَهُ أَعرضَ عن مَصالِحِها ونَسِيَها واشتَغَلَ عنها؛ فهَلَكَتْ وفسَدَتْ ولابُد، كمَنَ له زَرْعٌ أو بُستانٌ أو ماشِيةٌ أو غير ذلك ممَّا صلاحُهُ وفلاحُهُ بتَعاهُدِهِ والقِيام عليه، فأهْمَلَهُ، ونَسِيَهُ، واشتغل عنه بغيره، وضَيَّعَ مصالِحَهُ، فإنه يَفْسُدُ ولابُد، هذا مع إمكان قِيام غيره مَقامَهُ فيه، فكيفَ الظَنُّ بفَسادِ نفسِهِ وهلاكِها وشقائِها إذا أهمَلَها، ونَسِيَها، واشتَغَلَ عن مصالِحِها، وعَطَّل مراعاتها، وتَركَ القيامَ عليها بما يُصلِحُها؟! فما شِئتَ من فِسادٍ وهَلاكٍ وخَيبَةٍ وحِرمان، وهذا هو الذي صار أمرُهُ كُلُّهُ فُرُطًا فانفَرَطَ عليه أمرُهُ، وضاعَتْ مصالِحُهُ، وأحاطَتْ به أسبابُ القُطُوعِ والخَيْبةِ والهَلاكِ.

ولا سبيلَ إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى، واللَّهَج به، وأن لا يزال اللسان رَطبًا به، وأن يُنزِلَهُ مَنْزِلَةَ حياتِهِ التي لا غِنَى له عنها، ومَنزِلَةَ غِذَائِهِ الذي إذا فَقَدَهُ فَسَدَ جِسْمُهُ وهَلَكَ، وبمَنْزِلَةِ الماء عندَ شِدَّةِ العَطَشِ، وبمَنزِلَةِ اللِّباسِ في الحَرِّ والبَرْدِ، وبمَنزِلَةِ الكِنِّ[2] في شِدَّة الشتاء والسَّموم.

فحقيقٌ بالعبدِ أن يُنزلَ ذكرَ الله منه بهذه المنزلةِ وأعظم، فأينَ هَلاكُ الروحِ والقلبِ

حديث المنيذر رضي الله عنه، مرفوعًا: «من قال إذا أصبح: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، فأنا الزعيم لآخذ بيده حتى أُدخلَه الجنة».

(١) في إسناده أزهرُ بن سِنان، وهو ضعيف، وقد حكم على هذا الحديث بالنكارة: الإمام البخاري، وأبو حاتم الرازي، وضعَّفهُ الترمذيُّ، وقال فيه المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حديثٌ معلولٌ لا يثبتُ». انظر: «تهذيب سنن أبي داود» (٢/ ٤٦٨)، و«العلل» لابن أبي حاتم (٢/ ١٧١).

(٢) (**الكِنُّ**): هو وقاء كُلِّ شيء وسترُه، ويُطلقُ على الأبنية التي تقي من البردِ والحَرِّ.

وفسادِهما مِن هَلاكِ البَدنِ وفسادِه؟! هذا هلاكٌ لابُدَّ منه، وقَد يَعْقُبُهُ صَلاحُ الأبد، وأمَّا هَلاكُ القلبِ والرُّوحِ فهَلاكٌ لا يُرْجَى معه صَلاحٌ ولا فَلاحٌ، ولا حَولَ ولا قُوةَ إلا باللهِ العلي العظيم، ولو لم يكن في فَوائِدِ الذِّكرِ وإدامَتِهِ إلا هذه الفائدة وَحْدَها لكَفَى بها، فمَنْ نَسِيَ اللهَ تعالى أَنساهُ نَفْسَهُ في الدنيا، ونَسِيَهُ في العَذَاب يومَ القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾، أي: تُنْسى في العَذابِ كما نَسيتَ آياتنا فلم تَذكرهَا، ولم تعملْ بما فيها.

وإعْراضُهُ عن ذِكرِهِ يَتناولُ: **إعْراضَهُ عن الذِّكرِ الذي أَنزَلَهُ**؛ وهو كتابُهُ، وهو المراد، **ويتناول إعراضَه عن أَن يَذكرَ ربَّه بكتابِهِ وأسمائِهِ وصفاتِه وأوامِرِه وآلائِهِ ونِعمِهِ**، فإنَّ هذه كلَّها تَوَابعُ إعراضِهِ عن كِتاب رَبِّه تعالى، فإنَّ الذِّكرَ في الآية إمَّا مَصْدرٌ مُضافٌ إلى معمولِهِ الذي هو المذكور، وإما اسمٌ مضافٌ إلى الفاعل، أو مضافٌ إضافةَ الأسماءِ المَحْضَة؛ أي: من أَعْرَضَ عن كِتابي، ولم يَتْلُهُ، ولم يَتَدبَّرهُ، ولم يَعملْ به، ولم يفهَمْهُ، فإنَّ حياتَهُ ومَعِيشَتَهُ لا تكون إلا مُضَيَّقَةً عليه، مُنَكَّدةً، مُعَذَّبًا فيها.

والضَّنْكُ: الضِّيقُ والشِّدةُ والبلاءُ، ووَصْفُ المَعيشةِ نَفْسِها بالضَّنْك مُبالَغَةٌ، وفُسِّرتْ هذه المَعِيشة بعَذابِ البَرْزَخ، **والصحيحُ**: أنها تَتَناولُ مَعِيشَتَهُ في الدنيا، وعذابَهُ في البَرزَخ، فإنه يكون في ضَنْكٍ في الحالين؛ وهو شِدَّةٌ وجَهْدٌ وضِيقٌ، وفي الآخرة يُنْسَى في العذاب، وهذا عَكسُ أهلِ السَّعادةِ والفَلاحِ، فإنَّ حياتَهُم في الدنيا أَطْيبُ الحياةِ، و في البَرزَخِ، ولهم في الآخرةِ أفضلُ الثَّوابِ.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾، فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، فهذا في البَرزَخ والآخرة، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾،

فهذه أربعةُ مواضِعَ ذَكَرَ الله تعالى فيها أنه يَجزي المُحْسِنَ بإِحْسانِهِ جزاءَين: جزاءً في الدنيا، وجزاءً في الآخرة.

فالإِحْسانُ له جزاءٌ مُعَجَّلٌ ولابد، والإِساءةُ لها جزاءٌ مُعَجَّلٌ ولابد، ولو لم يكن إلا ما يُجازَى به المُحْسِن من انشِراحِ صدره، وانفِسَاح قَلبِهِ، وسرورِهِ ولذَّتِهِ بمُعامَلَةِ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ وطاعتِهِ وذكرِهِ ونعيمِ روحِهِ بمحبته وذِكْرِهِ، **وفرَحُهُ بربِّهِ ﷻ أعظمُ ممَّا يفرحُ القريب من السلطان الكريم عليه بسُلطانِهِ**، وما يُجازَى به المُسيءُ مِن ضِيقِ الصَّدرِ، وقَسْوةِ القلب، وتَشَتُّتِهِ، وظُلْمَتِهِ، وحَزازَاتِهِ، وغَمِّهِ، وهَمِّهِ، وحُزْنِهِ، وخَوْفِهِ، وهذا أمرٌ لا يكادُ مَن له أدنى حِسٍّ وحَياةٍ يَرتابُ فيه، بل الغُمُومُ والهُمُومُ والأحزانُ والضِّيقُ عقوباتٌ عاجِلةٌ، ونارٌ دُنْيويَّة، وجَهَنَّم حاضِرةٌ.

والإِقبالُ على الله تعالى، والإِنابةُ إِليهِ، والرِّضى به وعنه، وامتلاءُ القلبِ من مَحَبَّتِهِ، واللَّهَجُ بذِكْره، والفَرحُ والسُّرورُ بمَعرِفَتِه، **ثوابٌ عاجِلٌ، وجَنَّةٌ حاضِرةٌ، وعَيْشٌ لا نسبةَ لعَيش المُلُوك إليه ألبَتَّة**.

وسمعتُ شيخَ الإِسلام ابنَ تيمية قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يقول: «إِنَّ في الدنيا جَنَّةً من لم يَدخُلْها لا يَدخلُ جنةَ الآخرة».

وقال لي مرةً: «ما يصنعُ أعدائي بي؟ أنا جَنَّتي وبُستاني في صَدري، أينَ رُحْتُ فهي معي لا تُفارِقُني؛ أنا حَبْسِي خَلوَةٌ، وقتلي شَهادَةٌ، وإِخراجي من بَلدِي سِياحَةٌ».

وكان يقول في مَحْبَسِهِ بالقلعة: «لو بَذَلتُ لهم مِلءَ هذه القلعةِ ذَهَبًا ما عَدَلَ عندي شُكرَ هذه النِّعمة، -أو قال:- ما جَزَيتُهُم على ما تَسَبَّبوا لي فيه من الخَير»، ونحو هذا.

وكان يقول في سُجُودِهِ وهو مَحبُوسٌ: «اللهم أعنِّي على ذِكرِكَ، وشُكرِك، وحُسنِ عِبادتك»، ما شاء الله، وقال لي مرةً: «المحبوسُ من حُبِسَ قلبُهُ عن ربِّهِ تعالى، والمأسُور من أَسَرَه هواهُ»، ولمَّا أُدخِلَ إلى القَلعَةِ، وصار داخلَ سُورِها، نَظَرَ إِليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

وعَلِمَ اللهُ ما رَأَيتُ أحدًا أَطيبَ عَيشًا منه قَطُّ، مَعَ ما كان فيه من ضِيقِ العَيشِ،

وخِلافِ الرَّفاهِية والنَّعِيم، بل ضِدِّها، ومع ما كان فيه من الحَبْسِ والتَّهْديدِ والإرْجافِ، وهو مع ذلك مِن أَطيبِ الناسِ عَيْشًا، وأَشْرَحِهم صَدْرًا، وأَقواهم قَلبًا، وأَسَرِّهِم نَفْسًا، تَلُوحُ نَضْرَةُ النَّعيم على وَجهِهِ، وكُنَّا إذا اشتَدَّ بنا الخَوفُ، وساءَتْ مِنَّا الظُّنُون، وضَاقَتْ بنا الأرضُ، أتيناهُ فما هو إلا أن نَراهُ ونَسمَعَ كلامَهُ فيَذْهَب ذلك كلُّهُ، ويَنْقلب انشراحًا وقُوَّةً ويَقِينًا وطمأنينةً، فسُبحانَ من أَشْهَدَ عِبادَهُ جَنَّتَهُ قَبلَ لِقائِهِ، وفَتحَ لهم أَبوابَها في دارِ العمل فأتاهُم من رَوحِها ونَسِيمها وطِيبِها ما استَفرغَ قُواهُم لِطَلَبِها والمُسابقةِ إليها.

وكان بعض العارفين يقول: «لو عَلِمَ المُلوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحن فيه لَجالَدُونا عليه بالسيوف».

وقال آخرُ: «مساكينٌ أهلُ الدنيا؛ خَرَجُوا منها وما ذَاقوا أَطيبَ ما فيها، قيل: وما أطيبُ ما فيها؟ قال: محبةُ الله تعالى، ومَعرِفَتُهُ وذِكْرُهُ»، أو نحوُ هذا.

وقال آخرُ: «إنه لَتَمرُّ بالقلبِ أوقاتٌ يَرقُصُ فيها طَرَبًا».

وقال آخرُ: «إنه لَتَمُرُّ بي أوقاتٌ أقول: إنْ كان أهلُ الجنةِ في مِثل هذا إنهم لَفِي عَيشٍ طَيِّبٍ».

فمحبةُ الله تعالى ومعرفتُهُ، ودوامُ ذكرِهِ، والسُّكونُ إليه، والطمأنينةُ إليه، وإفرادُهُ بالحُبِّ والخَوفِ والرَّجاءِ والتَّوكُّلِ والمُعَاملة، بحيثُ يكون هو وَحَدَهُ المُستَولِي على هُمُومِ العَبدِ وعَزَماتِهِ وإرادتِهِ، **هو جنةُ الدنيا، والنعيم الذي لا يُشبِهُهُ نعيمٌ، وهو قُرَّة عَينِ المُحِبِّين، وحياةُ العارِفين**، وإنمَّا تَقَرُّ أَعينُ الناس بهم على حَسب قُرَّة أَعْيُنِهم بالله ﷻ، فمن قَرَّتْ عينُهُ بالله قَرَّتْ به كُلُّ عَين، ومَنْ لم تَقَرَّ عينُهُ بالله تَقَطَّعتْ نفسُهُ على الدنيا حَسَرات، وإنما يُصَدِّقُ بهذه الأمور مَن في قَلبِهِ حَياةٌ، وأمَّا مَيِّتُ القلبِ فيُوحِشُك، ثم فاسْتَأنِس بِغَيْبَتِهِ ما أمكَنك فإنَّك لا يُوحِشُك إلا حُضُورُهُ عندَك، فإذا ابتُلِيتَ به فأَعْطِهِ ظاهِرَك، وتَرَحَّل عنه بقَلبِك، وفارِقْهُ بِسِرِّك، ولا تَشْتَغِل بهِ عمَّا هو أولى بك.

واعْلَم أنَّ الحَسْرةَ كلَّ الحَسْرةِ: الاشتغالُ بِمَن لا يُجدي عليك الاشتغالُ به إلا فَوتُ نَصِيبك وحَظِّكَ من الله عَزَّوَجَلَّ، وانقطاعُك عنه، وضياعُ وقتك عليك، وشتاتُ قلبكَ عليك، وضَعْفُ عَزِيمَتك، وتفرُّقُ هَمِّك.

فإذا بُلِيتَ بهذا -ولابُدَّ لك منه- فعامِلِ اللهَ تعالى فيه، واحتَسِب عليه ما أمكنَكَ، وتَقَرَّب إلى الله تعالى بِمَرضَاتِهِ فيه، واجعَل اجتِماعَكَ به مَتْجَرًا لك، لا تَجْعَلْهُ خَسَارة، وكُنْ معهُ كرَجُل سائِرٍ في طريقِهِ عَرَضَ له رَجُلٌ وَقَفَهُ عن سَيْرِهِ فاجتَهِدْ أن تأخُذَه معكَ وتَسيرَ به، فتَحْمِلهُ ولا يَحْمِلُك، فإن أَبى ولَم تلقَ في سَيْرِهِ مَطْمَعًا فلا تَقِفْ معه، بل ارَكْبِ الدَّرْبَ، ودَعْهُ، ولا تَلْتَفِت إليه، فإنَّه قاطِعُ طريقٍ، ولو كان من كان، فَانْجُ بِقَلبِكَ، وضِنَّ بِيَومِك ولَيلتِك، لا تَغْرُبْ عليكَ الشمسُ قبلَ وُصولِ المَنزِلَةِ، فتُؤْخَذ، أو يَطْلُع عليك الفجرُ وأنت في المنزلة فيسيرَ الرِّفاقُ فتُصبِحَ وحدك وأنَّى لك بِلحاقِهم.

الخامسة والثلاثون: أن الذِّكرَ يُسَيِّر العبدَ هو قاعدٌ على فراشِهِ، وفي سوقِهِ، وفي حال صِحتِهِ، وسَقَمِهِ، وفي حال نَعيمِهِ، ولذَّتِهِ، ومعاشِه، وقِيامِه، وقعودِه، واضطجاعِه، وسفرِهِ، وإقامتِهِ، فليسَ في الأعمال شيءٌ يَعمُّ الأوقاتَ والأحوالَ مثله، حتى إنه يُسيِّر العبدَ وهو نائم على فراشِه، فيَسْبِقُ القائِمَ مع الغفلةِ، فيصبح هذا وقد قَطعَ الركب، وهو مُسْتَلقٍ على فراشِه، ويصبحُ ذلك القائمُ الغافلُ في ساقَةِ الرَّكب، وذلك فضلُ اللهِ يؤتيه من يَشاء.

وحُكِيَ عن رجلٍ مِن العُبَّاد: أنه نزلَ برَجلٍ من العُبَّاد ضَيفًا، فقامَ العابدُ ليلَهُ يُصلي، وذلك الرجلُ مُستَلْقٍ على فراشِهِ، فلمَّا أصبَحا، قال له العابدُ: سبقَكَ الركبُ، أو كما قال، فقالَ: ليسَ الشَّأنُ فيمَن باتَ ليله مُسافرًا وأصبحَ مع الرَّكبِ، الشَّأن فيمَن باتَ على فراشِهِ، وأصبحَ قد قطَعَ الرَّكبَ.

وهذا ونحوُه له مَحمَلٌ صحيحٌ، ومَحمَلٌ فاسِدٌ، فمَن حَمله على أنَّ الرَّاقِدَ المضطَجِعَ على فراشِه يَسبِقُ القائمَ القانِتَ فهو باطِل، وإنَّما مَحمَلُه أن هذا المُستَلْقي

على فراشِه علَّق قلبه بربه عَزَّوَجَلَّ ، وألصَقَ حبَّةَ قلبِهِ بالعَرشِ، وباتَ قلبُه يطوُف حَولَ العَرشِ مع المَلائكةِ، قَد غَاب عن الدُّنيا ومَن فيها، وقَد عاقَه عن قيامِ اللَّيل عائقٌ من وَجعٍ، أو بردٍ يمنعُ القيامَ، أو خوفٍ على نفسِه مِن رُؤيةِ عَدوٍّ يطلبُه، أو غير ذلك مِن الأعذارِ، فهو مُستَلقٍ على فراشِه، وفي قلبِه ما الله أعلمُ به ، وآخرُ قائمٌ يُصلي ويتلو، وفي قلبِه من الرياءِ، والعُجْبِ، وطَلبِ الجَاهِ، والمَحْمَدةِ عند النَّاس ما اللهُ به عليمٌ، أو قلبه في وادٍ، وجسمُه في وادٍ، فلا رَيبَ أنَّ ذلكَ الرَّاقد يُصبِحُ وقَد سبقَ هذا القائمَ بمراحلَ كثيرةٍ، فالعملُ على القلوبِ لا على الأبدانِ، والمُعَوَّلُ على السَّاكنِ، لا على الأَطلالِ، والاعْتِبارُ بالمُحرِّكِ الأوَّل، فالذِّكر يُثيرُ العزمَ السَّاكنَ، ويُهيِّجُ الحبَّ المُتَواري، ويَبعثُ الطَّلبَ المَيِّتَ.

السادسة والثلاثون: أن الذِّكرَ نورٌ للذَّاكرِ في الدُّنيا، ونورٌ له في قبره، ونورٌ له في مَعادِه، يَسعى بين يديه على الصِّراطِ، فما استَنارت القُلوبُ والقُبوُر بمِثلِ ذكرِ الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾.

فالأوَّلُ هو المؤمنُ اسْتنارَ بالإيمانِ بالله، ومحبَّته، ومعرفتِه، وذِكرِه، والآخرُ هو الغافلُ عن الله تعالى، المُعرِضُ عن ذكرِه، ومحبَّته، والشَّأنُ كلُّ الشَّأنِ، والفلاحُ كلُّ الفلاحِ في النُّور، والشَّقاءُ كل الشَّقاءِ في فواته، ولهذا كان النبيُّ ﷺ يُبالِغُ في سُؤالِهِ ربه تَبَارَكَ وتَعَالَى حِينَ يَسألُه أن يَجعلَه في لَحمِهِ، وعِظامِهِ، وعَصَبِهِ، وشَعْرِهِ، وبَشَرِهِ، وسَمْعِهِ، وبَصَرِهِ، ومِنْ فَوْقِه، ومِنْ تَحْتِه، وعَنْ يَمينِهِ، وعَنْ شِمالِه، وخَلفِهِ، وأَمامِهِ، حتى يقولَ: «**واجْعَلني نورًا**»، فسَألَ ربَّه تَبَارَكَ وتَعَالَى أن يجعلَ النُّورَ في ذاتِه الظَّاهرةِ والباطنةِ، وأن يَجعلَهُ مُحيطًا به من جَميعِ جِهاتِه، وأن يجعلَ ذاتَه، وجُمْلَتُه نورًا.

فدينُ الله عَزَّوَجَلَّ نورٌ، وكتابُه نورٌ، ودارُه التي أعدَّها لأوليائه نورٌ يَتَلألأ، وهو تَبَارَكَ وتَعَالَى نورُ السَّماواتِ والأرضِ، ومِن أسمائِه النُّور، والظُّلماتُ أشْرقَت لنورِ وَجهِهِ، وفي

دعاءِ النَّبي ﷺ يومَ الطَّائف: «**أعوذُ بنورِ وجهِك الذي أشرقَت له الظُّلمات، وصَلُحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرةِ، أن يحلَّ عليَّ غضبُك، أو ينزِلَ بي سَخَطُك، لك العُتبى حتى تَرضى، ولا حَولَ ولا قوَّةَ إلا بك**»(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ليسَ عند ربِّكم ليلٌ ولا نهارٌ، نورُ السَّماواتِ والأرض من نورِ وَجهِه»، وفي بعض ألفاظِ هذا الأثرِ: «نور السماوات والأرض من نور وجهه»، ذَكره عُثمانُ الدَّارمي، وقَد قَال تعالى: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾، فإذا جاءَ تبارك وتعالى يومَ القيامةِ؛ للفَصلِ بين عبادِه، أَشرقَت بنورِه الأرضُ، وليسَ إشراقُها يومئذٍ بشمسٍ ولا قمرٍ، فإنَّ الشمسَ تُكوَّرُ، والقَمرُ يخسف ويَذهبُ نورُهما، وحجابُه تبارك وتعالى النور.

قال أبو موسى: «قامَ فينا رسولُ الله ﷺ بخمسِ كلماتٍ، فقالَ: **إنَّ الله لا يَنامُ، ولا يَنبغي له أن يَنامَ، يخفِضُ القِسْطَ ويَرفعُه، يُرفعُ إليه عملُ الليلِ قبل النَّهارِ، وعملُ النَّهار قبلَ عمل الليلِ، حِجابُه النُّورُ لو كَشَفَهُ لأحْرقَت سُبُحاتُ وَجْهه ما انْتهى إليه بَصَرُهُ مِن خَلقِه**، ثم قرأ: ﴿أَنۡ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾»، فاسْتِنارةُ ذلكَ الحِجابِ بنورِ وجهِه، ولَوْلاه لأحْرقَت سُبُحاتُ وجهِهِ ونورِه ما انتَهى إليه بصرُهُ، ولهذا لمَّا تجلَّى تبارك وتعالى للجَبلِ، وكَشَفَ مِن الحجابِ شيئًا يسيرًا، سَاخ الجبلُ في الأرضِ، وتَدَكْدَك، ولم يَقُم لربِّه تبارك وتعالى.

وهذا مَعنى قَول ابن عباسٍ في قوله ﷻ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، قال: «ذلِك الله عز وجل إذا تجلَّى بنورِه لم يَقم له شيءٌ»، وهذا من بَديعِ فهمه رضي الله عنه، ودقيقِ فِطْنتِه، وكيفَ لا وقَد دَعا له رسولُ الله ﷺ أن يُعلِّمَه اللهُ التأويلَ؟! فالرَّب تبارك وتعالى يُرى يومَ القيامةِ بالأبصارِ عِيانًا، ولكِن يَستَحيلُ إدراكُ الأبصارِ له وإن رَأتْه، فالإدراكُ أمرٌ وراءَ الرُّؤيةِ، وهذه الشمسُ ـ ولله المَثل الأعلى ـ نَراها ولا نُدرِكُها كما هيَ عَليه، ولا قريبًا من ذلك، ولذلك قال ابن عباس لمنَ سأله وأورد عليه: «﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، فقالَ: أَلَستَ تَرى السَّماءَ؟، قالَ: بلى، قال: أفَتُدْرِكُها؟، قالَ: لا، قالَ: فالله تعالى أعظمُ وأجَلُّ».

---

(١) في إسناده محمد بن إسحاق المدني، وهو حسنُ الحديث، لكنَّهُ مُدلِّس، وقد عنعنَ في هذا الحديث.

وقد ضربَ الله ﷻ لنورِه في قلبِ عبدِه مثلًا لا يعقِلُه إلا العالِمون، فقالَ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

قالَ أبيُّ بن كعب: «مَثَلُ نورِه في قلبِ المسلمِ».

وهذا هو النُّور الذي أودعَه في قلبِه مِن معرفتِه، ومحبَّتِه، والإيمانِ به، وذكرِه، وهو نورُه الذي أنزلَه إليهم، فأحْياهم به، وجعلَهم يَمشون به بين الناسِ، وأصلُه في قلوبِهم، ثم تَقوى مادَّتُهُ وتَتزايدُ حتى تظهرَ على وجوهِهم وجوارِحِهم وأبدانِهم بل وثيابِهم ودورِهم، يُبصِرُه مَن هو مِن جِنسِهم، وسائرُ الخلقِ له مُنكرون، فإذا كان يومُ القيامةِ برزَ ذلك النُّور، وصارَ بإيمانِهم يَسعى بين أيديهم في ظُلمةِ الجِسرِ حتى يقطعوه، وهم فيه على حسبِ قُوته وضَعفِه في قلوبِهم في الدنيا، فمِنهم مَن نُورُه كالشمسِ، وآخرُ كالقمرِ، وآخرُ كالنَّجمِ، وآخرُ كالسِّراجِ، وآخرُ يُعطى نورًا على إبهامِ قدمِه يُضيءُ مرَّةً، ويطفأُ أخْرى، إذا كانت هذه حالُ نورِه في الدُّنيا، فأُعْطِيَ على الجِسرِ بمِقدارِ ذلك، بل هو نَفس نورِه ظهرَ له عِيانًا، ولمَّا لم يَكُن للمُنافقِ نورٌ ثابتٌ في الدَّنيا، بل كان نورُه ظاهرًا لا باطنًا، أُعْطِي نورًا ظاهرًا مَآلُه إلى الظُّلمةِ والذَّهابِ.

وضربَ الله ﷻ لهذا النور، ومَحلِّه، وحاملِه، ومادتِه مَثَلًا بالمِشْكاةِ، وهي الكُوَّةُ في الحائطِ، فهي مثلُ الصَّدرِ، وفي تلك المِشْكاة زُجاجة مِن أصْفى الزُّجاجِ، وحتى شُبِّهَت بالكَوْكبِ الدرِّي في بياضِه وصفائِه، وهي مَثَلُ القلبِ، وشُبِّهَ بالزُّجاجَةِ؛ لأنها جَمعَت أوْصافًا هي في قلبِ المؤمنِ، وهي الصَّفاءُ، والرِّقَّةُ، والصَّلابةُ، فيَرى الحقَّ والهُدى بصفائه، وتحصُلُ مِنه الرَّأفةُ والرَّحمةُ والشفقة برقَّتِه، ويُجاهِدُ أعداءَ الله تعالى، ويَغلُظُ عَليهم، ويَشتدُّ في الحَق، ويَصلبُ فيه بصَلابته، فلا تُبطِلُ صفةٌ منه صفةً أخرى، ولا تُعاديها، بل تُساعدُها وتُعاضِدُها، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ

ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، وفي أثرٍ: (القلوبُ آنيةُ الله تعالى في أرضِه، فأحبُّها إليه أَرَقُّها، وأَصلبُها، وأَصْفاها).

وبإزاءِ هذا القلبِ قَلْبانِ مَذْمومانِ في طَرَفي نَقيضٍ: أحَدُهما: قلبٌ حَجَرِيٌّ قاسٍ لا رحمةَ فيه، ولا إحسانَ ولا برَّ، ولا له صَفاء يَرى به الحقَّ، بل هو جَبارٌ جاهِلٌ، لا عالمٌ بالحقِّ، ولا راحِمٌ للخلق، وبإزائِه قلبٌ ضعيفٌ مائيٌّ، لا قوَّةَ فيه ولا استمساكَ، بل يَقبلُ كلَّ صُورة، وليسَ له قُوَةُ حفظِ تِلك الصُّوَر، ولا قُوَّة التَّأثيرِ في غيرِه، وكلُّ ما خالطَه أثَّرَ فيه مِن قَويٍّ وضَعيفٍ، وطيِّبٍ وخَبيثٍ، وفي الزُّجاجةِ مِصباحٌ، وهو النوُّر الذي في الفَتيلة، وهِي حامِلتُه، ولذلك النُّور مادةٌ، وهي زَيتٌ قد عُصِرَ من زيتونةٍ في أعدَلِ الأماكنِ، تُصيبها الشمسُ أولَّ النَّهارِ وآخرَه، فزَيتُها مِن أصْفى الزَّيتِ، وأبْعَدِه مِن الكَدَرِ، حتَّى إنه ليَكادُ مِن صَفائه يُضيءُ بلا نارٍ، فهذه مادةُ نورِ المِصْباحِ.

وكذلك مادةُ نورِ المِصْباح الذي في قلبِ المؤمنِ، هو مِن شَجرةِ الوَحي التي هِي أعظمُ الأشياءِ بَركةً، وأبْعدُها مِن الانْحرافِ، بل هي أوسَطُ الأمورِ وأعدَلُها وأفضَلُها، لم تَنحرف انحرافَ النَّصرانيَةِ، ولا انحرافَ اليهوديةِ، بل هِي وَسطٌ بين الطَّرفينِ المَذمومَيْن في كلِّ شَيء، فهذه مادةُ مِصْباحِ الإيمانِ في قلبِ المؤمنِ.

ولمَّا كان ذلك الزَّيتُ قد اشتدَّ صَفاؤُهُ حتَّى كادَ أن يُضيءَ بنفسِهِ، ثم خالطَ النَّارَ فاشتدَّت بها إضاءَتُهُ، وقَوِيَتْ مادةُ ضَوءِ النارِ به، كان ذلك نورًا على نورٍ، وهكذا المؤمنُ قلبُه مُضيءٌ، يَكادُ يَعرفُ الحقَّ بفِطرتِه وعقلِه، ولكِن لا مادةَ له مِن نفسِهِ، فجاءت مادةُ الوحي فباشرت قلبَه، وخالطَت بشاشتَهُ، فازدادَ نورًا بالوَحْي على نورِه الذي فطرَه الله تعالى عليه، فاجتمعَ له نورُ الوحي إلى نورِ الفِطرةِ، نورٌ على نورٍ، فيَكادُ يَنطِقُ بالحقِّ وإن لم يَسمعْ فيه أثرًا، ثم يَسمعُ الأثرَ مطابقًا لما شَهدت به فطرتُهُ، فيكونُ نورًا على نورٍ، فهذا شَأنُ المؤمنِ، يُدركُ الحقَّ بفطرتِه مُجْملًا، ثم يَسمعُ الأثرَ جاءَ به مُفَصَّلًا، فيَنشأُ إيمانُه عن شهادةِ الوَحْي والفِطرةِ.

فليَتأمل اللَّبيبُ هذه الآيةَ العظيمةَ ومطابقَتَها لهذه المعاني الشريفةِ، فذكرَ ﷻ نورَه في السموات والأرضِ، ونورَه في قلوبِ عبادِه المؤمنين؛ النُّورَ المَعقولَ المشهودَ بالبصائرِ والقُلوبِ، الذي استَنارَتْ به البصائِرُ والقُلوبُ، والنُّورَ المَحسوسَ المشهودَ بالأبصارِ، الذي استَنارَتْ به أَقطارُ العالَمِ العُلْوي والسُّفْلِي، فهما نُوران عَظيمانِ، وأحدُهما أعظمُ مِن الآخرِ، وكما أنَّه إذا فُقِدَ أحدُهما من مكانٍ أو مَوضعٍ لم يَعِشْ فيه آدَميٌّ ولا غيرُه؛ لأنَّ الحَيَوان إنما يتكونُ حيثُ النور، ومواضِعِ الظُّلمةِ التي لا يشرقُ عليها نورٌ لا يعيشُ فيها حيوانٌ، ولا يتكونُ ألبتَّة، فكذلك أمَّةٌ فُقِدَ منها نورُ الوَحْي والإيمانِ، وقلبٌ فُقِدَ منه هذا النورُ ميِّتٌ ولا بُدَّ، لا حياةَ له ألبتَّة، كما لا حياةَ للحيوانِ في مكانٍ لا نورَ فيه، والله ﷻ يَقرنُ بين الحياةِ والنُّور، كما في قولِه ﷻ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾، وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾، وقد قيلَ: (إنَّ الضَّميرَ في ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ عائدٌ إلى الأمر)، وقيلَ: (إلى الكتابِ)، وقيلَ: (إلى الإيمان)، **والصَّوابُ**: أنَّه عائدٌ إلى الرُّوحِ؛ أي: جَعلنا ذلك الرُّوحَ الذي أوْحيْناه إليك نورًا، فسمَّاه رُوحًا لِمَا يَحصِلُ به مِن الحياة، وجَعلَهُ نورًا لما يَحصِلُ بهمن الإشْراقِ والإضاءَةِ، وهما مُتلازِمان، فحَيث وُجِدتْ هذه الحياةُ بهذا الروح وُجِدت الإضاءَةُ والاسْتِنارةُ، وحَيث وُجِدت الاسْتِنارةُ والإضاءَةُ وُجِدت الحياةُ، فمَن لم يَقبل قلبُهُ هذا الروحَ فهو ميِّتٌ مُظلِمٌ، كما أنَّ مَن فارقَ بدنَه رُوحُ الحياةِ فهو هالِكٌ ومُضْمَحِلٌّ.

فلهذا يضربُ ﷻ المَثلَيْن: المائيِّ والناريِّ معًا، لِما يَحصلُ بالماءِ مِن الحياةِ، وبالنارِ من الإشراقِ والنُّورِ، كما ضربَ ذلِك في أوَّلِ سُورةِ البقرةِ في قولِه تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾، وقال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقُل: (بنارِهم)؛ لأنَّ النَّار فيها الإحْراق والإشْراق، فذَهبَ بما فيه الإضاءة والإشراق، وأبْقى عَليهم ما فيه الأَذى والإحْراق.

وكذلك حالُ المُنافِقين: ذهَبَ نورُ إيمانِهم بالنِّفاقِ، وبَقِي حَرارةُ الكُفرِ والشُّكوكِ والشُّبُهاتِ تَغْلي في قُلوبِهم، وقلوبُهم قد صَلِيَت بحَرِّها وأَذاها وسُمومِها ووَهَجِها في الدنيا، فأصْلاها الله تعالى إيَّاها يومَ القيامةِ نارًا مُوقَدةً، تَطَّلِعُ على الأفئدَةِ، فهذا مَثلُ من لم يَصحَبْه نورُ الإيمان في الدنيا، بل خرجَ مِنه وفارقَه بعد أن اسْتَضاءَ به، وهو حالُ المُنافِقِ عَرفَ ثم أنكرَ، وأقرَّ ثم جَحدَ، فهو في ظُلماتٍ أصَمُّ أبْكمُ أعْمى، كما قالَ تعالى في حقِّ إخوانهم مِن الكفارِ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، وقالَ تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾.

وشبَّه تعالى حالَ المُنافقين في خُروجِهم من النُّورِ بعْدَ أن أضاءَ لهم بحالِ مُسْتَوقِد النارِ، وذهابِ نورِها عنه بعد أن أضاءتْ ما حولَه؛ لأنَّ المُنافِقين بمُخالطتِهم المُسْلمين، وصلاتِهم معهم، وصيامِهم معهم، وسماعِهم القرآنَ، ومُشاهدتِهم أعلامَ الإسلام ومنارَه، قد شاهدوا الضَّوءَ ورَأوا النُّورَ عِيانًا، ولهذا قالَ تعالى في حقِّهم: ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾؛ لأنهم فارَقوا الإسلامَ بعد أن تلبَّسوا به واسْتَنارُوا به، فَهُم لا يَرجعُون إليه.

وقال تعالى في حقِّ الكُفار: ﴿فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾؛ لأنهم لم يَعقِلوا الإسلامَ، ولا دَخلوا فيه، ولا اسْتَنارُوا به، بل لم يَزالوا في ظُلماتِ الكُفرِ؛ صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ، فسُبحانَ مَن جعلَ كلامَهُ لأدْواءِ الصُّدورِ شافِيًا، وإلى الإيمانِ وحَقائقِهِ مُناديًا، وإلى الحياةِ الأبديَّةِ والنَّعيمِ المُقيم داعيًا، وإلى طَريقِ الرَّشادِ هاديًا.

لقَد أسْمعَ مُنادي الإيمانِ لو صادفَ آذانًا واعِيةً، وشَفَتْ مَواعظُ القرآنِ لو وافَقت قلوبًا من غيِّها خالية، ولكِن عَصَفَت على القلوبِ أهْوِيَةُ الشُّبهاتِ والشَّهواتِ، فأطفَأت مصابيحَها، وتَمكَّنَت منها أيْدي الغفلةِ والجهالةِ، فأغلقَت أبوابَ رُشدِها، وأضاعَت مفاتيحَها، ورانَ عليها كسبُها فلم يَنفعْ فيها الكَلامُ، وسَكِرَت بشَهواتِ الغَيِّ وشُبُهات الباطلِ، فلم تُصْغِ بعدَه إلى المَلام، ووُعِظَت بمَواعظ أنْكى فيها من الأسِنَّةِ والسِّهامِ، ولكن ماتَت في بَحْرِ الجهْلِ والغفلةِ، وأسْرِ الهوى والشَّهوةِ، و(ما لِجُرحٍ بميتٍ إيلامُ).

فَصْل

والمَثَلُ الثَّاني: المائيُّ، قولُه تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

الصَّيِّبُ: المَطرُ الذي يَصُوبُ مِن السَّماءِ؛ أي: ينزلُ مِنها بسرعةٍ، وهو مَثَل القرآنِ الذي به حياةُ القلوبِ كالمَطرِ الذي به حياةُ الأرضِ والنَّباتِ والحَيوانِ، فأدركَ المؤمنون ذلك مِنه، وعَلموا ما يَحصُلُ به مِن الحياةِ التي لا خَطَرَ لها، فلم يَمنَعْهُم منها ما فيه مِن الرَّعدِ والبرقِ، وهو الوَعيدُ والتَّهديدُ، والعُقوباتُ والمَثُلاتُ، التي حذَّر الله بها مَن خالفَ أمرَهُ، وأخبَرَ أنه مُنزلها بمَن كذَّب رسوله ﷺ، أو ما فيه مِن الأَوامرِ الشَّديدةِ، كجهادِ الأعداءِ، والصَّبرِ على اللأواء، والأوامرِ الشَّاقَّة على النفوسِ التي هي بخِلافِ إرادتِها، فهي كالظُّلماتِ والرَّعدِ والبرقِ، ولكِن مَن عَلِمَ مَواقِع الغيثِ وما يحصلُ به من الحياة لم يَسْتوحِش لِمَا معه من الظُّلمةِ والرَّعْدِ والبَرقِ، بل يَستأنِسُ لذلك، ويفرحُ به لما يرجو من الحياة والخِصْب.

وأما المُنافِقُ فإنه لِعَمَى قلبه لم يجاوز بصرُهُ الظلمةَ، ولم يَرَ إلا بَرْقًا يَكادُ يَخطِفُ البصرَ، ورَعْدًا عظيمًا، وظُلمةً، فاسْتَوحَشَ من ذلك وخاف منه، فوَضَعَ أصابِعَهُ في أذنَيْهِ لِئلَّا يَسمعَ صوتَ الرَّعدِ، وهَالَهُ مُشاهدُة ذلك البرقِ، وشِدَّةُ لَمَعانِهِ، وعِظَمُ نُورِهِ، فهو خائفٌ أن يُختَطَفَ معَهُ بصرُهُ؛ لأن بصرَهُ أضعفُ من أن يَثبُتَ معَهُ، فهو في ظُلمةٍ، يَسمعُ أصواتَ الرَّعدِ القَاصِفِ، ويرى ذلك البَرقَ الخاطِفَ، فإنْ أضاءَ له ما بَينَ يديهِ مَشَى في ضَوئِهِ، وإن فَقَدَ الضوءَ قامَ مُتَحيِّرًا؛ لا يَدري أينَ يَذهبُ، ولِجَهلِهِ لا يعلمُ أنَّ ذلك من لَوَازِمِ الصَّيبِ الذي به حياةُ الأرض والنبات، وحياتُهُ هو في نفسِهِ، بل لا يُدرِكُ إلا رعدًا وبَرقًا وظُلمةً، ولا شعورَ له بما وراءَ ذلك، فالوَحْشةُ لازمةٌ له، والرُّعْبُ والفَزَعُ لا يُفارقُهُ، وأما مَن أَنِسَ بالصيِّب، وعَلِمَ ما يحصلُ به من الخيرات والحياة والنَّفعِ، وعَلِمَ أنه لابدَّ فيه من رَعْدٍ وبَرقٍ وظُلمةٍ بسَبَبِ الغَيمِ، اسْتَأنسَ

بذلك، ولم يَسْتَوحِشْ منه، ولم يَقْطَعْهُ ذلك عن أَخْذِهِ بنَصِيبِهِ مِن الصَّيبِ، فهذا مَثَلٌ مُطابِقٌ للصَّيبِ الذي نزلَ به جبريلُ ﷺ من عند ربِّ العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَى على قلبِ رسولِ الله ﷺ؛ ليُحيي به القلوبَ والوُجودَ أجمع، اقتَضَتْ حكمتُهُ أنْ يُقَارِنَهُ من الغَيمِ والرَّعدِ والبَرقِ ما يُقارِنُ الصَّيِّبَ المائيَّ حِكَمةً بالغةً، وأسبابًا مُنتَظِمَةً، نَظَّمَها العزيزُ الحَكيم، فكان حَظُّ المنافقِ من ذلك الصَّيِّبِ سَحابُهُ ورُعُودُهُ وبُروقُهُ فقط، لم يَعلم ما وراءَهُ فاسْتَوحَشَ بما أَنِسَ به المؤمنون، وارْتابَ بما اطمأنَّ به العالِمون، وشَكَّ فيما تَيقَّنَهُ المُبصِرون العارفون، فبَصُرُه في المَثَلِ النَّاري كبَصَرِ الخُفَّاش في نَحْرِ الظَّهيرة، وسَمْعُهُ في المَثَلِ المائيِّ كسَمْعِ مَن يَموتُ من صَوتِ الرَّعدِ، وقَد ذُكِرَ عن بَعض الحيواناتِ أنها تَموتُ من صوتِ الرَّعدِ.

وإذا صادفَ هذه العقولَ والأَسماعَ والأَبصارَ شُبُهاتٌ شَيْطانِيةٌ، وخَيالاتٌ فاسدةٌ، وظُنُونٌ كاذِبةٌ، جالتْ فيها وصَالت، وقامَت فيها وقَعَدتْ، واتَّسَعَ فيها مجَالُها، وكَثُرَ بها قِيلُها وقَالُها، فمَلَأَتْ الأَسماعَ من هَذَيانِها، والأرضَ مِن دَوَيانِها، وما أكثرَ المُسْتَجِيبين لهؤلاء، والقَابِلينَ منهم، والقائمينَ بدَعْوَتِهم، والمُحامِين عن حَوْزَتِهم، والمُقاتِلين تحتَ أَلوِيَتهم، والمُكَثِّرين لسَوادِهم عددًا، وما أقلَّهم عند الله وأوليائه قَدْرًا، ولِعُموم البَلِيَّةِ بهم، وضَررِ القُلوبِ بِكلامِهِم؛ هَتَكَ اللهُ أستارَهُم في كتابه غايةَ الهَتْكِ، وكشفَ أسرارَهُم غايةَ الكَشْفِ، وبَيَّنَ علاماتِهِم وأعمالَهم وأَقوالَهُم، ولَم يَزَلْ عَزَّوَجَلَّ يَقول: (ومِنهُم، ومِنهُم، وَمِنهُم) حتى انكشفَ أمرُهُم، وبانَتْ حقائِقُهُم، وظَهَرتْ أسرارُهُم.

وقد ذكر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في أولِ سورة البَقَرة أوصافَ المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكرَ في أوصاف المؤمنين ثلاثَ آيات، وفي أوصافِ الكفار آيتين، وفي أَوصافِ هؤلاء بِضْعَ عَشْرَة آية؛ لِعُمومِ الابتلاءِ بهم، وشِدَّةِ المُصيبةِ بمُخالطَتِهم، فإنهم من الجلدَةِ مُظهِرُون المُوافَقَةَ والمُناصَرَة، بِخَلاف الكافِرِ الذي قد نابَذَ بالعَدَاوة، وأظْهَرَ السَّريرةَ، ودعاك بما أَظْهَرَه إلى مُنابذَته ومفارقته.

فصل

ونَظير هذين المَثَلَين المَثَلان المَذْكوران في سُورةِ الرَّعدِ في قولِهِ تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾، فهذا المَثَلُ هو المَثَلُ المائيُّ؛ شَبَّهَ سبحانه الوَحْيَ الذي أَنزَلَه بحياةِ القُلوبِ بالماء الذي أَنزَلَهُ من السماء، وشَبَّهَ القُلوبَ الحامِلَة له بالأَوْدِيةِ الحامِلَةِ للسَّيلِ، فَقَلْبٌ كَبيرٌ يَسَعُ عِلمًا عظيمًا كوَادٍ كَبيرٍ يَسَعُ ماءً كَثيرًا، وقَلْبٌ صغيرٌ كوَادٍ صَغيرٍ يَسَعُ عِلمًا قليلًا، فحَمَلَتْ القُلوبُ من هذا العلمِ بِقَدْرِها، كما سَالتِ الأَوْدِيةُ بِقَدْرِها، ولما كانت الأوديةُ ومَجاري السيول فيها الغُثاءُ ونحوُهُ ممَّا يَمُرُّ عليه السَّيلُ فيَحْتَمِلُهُ السَّيلُ فيَطفُوا على وَجْهِ الماء زَبدًا عاليًا، يَمُرُّ عليه مُتراكِبًا، ولكن تَحْتَهَ الماءُ الفُرَات الذي به حياةُ الأرض، فيَقْذِفُ الوادي ذلكَ الغُثاءَ إلى جَنَبَتَيه حتى لا يَبْقى منه شيءٌ، ويبقى الماءُ الذي تحتَ الغُثاءِ يَسْقِي اللهُ تعالى به الأرضَ، فيُحْيِي به البلادَ والعِبادَ والشَّجَرَ والدَّوَابَ، والغُثاءُ يَذهبُ جُفاءً يُجْفَى، ويُطرَحُ على شَفِير الوَادي.

فكذلك العلمُ والإيمانُ الذي أنزلَهُ من السماء في القُلوبِ، فاحْتَمَلتْهُ فأَثار منها بِسَبَبِ مُخالَطَتِهِ لها ما فيها من غُثَاءِ الشَّهَوات، وزَبَدِ الشُّبُهات الباطلةِ، فطفا في أَعلاها، واسْتَقَرَّ العلمُ والإيمانُ والهُدى في جَذْرِ القَلبِ – وهو أصلُهُ ومُستقرُّه كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**نزل الإيمانُ في جَذْرِ قلوبِ الرِّجال**» رواه البخاريُّ من حديث حُذيفة[1]–، فلا يزالُ ذلك الغُثاءُ والزَّبدُ يذهبُ جُفاءً ويَزولُ شيئًا فشيئًا حتى يَزولَ كُلُّهُ، ويَبقى العلمُ النافعُ، والإيمانُ الخالِصُ في جَذْرِ القلب، يَرِدُهُ الناسُ فيَشْربُون ويَسْقُون ويَزرَعُون.

وفي «الصحيح» من حديث أبي موسى عن النَّبي ﷺ قال: «**مَثَلُ ما بَعثَنِي اللهُ تعالى به مِن الهُدى والعِلمِ كمَثَلِ غَيثٍ أَصابَ أَرضًا فكان منها: طائِفةٌ طيِّبةٌ؛ قَبِلتْ الماءَ فأَنبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثيرَ، وكان منها طائفةٌ أَجادِبُ؛ أَمسَكَتِ الماءَ، فسَقَى الناسُ**

(١) لفظُ الحديث عند البخاريِّ ومسلمٍ وغيرها من كتب الحديث: «الأمانة» بدل «الإيمان».

وزَرَعُوا، وأصابَ منها طائفةً أُخرى إنَّما هي قِيعان؛ لا تُمْسِكُ ماءً، ولا تُنبِتُ كَلَأً، فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دِينَ الله تعالى، ونَفَعَهُ بما بعثني اللهُ به؛ فعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرفَعْ بِذلك رَأسًا، ولم يَقْبَلْ هُدى الله الذي أُرْسِلتُ به».

فجعلَ النبيُّ ﷺ الناسَ بالنِّسبةِ إلى الهُدى والعِلمِ ثلاثَ طبقاتٍ:

الطبقةُ الأولى: وَرَثَةُ الرُّسُل، وخُلَفاءُ الأَنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم الذين قاموا بالدِّين عِلمًا وعَمَلًا ودَعْوةً إلى الله عز وجل ورسولِهِ ﷺ، فهؤلاء أتباعُ الرَّسُولِ ﷺ حقًّا، وهَم بِمَنزلةِ الطائفةِ الطيِّبةِ منَ الأرضِ التي زَكَتْ، فقبِلَتِ الماءَ، فأَنبتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكَثيرَ، فزَكَتْ في نفسِها، وزَكَا الناسُ بها، وهؤلاءِ هُم الذين جَمَعُوا بينَ البَصِيرةِ في الدِّين، والقُوَّةِ على الدَّعوةِ، ولذلك كانوا وَرَثَةَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين قال تعالى فيهم ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾، **فالأيدي**: القوَّةُ في أمر الله، **والأبصار**: البصائرُ في دين الله عز وجل فبالبَصَائِرِ يُدرَكُ الحَقُّ ويُعرفُ، وبالقُوَّة يُتَمكَّنُ من تَبلِيغِهِ وتَنفِيذِه والدَّعوةِ إليه، فهذه الطَّبَقةُ كَان لها قُوَّةُ الحفظِ والفهم والفقه في الدين، والبَصَرُ بالتأويل، ففَجَّرتْ من النُّصُوصِ أنهارَ العلوم، واستَنبَطَتْ منها كُنُوزَها، ورُزِقَت فيها فهمًا خاصًّا، كما قال أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب - وقد سُئِلَ: هل خَصَّكُم رسولُ الله ﷺ بشيءٍ دونَ الناسِ ؟ فقال: - «لا والذي فَلَقَ الحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسْمَةَ إلا فَهْمًا يُؤتِيهِ اللهُ عبدًا في كِتابِهِ».

فهذا الفهمُ هو بمنزلة الكَلأ والعُشْبِ الكثيرِ الذي أنبتَتْهُ الأرضُ، وهو الذي تَميَّزَتْ به هذه الطبقة عن:

الطبقة الثانية: فإنها حَفِظَت النُّصوصَ، وكان هَمُّها حِفْظَها وضَبْطَها، فوَرَدَها الناسُ وتَلَقَّوْها مِنهم، فاسْتَنبَطُوا منها، واستَخْرَجوا كُنُوزَها، واتَّجَرُوا فيها وبذَرُوها في أَرضٍ قابِلَةٍ للزَّرعِ والنَّباتِ، فاستَخْرجوا غوامِضَها وأَسْرارَها، ووَرَدُوها كُلٌّ بحَسَبِهِ: ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡ﴾، وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبيُّ ﷺ: «**نَضَّر اللهُ امْرَءًا سَمِعَ**

مَقالَتِي فَوَعاها فأَدَّاها كما سَمِعَها، فَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ غَير فَقِيه، ورُبَّ حاملِ فِقهٍ إلى مَن هو أَفقهُ منه».

وهذا عبدُ الله ابن عبَّاس -حَبْرُ الأمةِ وتُرجُمَان القرآن-، مُقْدَارُ ما سَمِعَ من النبي ﷺ لم يَبْلغ نحوَ العِشرين حديثًا -الذي يقول فيه: (سمعتُ، ورَأَيتُ)- وسَمِعَ الكثيرَ من الصَّحابة، وبُورِكَ في فَهْمِهِ والاستنباطِ منه حتى مَلَأَ الدنيا عِلمًا وفِقْهًا.

قال أبو محمد ابن حزم: «وجُمِعَتْ فتاويه في سَبعةِ أَسْفارٍ كِبارٍ»، وهي بحَسَبِ ما بَلَغَ جامِعَهَا، وإلا فَعِلمُ ابنِ عبَّاس كالبَحرِ، وفِقْهُه واستِنْباطُهُ وفَهمُهُ في القرآن بالمَوْضِعِ الذي فاقَ به الناسَ، وقد سَمِعَ كما سَمِعُوا، وحَفِظَ القرآنَ كما حَفِظُوا، ولكنَّ أَرضَهُ كانت من أَطيبِ الأَراضي، وأَقْبَلِها للزَّرعِ، فبَذَرَ فيها النصوصَ فأنبتَتْ من كُلِّ زوجٍ كريمٍ: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، وأينَ تَقَعُ فتاوَى ابن عباس وتفسيرُهُ واستِنباطُهُ من فتَاوى أبي هريرة وتفسيرِه؟ وأبو هريرة أَحفَظُ منه، بل هو حافِظُ الأُمَّة على الإطْلاقِ، يُؤَدِّي الحديثَ كما سَمِعَهُ، ويَدْرُسُهُ باللَّيل درسًا، فكانت هِمَّتُهُ مَصروفَةً إلى الحِفظِ، وبَلَّغَ ما حَفِظَهُ كما سَمِعَهُ، وهِمَّةُ ابن عبَّاس مَصرُوفَةٌ إلى التَّفَقُّهِ والاسْتِنباطِ، وتَفْجيرِ النُّصوصِ، وشَقِّ الأَنهار مِنها، واستِخْراجِ كُنُوزِها.

وهكذا الناسُ بعدَهُ قِسمان:

- قِسْمٌ حُفَّاظٌ مُعْتَنُون بالضَّبْطِ والحِفْظِ والأداءِ كما سمعوا، ولا يَستَنْبِطُون، ولا يَسْتَخْرِجُون كنوزَ ما حَفِظُوه.

- وقِسْمٌ مُعْتَنُون بالاسْتِنْباطِ، واسْتِخْراجِ الأَحْكامِ من النُّصُوص والتَّفَقُهِ فيها، فالأَوَّلُ كأبي زُرْعةَ، وأبي حاتِمٍ، وابن وارَة، **وقَبْلَهم**: كبُنْدارِ مُحمَّد بن بَشَّار، وعَمرو النَّاقِد، وعَبْدِ الرزاقِ، **وقَبْلَهم**: كمُحمدِ بن جَعْفرِ غُنْدَر، وسَعيدِ بن أبي عروبةِ، وغَيْرِهم من أَهْلِ الحِفظِ والإتْقانِ والضَّبْطِ لِما سَمعوه، مِن غيرِ اسْتنباطٍ وتَصَرُّفٍ، واسْتِخْراجِ الأَحْكامِ مِن ألفاظِ النُّصوصِ.

والقِسْمُ الثَّاني: كمَالِكٍ، والليث، وسفيان، وابن المبارك، والشَّافعيِّ، والأَوْزاعِيِّ، وإِسْحاقَ، وأحمدَ ابن حَنْبَل، والبُخارِيِّ، وأبي داودَ، ومحمَّدِ بن نَصْرِ المرْوَزيِّ، وأمْثالِهم مِمَّن جَمعَ الاسْتِنْباطَ والفقهَ إلى الرِّوايةِ.

فَهاتانِ الطَّائفَتان هُما أسْعدُ الخَلْقِ بِما بعَثَ الله تعالى به رسولَه ﷺ، وهُم الَّذينَ قَبلوه ورَفعوا به رأسًا.

وأما الطَّائفة الثَّالِثة: **وهُم أشْقَى الخَلْق**؛ الذين لم يَقْبلُوا هُدْى الله، ولَم يَرْفَعُوا به رَأْسًا، فلا حِفْظَ، ولا فَهْمَ، ولا رِواية، ولا دِراية، ولا رِعاية.

فالطَّبقةُ الأولَى: أهْلُ رِوايةٍ ورِعايةٍ ودِرايةٍ، **والطَّبقةُ الثَّانِيةُ**: أهلُ رِوايةٍ ورِعايةٍ، ولَهم نَصِيبٌ مِن الدِّرايةِ بَل حَظُّهم مِن الرِّوايةِ أوْفَر، **والطَّبقةُ الثَّالِثَة**: الأشْقِياءُ، لا رِواية ولا دِراية ولا رِعاية، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، فهم الَّذين يُضيِّقُون الدِّيارَ، ويُغْلُونَ الأسعارَ، إن هَمَّ أحدِهم إلا بَطْنُه وفَرجُهُ، فإن تَرقَّتْ هِمَّتُهُ فوق ذلك كان هَمُّهُ مَعَ ذلِك في لِباسِهِ وزِينَتِه، فإنْ ترقَّتْ هِمَّتُه فَوْقَ ذلِك كان في دارِه وبُستانِهِ ومَركوبِهِ، فإن ترقَّت همَّتُهُ فوق ذلك كان هَمُّه في الرِّياسةِ والانتِصارِ للنَّفسِ الكَلبِيَّة، فإن ارتفعتْ همَّتُهُ عن نُصرَةِ النَّفسِ الكَلبيَّة كان هَمُّهُ في نُصرةِ النفسِ السَّبُعِيَّةِ.

وأمَّا النَّفسُ المَلَكيَّةِ فلم يُعطَها أحدٌ من هؤلاء، **فإنَّ النُّفوسَ ثلاثةٌ**: كلبيَّةٌ، وسَبُعِيَّة، ومَلَكيَّة؛ **فالكَلْبِيَّة**: تَقنَعُ بالعَظْمِ والكِسْرَة والجِيفَةِ والعَذِرة، **والسَّبُعِيَّة**: لا تَقنَعُ بذلك، بل بقَهْرِ النُّفوسِ، والاستعلاءِ عليها بالحَقِّ والباطل، **وأما المَلَكِيَّة**: فقد ارتَفَعتْ عن ذلك، وشَمَّرتْ إلى الرَّفيقِ الأَعلى، فهِمَّتُها العلمُ، والإيمانُ، ومحبةُ الله تعالى، والإنابةُ إليه، والطُّمأنينةُ به، والسُّكونُ إليه، وإيثارُ مَحبَّتِهِ ومرضاتِهِ، وإنما تأخذُ من الدنيا ما تأخُذُه لتَستَعِينَ به على الوصول إلى فاطِرِها ورَبِّها ووَلِيِّها، لا لِتَنقَطِعَ به عنه.

فصل

ثمَّ ضَرَبَ الله ﷻ مثلًا ثانيًا وهو المَثَل النَّاري، فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾، وهذا كالحديد والنُّحاسِ والفِضةِ والذَّهبِ وغيرِها، فإنها تدخلُ الكِيرَ لتُمَحَّصَ وتُخَلَّصَ مِن الخَبثِ، فيَخرجُ خَبَثُها، فيُرمى به ويُطرحُ، ويَبقى خالِصُها، فهو الذي يَنفعُ الناسَ.

ولما ضَربَ الله ﷻ هذيْن المَثلَين ذكرَ حُكمَ مَن استجابَ له، ورَفعَ بهُداهُ رأسًا، وحُكمَ من لم يَستَجبْ له، ولم يَرفعْ بهُداه رأسًا، فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

والمقصودُ: أنَّ الله تعالى جعلَ الحياةَ حيث النُّور، والموتَ حيث الظلمة، فحياةُ الوُجودَين -الرُّوحِيِّ والجِسمِيِّ- بالنُّورِ، وهو مادَّةُ الحياةِ، كما أنه مادةُ الإضاءةِ، فلا حياةَ بدونِهِ، كما لا إضاءةَ بدونِهِ، وكما أنه به حياةُ القلبِ فبه انْفِساحُهُ وانْشِراحُهُ وسَعتُهُ، كما في «الترمذي»[1]: عن النبي ﷺ: «**إذا دخلَ النُّورُ القلبَ انْفَسحَ وانْشَرحَ**، قالوا: وما عَلامَةُ ذلك؟، قال: **الإنابةُ إلى دارِ الخُلودِ والتَّجافي عن دارِ الغُرورِ، والاسْتِعدادُ للموتِ قَبل نُزولِهِ**».

ونورُ العبدِ هو الذي يُصْعِدُ عَمَلَه وكَلِمَهُ إلى الله تعالى، فإنَّ اللهَ تعالى لا يَصْعَدُ إليه من الكَلِم إلا الطَّيِّبَ -وهو نورٌ ومَصدَرُهُ عن النور- ولا من العَمَل إلا الصالحَ، ولا من الأَرواحِ إلا الطيبةَ، وهي أرواحُ المؤمنين التي استَنارَت بالنور الذي أنزَلَهُ على رسولِهِ ﷺ والملائِكَةِ الذين خُلِقوا من نور، كما في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها، عن النبيِّ ﷺ قال: «**خُلِقَت المَلائكةُ من نُور، وخُلِقَت الشيَاطينُ من نار، وخُلِقَ آدمُ ممَّا وُصِفَ لكم**»، فلمَّا كانت مادةُ المَلائكةِ من نُور كانوا هُم الذين يَعرُجُون إلى رَبِّهم تَبارَكَ وتَعالَى، وكذلك أرواحُ المُؤمنين هي التي تَعرُجُ إلى رَبِّها وَقْتَ قبضِ المَلائكة لها،

---

(١) مُرادُهُ رَحِمَهُ اللهُ الحكيمَ الترمذيَّ في كتابه «نوادر الأصول»، وليس أبو عيسى صاحب «الجامع»، وإسنادُ هذا الحديث المذكور مُرسلٌ، وفيه راوٍ متروك، وهو: عبد الله بن المسور بن عون. انظر: «العلل» للدارقطني (٥/ ١٨٩).

فيُفْتَحُ لها بابُ السماء الدنيا، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، إلى أن يُنتَهي بها إلى السماءِ السابعة، فتُوقَفُ بين يَدَي الله عَزَّوَجَلَّ، ثم يَأمُرُ أن يُكتَبَ كِتابُهُ في أَعلى عِلِّيين، فلمَّا كانت هذه الرُّوحُ روحًا زاكِيةً طَيِّبةً نَيِّرةً مُشْرِقَةً صَعَدَتْ إلى الله عَزَّوَجَلَّ معَ المَلائكة، وأمَّا الرُّوحُ المُظْلِمةُ الخَبِيثَةُ الكَدِرَةُ فإنها لا تُفْتَحُ لها أبوابُ السماء، ولا تَصعَدُ إلى الله تعالى، بل تُرَدُّ من السَّماء الدنيا إلى عالَمِها وعُنصُرها؛ لأَنها أَرضَيَّةٌ سُفْلِيَّةٌ، والأُولى عُلوِيَّةٌ سَماوِيَّةٌ، فَرَجَعَتْ كُلُّ روحٍ إلى عُنصُرِها وما هي منه، وهذا مُبَيَّنٌ في حديث البراء بن عازب الطويل الذي رواه الامام أحمد، وأبو عُوانة الإسفراييني في «صحيحه»، والحاكم، وغيرهم، وهو حديث صحيح.

والمقصود: أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ لا يَصعَدُ إليه من الأَعمالِ والأَقوالِ والأَرواحِ إلا ما كان منها نورًا، وأعظمُ الخلقِ نورًا أقرَبُهُم إليه، وأكرمُهُم عليه، وفي «المسند» من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ خَلْقَهُ في ظُلْمَةٍ، وأَلقى عَليهِم من نُورِهِ، فمَن أَصابَ مِن ذلكَ النُّورِ اهتَدَى، ومَن أَخْطَأَه ضَلَّ**، -فلذلك أقول[1]-: (جَفَّ القَلَمُ على عِلمِ الله تعالى) »، وهذا الحديث العظيمُ أَصْلٌ من أُصول الإِيمان، ويَنفَتِحُ به بابٌ عظيمٌ مِن أَبوابِ سِرِّ القَدَر وحِكْمَتِهِ، والله تعالى المُوَفِّق.

وهذا النورُ الذي أَلقَاهُ عليهم ﷺ هو الذي أَحياهُم وهَدَاهُم فأصابَت الفِطْرةُ منه حظَّهَا، ولكن لمَّا لم يَسْتَقِلَّ بتَمامِهِ وكَمالِهِ أكمَلَهُ لهم وأَتمَّهُ بالوَحي الذي أَلقاهُ على رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والنُّورُ الذي أَوحاهُ إليهم، فأَدْرَكَتْهُ الفِطرَةُ بذلك النُّورِ السابق الذي حَصَل لها يومَ إِلقاءِ النُّور، فانْضافَ نورُ الوَحي والنُّبوةِ إلى نورِ الفِطرَة، نورٌ على نور، فأَشْرَقَتْ منه القُلوبُ، واسْتَنارَت بِهِ الوُجُوه، وحَيِيتْ به الأَرواحُ، وأَذعَنَتْ به الجَوارحُ للطَّاعات طَوعًا واختِيارًا، فازْدَادَتْ به القلوبُ حياةً إلى حياتها.

ثُمَّ دلَّها ذلكَ النُّورُ على نورٍ آخر هو أعظمُ منه وأَجَلُّ، وهو نورُ الصفات العُليا الذي يَضْمَحِلُّ فيه كلُّ نور سواه، فشاهَدَتْهُ بِبَصائرِ الإِيمان، مُشاهَدَةً نِسْبَتُها إلى

---

(١) القائلُ هو عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

القَلبِ نِسْبَةَ المَرئِيات إلى العَين، وذلك لاسْتِيلاءِ اليَقين عليها، وانْكِشافِ حَقائِقِ الإيمان لها، حتى كأنها تَنْظُرُ إلى عَرْشِ الرحمن تَبارَكَ وتَعالَى بارِزًا، وإلى اسْتِوائِهِ عليه، كما أخبَرَ به ﷻ في كتابه، وكما أخبَرَ به عنه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُدبِّرُ أَمرَ المَمَالِيك، ويأمرُ ويَنهي، ويَخلقُ ويَرزقُ، ويُمِيتُ ويُحيي، ويَقْضِي ويُنفِذُ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويُقَلِّبُ الليلَ والنَّهارَ، ويُداوِلُ الأيامَ بينَ الناسِ، ويُقَلِّبُ الدُّوَلَ؛ فيَذْهَبُ بدَولةٍ ويأتي بأُخرى، والرُّسُل من المَلائكة عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بينَ صَاعِدٍ إليه بالأَمر، ونازِلٍ من عِنده به، وأَوامِرُهُ ومَراسِيمُهُ مُتَعاقِبَةٌ على تَعاقُبِ الأوقات، نافِذَةٌ بحَسَبِ إرادَتِهِ ومشيئته، فما شاءَ كان كما شاء في الوقت الذي يَشاءُ على الوَجْهِ الذي يَشاءُ، من غَيرِ زِيادةٍ ولا نُقْصانٍ، ولا تَقَدُّمٍ ولا تَأَخُّرٍ، وأَمرُهُ وسُلْطَانُهُ نافِذٌ في السماوات والأَرضِ وأَقطارِها، وفي الأَرضِ وما عليها وما تَحْتَها، وفي البِحارِ والجَوِّ، وفي سائِرِ أَجزَاءِ العالَم وذَرَّاتِهِ؛ يُقَلِّبُها ويُصَرِّفُها ويُحْدِثُ فيها ما يشاء.

وقَد أحاطَ بكُلِّ شيءٍ عِلمًا، وأَحْصَى كلَّ شيءٍ عددًا، ووَسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وحكمةً، ووَسِعَ سَمْعُهُ الأَصواتَ، فلا تَخْتَلفُ عليه ولا تَشْتَبهُ عليه، بل يَسْمَعُ ضَجِيجَهَا باختلاف لُغَاتِها على تَفَنُّنِ حاجاتِها، فلا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عن سَمْعٍ، ولا تُغْلِطُهُ كَثْرَةُ المسائلِ، ولا يَتَبَرَّمُ[1] بإلحاحِ المُلحِّين ذَوِي الحاجات.

وأحاطَ بصَرُهُ بجَميع المَرئِيات، فيَرى دَبِيبَ النَّملةِ السَّوداءِ، على الصَّخرةِ الصمَّاء، في اللَّيلةِ الظَّلْمَاءِ، فالغَيبُ عندَه شَهادةٌ، والسِّرُّ عندَهُ عَلانِيَةٌ؛ يَعلمُ السِّرَّ وأَخْفَى مِنَ السِّرِّ، فالسِّرُّ ما انطوى عليه ضَميرُ العبد، وخَطَرَ بقلبِهِ، ولم تَتَحَرَّك به شَفَتاهُ، وأَخفَى مِنهُ: ما لم يَخْطُرْ بقلبه بَعْدُ، فيَعْلَمُ أنه سَيَخْطُرُ بقَلبِهِ كذا وكذا في وَقْت كذا وكذا.

وله الخَلقُ والأَمرُ، وله المُلكُ والحمد، وله الدنيا والآخرة، وله النِّعمةُ، وله الفَضْلُ، وله الثناءُ الحَسَنُ، وله المُلكُ كُلُّهُ، ولَهُ الحَمْدُ كُلُّهُ، وبيَدِهِ الخَيرُ كُلُّه، وإليه يُرجَعُ الأَمرُ كُلُّه، شَملَت قُدرَتُهُ كلَّ شيءٍ، ووَسِعَتْ رَحْمتُهُ كلَّ شَيءٍ، ووَسعَت

(١) قوله: (لا يَتَبَرَّم): أي لا يَضجَرُ ويَمَلُّ.

نِعْمتُهُ إلى كُلِّ حَيٍّ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، يَغْفِرُ ذنبًا، ويُفَرِّجُ همًّا، ويَكشِفُ كَربًا، ويَجْبُرُ كَسِيرًا، ويُغنِي فَقيرًا، ويُعَلِّمُ جاهِلًا، ويَهْدي ضالًّا، ويُرشِدُ حَيرانَ، ويُغِيثُ لَهْفانَ، ويَفُكُّ عانِيًا، ويُشبِعُ جائِعًا، ويَكسُو عاريًا، ويَشفِي مَريضًا، ويُعافِي مُبْتَلًى، ويَقْبَلُ تائبًا، ويَجزي مُحسِنًا، ويَنْصُرُ مظلومًا، ويَقْصِمُ جَبَّارًا، ويُقِيلُ عَثْرةً، ويَسْتُرُ عَورةً، ويُؤَمِّنُ رَوْعَةً، ويَرفَعُ أقوامًا، ويَضَعُ آخرين.

لا ينامُ، ولا يَنْبغي له أن ينامَ، يَخفِضُ القِسْطَ ويَرفَعُهُ، يُرفَعُ إليه عَمَلُ الليل قبلَ عمل النَّهَار، وعملُ النَّهَار قبلَ عمل الليل، «**حِجابُهُ النُّور، لو كَشَفَهُ لأحْرقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما انتَهَى إليهِ بَصَرُهُ مِن خَلقِهِ**»، و«**يَمِينُهُ ملأى لا تَغِيضُها نفقَةٌ، سَحَّاءَ اللَّيلِ والنَّهار، أرأَيتُم ما أَنفَقَ منذُ خلقَ الخَلقَ فإنه لم يَغِضْ ما في يَمينِهِ**».

قُلوبُ العِبَادِ ونَواصِيهِم بِيَدِهِ، وأَزِمَّةُ الأُمورِ مَعقُودَةٌ بِقَضَائِهِ وقَدَرِه، الأَرضُ جميعًا قَبضَتُهُ يومَ القيامة، والسمواتُ مَطوِيَّاتٌ بِيَمينِهِ، يَقبِضُ سمواتِهِ كلَّها بِيَدِه ، والأرضَ باليَدِ الأُخرى، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، ثم يقول: أنا المَلِك، أنا المَلِك، أنا الذي بدأتُ الدُّنيا ولم تَكن شيئًا، وأنا الذي أُعِيدُها كما بَدَأتُها.

لا يَتَعاظَمُهُ ذنبٌ أنْ يَغْفِرَهُ، ولا حاجةٌ يُسْأَلُها أنْ يُعطِيَها، لو أنَّ أهلَ سماواتِهِ وأهلَ أرضِهِ وأوَّلَ خلقِهِ وآخرَهُم وإِنْسَهُم وجِنَّهُم كانوا على أَتقى قَلبِ رَجُل منهم ما زادَ ذلك في مُلْكِه شيئًا، ولو أنَّ أوَّلَ خلقِهِ وآخِرَهُم وإِنسَهُم وجِنَّهُم كانوا على أَفْجَرِ قَلبِ رَجُل منهم ما نَقَصَ ذلك مِن مُلكِهِ شيئًا، ولو أنَّ أهلَ سماواتِهِ وأهلَ أَرضِهِ وإِنسَهُم وجِنَّهُم وحَيَّهُم ومَيِّتَهُم كانوا على أفجر قلبِ رجلٍ منهم ما نقصَ ذلك من مُلكِهِ شيئًا، ولو أنَّ أهلَ سماواتِهِ وأهلَ أَرضِهِ وإِنسَهُم وجِنَّهم وحَيَّهُم ومَيِّتَهُم ورَطبَهُم ويابِسَهُم قاموا في صَعيدٍ واحدٍ فسَأَلوهُ فَأَعطَى كُلًّا مِنهم مسَأَلتهُ ما نَقَصَ ذلك مما عِندَه مِثْقَال ذَرَّةٍ، ولو أَنَّ أَشْجارَ الأَرضِ كُلَّها -من حِين وُجِدتْ إلى أن تَنقَضي الدنيا- أقلامٌ، والبحرُ وراءَهُ سبعةُ أَبْحُرٍ تَمُدُّهُ من بعده مِدَادٌ، فكُتِبَ بتلك الأَقلام وذلك المِدَاد لَفَنِيت الأَقلامُ ونَفِدَ المِدَادُ ولم تَنفَدْ كَلِماتُ الخالق تَبَارَكَ وتَعَالَى، وكيفَ تَفنَى كلماتُهُ

ﷻ وهي لا بِدايةَ لها ولا نِهاية، والمَخلوقُ له بدايةٌ ونهايةٌ؟! فهو أَحقُّ بالفَناء والنَّفادِ، وكيفَ يُفنِي المخلوقُ غيرَ المَخلوق؟

هو الأولُ الذي ليس قَبلَهُ شيءٌ، والآخِرُ الذي ليسَ بعدَهُ شيءٌ، والظاهرُ الذي ليس فوقهُ شيءٌ، والباطنُ الذي ليسَ دُونَهُ شيءٌ تبارك وتعالى.

أحَقُّ من ذُكِر، وأَحقُّ مَن عُبد، وأَحَقُّ مَن حُمِدَ، وأَولى من شُكِرَ، وأَنْصَرُ من ابتُغِيَ، وأَرأَفُ مَن مَلَك، وأَجودُ مَن سُئِل، وأَعْفَى مَن قَدِر، وأَكْرَمُ مَن قُصِد، وأَعدلُ مَن انتَقَم، حُكمُهُ بعدَ عِلمِهِ، وعَفْوُهُ بعدَ قُدْرَتِهِ، ومَغْفِرَتُهُ عن عِزَّتِهِ، ومَنْعُهُ عن حِكْمَتِهِ، ومُوَالاتُهُ عن إِحسانِه ورَحمتِهِ.

ما لِلْعِبادِ عَليهِ حَقٌّ واجِبٌ … كَـلَّا وَلا سَعْيٌ لَدَيهِ ضائِعُ
إِنْ عُذِّبوا فَبِعَدْلِهِ أو نُعِّمُوا … فَبِفَضْلِه وهو الكَريمُ الواسِعُ

وهو المَلِكُ لا شَريكَ له، والفَردُ فلا ندَّ له، والغَنِيُّ فلا ظَهير له، والصَّمدُ فلا وَلد له ولا صاحِبة له، والعَلِيُّ فلا شَبيه له ولاسَمِيَّ له، كلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلا وَجْهه، وكلُّ مُلكٍ زائلٌ إلا ملكُه، وكلُّ ظِلٍّ قالِصٌ إلا ظله، وكلُّ فضلٍ مُنقطعٌ إلا فضله، لن يُطاعَ إلا بفضله ورحمتِه، ولن يُعصىَ إلا بعلمِه وحكمتِه، يُطاعُ فيشْكُرُ، ويُعْصى فيتَجاوزُ ويَغفِرُ، كلُّ نِقْمةٍ مِنه عَدلٌ، وكلُّ نِعمةٍ مِنه فَضلٌ، أقربُ شَهيدٍ، وأدْنَى حَفيظٍ، حالَ دُونَ النُّفوسِ، وأخَذَ بالنَّواصِي، ونَسَخَ الآثارَ، وكَتبَ الآجالَ، فالقلوبُ له مُفْضِيةٌ، والسِّرُّ عندَه علانيةٌ، والغَيْبُ عنده شهادةٌ، عَطاؤه كلامٌ، وعَذابُه كلامٌ، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، فإذا أشْرقَت على القلبِ أنوارُ هذه الصِّفاتِ اضْمَحَلَّ عندها كلُّ نورٍ، ووَراءُ هذا ما لا يَخْطُرُ بالبالِ، ولا تنالُه عِبارةٌ.

والمَقصودُ: أنَّ الذكرَ يُنوِّرُ القلبَ والوجْهَ والأعضاءَ، وهو نورُ العبد في دُنياه وفي البرزخ وفي يوم القيامةِ.

فصل

وعلى حَسَبِ نورِ الإيمانِ في قلبِ العبدِ تَخرجُ أعمالُه وأقوالُه ولها نورٌ وبُرهانٌ، حتى إنَّ من المؤمنينَ مَن يكونُ نورُ أعمالِه إذا صَعَدَت إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كنُور الشمسِ، وهَكذا نُورُ رُوحِه إذا قَدِمَ بها على الله عَزَّوَجَلَّ، وهكذا يكونُ نورُهُ الساعي بين يديه على الصِّراط، وهَكذا يكونُ نورُ وجهِه في يوم القيامةِ، والله تعالى المُسْتعانُ، وعَليه التُّكلان.

السابعة والثلاثون: أن الذِّكر رأسُ الأمور، وطَريقُ عامةِ الطَّائفةِ، ومَنشورُ الوَلاية، فمَن فُتِحَ له فيه فقَد فُتِحَ له بابُ الدُّخولِ على الله عَزَّوَجَلَّ، فليتطهَّرْ وليَدْخُلْ على ربِّه عَزَّوَجَلَّ يَجِد عنده كلَّ ما يُريدُ، فإنْ وَجدَ ربَّه عَزَّوَجَلَّ وَجدَ كُلَّ شَيءٍ، وإنْ فاتَه ربَّه عَزَّوَجَلَّ فاتَه كلُّ شَيءٍ.

الثامنة والثلاثون: أن في القلب خلَّةً وَفاقَةً لا يَسِدُّها شَيءٌ ألبتَّة إلا ذِكرَ الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا صارَ الذِّكرُ شِعارَ القلبِ بحيثُ يكونُ هو الذَّاكِرُ بطَريقِ الأصالةِ، واللِّسانُ تبَعٌ له، فهذا هو الذكرُ الذي يَسُدُّ الخَلَّةَ، ويُغنِي الفَاقَة، فيكونُ صاحبُه غنيًّا بلا مالٍ، عزيزًا بلا عَشيرةٍ، مَهيبًا بلا سُلطانٍ، فإذا كان غافِلًا عن ذكرِ الله عَزَّوَجَلَّ، فَهو بضدِّ ذلك، فقيرٌ مع كثرةِ جِدَّتِهِ، ذليلٌ مع سلطانِه، حقيرٌ مع كثرةِ عَشيرتِه.

التاسعة والثلاثون: أنَّ الذِّكرَ يَجْمَعُ المُتَفرِّقَ، ويُفَرِّقُ المُجْتَمِعَ، ويُقرِّبُ البعيدَ، ويبَعِّدُ القَريبَ، فيَجْمَعُ ما تفرَّقَ على العبدِ مِن قلبِه وإرادتِه وهُمومِه وعُزومِه، والعَذابُ كلُّ العذابِ في تَفْرِقتِها، وتَشتُّتِها عليه، وانفِراطِها له، والحياةُ كلُّ الحياة والنَّعيمُ في اجتماعِ قَلبِه وهَمِّه وعَزمِه وإرادتِه، ويُفرِّقُ ما اجْتمعَ عَليه مِن الهُمومِ والغُمومِ، والأحزانِ والحسراتِ على فَوْتِ حُظُوظِه ومَطالِبِه، ويُفَرِّقُ أيضًا ما اجْتمعَ عليه مِن ذُنوبِه وخَطاياه وأوْزارِه، حتى تَتَساقطَ عنه وتَتَلاشَى وتَضْمَحِلَّ، ويُفرِّقُ أيضًا ما اجْتمعَ على حَربِه مِن جندِ الشَّيطانِ، فإنَّ إبليسَ لا يزالُ يَبْعَثُ له سَريَّةً بعد سريَّةٍ، وكلَّما كان أقْوى طلبًا لله ﷻ وأَشدَّ تَعلقًا به وإرادةً له كانت السَّريَّة أكثَفُ وأكثرُ وأعظمُ شَوْكةً، بحَسبِ ما عند العبدِ من مَوادِّ الخَيرِ والإرادةِ، ولا سَبيلَ إلى تفريقِ هذا الجَمعِ إلا بِدوامِ الذِّكرِ.

وأما تَقريبُه البَعيدَ فإنَّه يُقرِّبُ إليه الآخرةَ التي يُبَعِّدُها مِنه الشَّيطانُ والأمَلُ، فلا يزالُ يلهَجُ بالذِّكرِ حتى كأنه قد دخلَها وحضرَها، فحِينَئذٍ تَصْغرُ في عينِهِ الدنيا، وتَعظُمُ في قلبِه الآخرةَ.

ويُبعِّدُ القريبَ إليه، وهِيَ الدُّنيا التي هيَ أدْنى إليه مِن الآخِرةِ، فإنَّ الآخرةَ مَتَى قَرُبَت مِن قلبِه، بَعُدَت عنه الدُّنيا، كلَّما قَرُبَ مِن هذه مَرحلةً بَعُدَ مِن هذه مَرحلةً، ولا سَبيلَ إلى هذا إلا بدوامِ الذِّكرِ، والله المستعان.

الأربعون: أنَّ الذكرَ يُنبِّهُ القلبَ مِن نَومِه، ويُوقِظُه من سِنَتِه، والقلبُ إذا كان نائمًا فاتَتْه الأرباحُ والمَتاجِرُ، وكان الغالِبُ عليه الخُسْرانُ، فإذا استيقَظَ وعَلِمَ ما فاتُه في نَومتِه، شَدَّ المِئْزَرَ، وأَحْيا بَقِيَّة عُمُرِه، واسْتَدرَكَ ما فاتَه، ولا تَحصُلُ يَقظَتُه إلا بالذِّكر، فإنَّ الغفْلةَ نَومٌ ثقِيلٌ.

الحادية والأربعون: أن الذكرَ شَجرةٌ تُثمِرُ المَعارفَ والأحوالَ التي شمَّر إليها السَّالِكون، فلا سبيلَ إلى نَيلِ ثِمارِها إلا مِن شجرةِ الذِّكرِ، وكُلَّما عَظُمت تِلك الشَّجرةِ، ورسخَ أصلُها، كان أعظمَ لثمرتِها، فالذِّكرُ يُثمِرُ المَقاماتِ كلَّها من اليَقظةِ إلى التَّوحيدِ، وهو أصلُ كلِّ مَقامٍ وقاعِدتُه التي يَنْبني ذلك المَقامُ عليها، كما يُبنَى الحائطُ على أُسِّه، وكما يقومُ السَّقفُ على حائطِه، وذلك أن العبدَ إن لم يستيقِظْ لم يُمْكِنْه قطعَ منازل السَّيرِ، ولا يستيقظ إلا بالذِّكرِ كما تقدَّمَ، فالغفلةُ نومُ القلبِ أو موتُهُ.

الثانية والأربعون: أنَّ الذَّاكِرَ قريبٌ من مَذكُورِهِ، ومَذْكُورُهُ مَعَهُ، وهذه المَعِيَّة مَعِيَّةٌ خاصَّةٌ غَير مَعِيَّةِ العِلمِ والإحاطَةِ العامة، فهي مَعِيَّةٌ بالقُرْبِ والوِلايةِ والمَحَبَّةِ والنُّصْرَةِ والتَّوفِيقِ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، وللذَّاكِرِ من هذه المَعِيَّةِ نَصِيبٌ وافِرٌ، كما في الحديث الإلهيِّ: «**أنا مَعَ عبدي ما ذَكَرني وتَحَرَّكَتْ بي شَفَتاه**»، وفي أثرٍ آخر: «**وأَهلُ ذِكري أَهلُ مُجالَسَتِي، وأَهْلُ شُكري أَهلُ زِيادتي، وأَهْلُ طاعَتِي أَهلُ كَرَامَتِي، وأَهلُ مَعصِيتي لا أُقَنِّطُهُم من رَحْمَتي؛ إن تابوا فَأنا حَبِيبُهم، فإنِّي**

أُحِبُّ التوَّابين، وأُحِبُّ المُتطهِّرين، وإن لم يَتُوبُوا فأَنا طَبِيبُهم؛ أَبتَليهم بالمَصائِب لأُطَهِّرهم من المَعايب»[1].

والمَعِيَّةُ الحاصِلَةُ للذَّاكرِ مَعِيَّةٌ لا يُشْبِهُهَا شيءٌ، وَهِي أَخَصُّ من المَعِيَّةِ الحاصِلَةِ للمُحْسِن والمُتَّقِي، وهِيَ مَعِيَّةٌ لا تُدرِكُها العِبارَة، ولا تَنالُها الصِّفَةُ، وإِنَّما تُعْلَمُ بالذَّوقِ، وهي مَزِلَّةُ أَقْدامٍ إِنْ لم يَصِحَبِ العَبْدَ فيها تَمييزٌ بَينَ القَدِيمِ والمُحْدَث، وبين الرَّبِّ والعَبد، وبين الخَالِقِ والمَخلوق، والعابِدِ والمَعبود، وإِلا وَقَعَ في حُلُولٍ يُضَاهي به النَّصارى، أو اتِّحادٍ يُضَاهي به القائِلينَ بوحْدَةِ الوُجُود، وأَنَّ وُجُودَ الرَّبِّ عَيْنُ وُجُودِ هذه المَوجُودات، بل ليسَ عِندَهُم رَبٌّ وعَبْدٌ، ولا خَلْقٌ وحَقٌّ، بل الرَّبُّ هو العَبدُ، والعَبدُ هو الربُّ، والخَلقُ المُشَبَّهُ هو الحَقُّ المُنَزَّه - تعالى اللهُ عمَّا يَقولُ الظَّالمون والجَاحِدون عُلُوًّا كَبيرًا-.

والمقصود: أنه إِنْ لم يَكُن مَعَ العَبْدِ عَقيدَةٌ صَحِيحةٌ وإلا فإذا اسْتَولَى عليه سُلْطَانُ الذِّكرِ، وغابَ بمَذْكُوره عن ذِكْرِه وعَن نَفْسِهِ وَلَجَ بابَ الحُلُولِ والاتِّحادِ ولابُدَّ.

الثالثة والأربعون: أنَّ الذِّكرَ يَعدِلُ عِتقَ الرِّقَاب، ونَفَقَةَ الأَموال، والحَمْلَ على الخَيلِ في سَبيل الله ﷻ، ويَعدِلُ الضَّربَ بالسَّيفِ في سبيل الله ﷻ، وقد تَقَدَّم أنَّ مَن قال في يوم مائة مَرَّةٍ: «**لا إله إلا الله، وحدَهُ لا شريك له، لَه المُلك وله الحَمدُ، وهو على كُلِّ شيءٍ قَدير، كانت له عَدلَ عَشرِ رِقَاب، وكُتِبَت له مِائةُ حَسَنةٍ، ومُحِيَت عنه مِائةُ سَيِّئَةٍ، وكانت له حِرزًا من الشيطان يومَهُ حتى يُمسِي**» الحديث.

وذكر ابنُ أبي الدُّنيا عن الأَعمشِ، عن سالمِ بن أبي الجَعْدِ قال: قيل لأبي الدرداء ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا أعتَق مائةَ نَسَمةٍ قال: إِنَّ مائةَ نَسَمَةٍ من مَال رَجُلٍ كثيرٌ، وأُفضلُ من ذلك إِيمانٌ مَلْزُومٌ بالليل والنهار، وأَنْ لا يَزال لسانُ أَحَدِكم رَطْبًا مِن ذِكرِ الله ﷻ».

---

(١) لم أقف عليه في كتب الحديث المسندة، وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول الله تعالى في بعضِ الكتب:...» فذَكَرَه، فالغالبُ أن يكون الأثرُ ممَّا أُخِذَ من كُتُبِ أهل الكتاب. انظر: «العقود الدُّرِيَّة» (ص٣٤٣).

وقال ابنُ مَسعود: «لَإِن أُسَبِّحُ اللهَ تعالى تَسْبيحات أَحَبُّ إليَّ من أَن أُنفِقَ عَدَدَهُنَّ دَنانير في سبيل الله ﷻ».

وجلسَ عبدُ الله بن عمرو وعبدُ الله بن مَسْعود، فقال عبدُ الله بن مسعود: لإِن آخُذَ في طريقٍ فأقولَ فيه: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أَحَبُّ إِليَّ مِن أنْ أُنفِقَ عَدَدَهُن دَنانِير في سبيل الله ﷻ، فقال عبد الله بن عمرو: لَإِن آخذُ في طريقٍ فأَقولُهُن أَحَبُّ إليَّ مِن أن أَحمِلَ عَدَدَهُنَّ على الخَيلِ في سبيل الله ﷻ».

وقد تقدم حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أُنبِّئُكم بخيرِ أَعمالِكم، وأَزكاها عِندَ مَليكِكُم، وأَرفَعِها في دَرَجاتِكُم، وخيرٍ لكم مِن إنفاقِ الوَرِقِ والذَّهَب، وخيرٍ لكم من أَن تَلقَوا عَدُوَّكم فتَضْرِبوا أَعنَاقَهم ويَضرِبوا أَعناقَكُم؟** قالوا: بلى يا رسول الله، **قال: ذكر الله**»، رواه ابنُ ماجه، والترمذيُّ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

الرابعة والأربعون: أن الذكرَ رأسُ الشُّكرِ، فما شَكَرَ اللهَ تعالى مَنْ لم يَذْكُرْه، وذَكَرَ البيهقيُّ عن زِيدِ بن أَسْلَم أن موسى عليه السلام قال: «يا رَبِّ قد أَنعَمْتَ عليَّ كثيرًا فدُلَّني على أن أَشْكرَك كثيرًا قال: «**اذكُرني كثيرًا، فإذا ذَكَرتَني كثيرًا فقد شَكَرتني كثيرًا، وإذا نَسِيتَني فقد كَفَرتَني**»، وقد ذكر البيهقيُّ أيضًا في كتاب «شُعَب الإيمان» عن عبد الله بن سَلام، قال: قال موسى عليه السلام: «**يا رَبِّ ما الشُّكر الذي يَنبغي لك؟ فأوحى الله تعالى إليه أن: لا يَزالُ لسانُكَ رَطبًا من ذِكري، قال: يا رَبِّ إِني أكونُ على حالٍ أُجِلُّكَ أن أَذْكُرَكَ فيها، قال: وما هي؟ قال: أكونُ جُنبًا أو على الغائِط أو إذا بُلت، فقال: وإِن كان، قال: يا ربِّ فما أقول؟ قال: تقول: سُبحانك وبِحمدك، وجَنِّبني الأذى، وسُبْحانك وبِحمدِك فَقِني الأذى**».

قلتُ: قالت عائشةُ: «كان رسول الله ﷺ يذكرُ اللهَ تعالى على كُلِّ أَحيانِهِ»، ولم تَسْتَثنِ حالةً من حالةٍ، وهذا يدلُّ على أنه كان يَذكُرُ ربَّهُ تعالى في حَالِ طَهارَتِهِ وجَنابَتِهِ، وأمَّا في حَال التَّخَلي فلَم يَكُن يُشاهِدُهُ أَحَدٌ يَحكي عنهُ، ولكنْ شَرَعَ لأُمَّتِهِ من الأَذكارِ قبلَ التَّخَلي وبَعدَهُ ما يَدُلُّ على مَزيدِ الاعْتِناءِ بالذِّكرِ، وأنه لا يُخِل به عِندَ

قضاءِ الحَاجَة وبعدها، وكذلك شَرَعَ لأُمتِهِ مِنَ الذِّكرِ عندَ الجِمَاع أن يقولَ أحدُهُم: «بِسْم الله، اللهم جَنِّبنا الشيطانَ وجنِّب الشيطانَ ما رَزَقتَنا».

وأمَّا الذِّكر على نَفْسِ قَضاءِ الحَاجةِ وجِمَاعِ الأَهل فلا رَيبَ أنه لا يُكرَهُ بالقَلْبِ؛ لأنه لابُدَّ لقلْبِه من ذِكْرٍ، ولا يُمكِنُهُ صَرفُ قلبِهِ عن ذِكْرِ مَن هو أَحَبُّ شيءٍ إليه، فلو كُلِّفَ القلبُ نِسيانَهُ لكانَ تَكْلِيفًا بالمُحال، كما قال القائل:

يُرادُ مِنَ القَلبِ نِسْيانُكُم وتَأبى الطِّباعُ على النَّاقِلِ

فأمَّا الذِّكرُ باللِّسانِ على هذه الحالَةِ فليسَ ممَّا شرعَ لنا ولا نَدَبنا إليه رسولُ الله ﷺ، ولا نُقِل عن أحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم، وقال عبد الله بن أبي الهُذَيل: «إنَّ الله تعالى لَيُحِبُّ أَن يُذْكَرَ في السُّوق، ويُحِبُّ أن يُذكَرَ على كُلِّ حالٍ، إلا على الخلاء».

ويَكفي في هذه الحَال استِشْعَارُ الحَياءِ، والمُرَاقَبَةِ، والنِّعْمَةِ عليه في هذه الحالة، وَهي مِن أَجَلِّ الذِّكرِ، فذِكْرُ كُلِّ حالٍ بِحَسَبِ ما يَليقُ بها، واللائِقُ بهذه الحال التَّقَنُّعُ بثَوبِ الحَيَاءِ من الله تعالى، وإجلالُهُ، وذِكرُ نِعمَتِهِ عليه وإحسانِهِ إليه في إِخْراجِ هذا العَدُوِّ المُؤْذِي له، الذي لو بَقِيَ فيه لقَتَلَهُ، فالنِّعمَةُ في تَيسِيرِ خُروجِهِ كالنِّعمةِ في التغذي به.

وكان عليُّ بنُ أبي طالب إذا خَرَجَ من الخَلاءِ مَسَحَ بطنَهُ وقال: «يا لها نِعمَة لو يَعلمُ الناسُ قَدرَها»، وكان بعض السلف يقول: «الحمدُ لله الذي أَذَاقَني لَذَّتَهُ، وأَبقَى فِيَّ مَنفَعَتَهُ، وأَذهَبَ عَنِّي مَضَرَّته».

وكذلك ذِكرُهُ حالَ الجِماعِ، ذَكَرَ هذه النِّعمةِ التي مَنَّ بها عليه، وهي مِن أَجَلِّ نِعَم الدنيا، فإذا ذَكَرَ نعمةَ الله تعالى عليه بها هاجَ مِن قَلبِهِ هائِجُ الشُّكرِ.

فالذِّكرُ رأسُ الشُّكرِ، وقال النبي ﷺ لمعاذ: «**واللهِ يا مُعاذ إني لأُحِبُّك، فلا تَنسَ أن تقولَ دُبُرَ كلِّ صلاة: اللهمَّ أَعِنِّي على ذِكرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتك**»، فجَمَع

بين الذِّكر والشُّكر كما جمع ﷺ بينهما في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾، فالذِّكرُ والشُّكرُ جِماعُ السَّعادةِ والفَلاح.

الخامسة والأربعون: أنَّ أكرمَ الخلق على الله تعالى من المُتَّقين مَن لا يَزالُ لِسانُهُ رَطبًا بذكره، فإنه اتَّقاهُ في أَمره ونَهيِهِ، وجَعَلَ ذكرَهُ شِعارَهُ، فالتَّقوى أَوجَبَتْ له دُخولَ الجنة، والنَّجاةَ من النار، وهذا هو الثوابُ والأَجرُ، والذِّكرُ يُوجِبُ له القُربَ من الله عَزَّوَجَلَّ، والزُّلفَى لَديه، وهذه هي المنزلة.

وعُمَّالُ الآخرة على قِسمين: مِنهم مَن يَعملُ على الأَجرِ والثَّواب، ومِنهم مَن يَعملُ على المَنزِلَةِ والدَّرجَة، فهو يُنافِسُ غيرَه الوَسِيلَةَ والمَنزِلَةَ عند الله تعالى، ويُسابِق إلى القُربِ منه، وقد ذكر الله تعالى النَّوعين في سُورة الحَديد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾، فهؤلاء أصحابُ الأُجُورِ والثَّوابِ، ثمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾، فهؤلاء أصحابُ المَنزلةِ والقُرب، ثم قال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ﴾، فقيل: هذا عَطفٌ على الخَبر عن: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾؛ أخْبَرَ عنهم بأنهم همُ الصدِّيقون، وأنهم الشُّهداءُ الذين يشهدون على الأمم، ثم أَخْبَرَ عنهم بخبرٍ آخر وهو قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ﴾، فيكونُ قد أخبرَ عنهم بأربعةِ أمورٍ: أنهم صدِّيقون وشُهداء، فهذه هي المَرتبةُ والمنزِلةُ، ثمَّ أخبر عنهم بأنَّ لهم أجرهم ونورهم، فهذا هو الثوابُ والجزاءُ.

وقيل: بل تمَّ الكلامُ عند قوله تعالى: ﴿الصدِّيقون﴾، ثم ابتدأَ ذِكرَ حال الشهداءِ، فقالَ: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ﴾ فيكونُ قد ذكرَ المُتصدِّقين أهلَ البرِّ والإحسانِ، ثم المؤمنين الذين قد رَسَخَ الإيمانُ في قلوبهم، وامتلؤوا منه، فهُم الصِّدِّيقون، وهم أهلُ العِلمِ والعمل، والأوَّلون أهلُ البرِّ والإحسانِ، ولكِنَّ هؤلاء أكملُ صدِّيقيةً مِنهم، ثمَّ ذكرَ سبحانه الشُّهداءَ، وأنه تعالى يُجرِي عليهم رِزقَهم ونورَهم؛ لأنهم لمَّا بذلوا أنفسَهم لله تعالى أعاضَهُم عليها أن جَعَلَهم أحياءً عندَه

يُرزقون، فيَجري عليهم رِزقُهم ونورُهم، فهؤلاء السُّعَداء، ثم ذكرَ الأشقياءَ فقالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

والمقصود: أنه ﷺ ذكرَ أصحابَ الأجورِ والمَراتبِ، وهذانِ الأمْرانِ هُما اللذان وعَدَ بهما فرعونُ السَّحرةَ إن غَلبوا مُوسى عليه الصلاة والسلام فقالوا: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾، أي: (أجْمعُ لكم بينَ الأجرِ والمَنزلةِ عِندي والقُرْبِ مِنِّي)، فالعُمَّالُ عَملُوا على الأُجُور، والعارِفُونَ عَملُوا على المَراتِبِ والمَنزلةِ والزُّلفَى عِندَ الله، وأعمالُ هؤلاءِ القَلبيَّةِ أكثرُ مِن أعمالِ أولئك، وأعمالُ أولئكَ البَدنيَّةِ قد تكونُ أكثرَ من أعمالِ هؤلاءِ.

وذَكرَ البَيهقيُّ عن محمدِ بن كَعبٍ القُرظِي رحمه الله قال: (**قال مُوسى عليه السلام: يا ربِّ، أيُّ خَلقِك أكْرَمُ عَليْك؟ قال: الذي لا يَزالُ لِسانُه رطبًا بذِكري، قالَ: يا ربِّ، أيُّ خلقِك أعلمُ؟، قال: الذي يَلتمِسُ إلى عَلمِه عِلمَ غيره، قال: يا ربِّ، أيُّ خَلقِك أعدلُ؟ قال: الذي يَقضِي على نَفسِهِ مثل ما يَقضي على الناس، قال: يا رَبِّ أيُّ خَلقِك أَعظمُ ذَنبًا؟ قال: الذي يَتَّهِمُني، قال: يا ربِّ وهل يتَّهمكَ أحدٌ؟ قال: الذي يَسْتَخيرُني ولا يَرضَى بقضائي**».

وذَكَر أيضًا عن ابن عباس قال: لما وَفَدَ موسى عليه السلام إلى طُور سِيناء قال: «**يا رَبِّ أيُّ عِبادِك أَحَبُّ إليك؟ قال: الذي يَذكُرُني ولا يَنْساني**».

وقال كَعبٌ: «**قال موسى عليه السلام: يا ربِّ أَقريبٌ أنتَ فأُناجِيك، أَم بَعيدٌ فأُنادِيك؟ فقال تعالى: يا موسى أنا جَليسُ مَن ذَكَرني، قال: إني أَكونُ على حالٍ أُجِلُّكَ عنها، قال: ما هي يا موسى؟ قال: عِندَ الغائِطِ والجَنابَةِ، قال: اذكُرْني على كُلِّ حال**».

وقال عُبيدُ بن عُمَير: «تَسبيحَةٌ بحمدِ الله في صَحِيفةِ مؤمِنٍ خيرٌ له من جِبال الدُّنيا تَجري معَهُ ذَهَبًا».

وقال الحسن: «إذا كان يومُ القِيامة نادى مُنادٍ: سيَعْلمُ أهلُ الجَمعِ مَن أَوْلَى بالكَرَم، أَينَ الذين كانت: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾، قال: فيقومُون فيَتَخَطَّونَ رِقابَ الناس، قال: ثمَّ يُنادِي مُنادٍ: سيَعْلمُ أهلُ

الجَمعِ مَن أَوْلَى بالكَرَمِ، أَينَ الذي كانت: ﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾، قال: فيقُومُون فيَتَخَطَّونَ مِن رِقابِ الناس، قال: ثم يُنادِي مُنادٍ: سَيَعْلَمُ أهلُ الجَمعِ مَن أَوْلَى بالكرم، أَينَ الحَمَّادون لله على كُلِّ حال؟ قال: فيقُومُون وَهُم كثيرٌ، ثمَّ تكونُ التَّبِعةُ والحِسابُ فيمَن بَقِيَ».

وأتى رَجُلٌ أبا مُسْلم الخَولانيَّ فقال له: «أَوصِني يا أبا مسلم، قال: اذكر اللهَ تعالى تَحتَ كُلِّ شَجَرةٍ ومَدَرَةٍ[1]، فقال له: زِدْني، فقال: اذْكُر اللهَ حتى يَحْسبَكَ الناسُ مِن ذِكرِ الله تعالى مَجنونًا، قال: وكان أبو مُسْلمٍ يُكثِرُ ذكرَ الله تعالى، فرآهُ رَجُلٌ وهو يَذكُرُ اللهَ تعالى فقال: أَمجنُونٌ صاحِبُكم هذا؟ فسَمِعَهُ أبو مُسْلم فقال: ليس هذا بالجُنُون يا ابن أخي، ولكن هذا دواءُ الجُنون».

السادسة والأربعون: أنَّ في القَلبِ قَسوةً لا يُذِيبُها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعَبدِ أن يُداوي قَسوةَ قلبِهِ بذِكر الله تعالى، وذَكَرَ حَمَّادُ بن زيد، عن المُعَلَّى بن زِياد: أنَّ رَجُلًا قال للحَسَن: «يا أبا سعيد! أشكو إليكَ قَسْوَةَ قلبي، قال: أَذِبْهُ بالذِّكرِ»، وهذا لأَنَّ القلبَ كُلَّمَا اشتدَّتْ به الغفلةُ اشتدَّتْ به القَسوةُ، فإذا ذكرَ اللهَ تعالى ذابت تِلكَ القَسوةُ كما يَذوبُ الرَّصاصُ في النار، فما أُذِيبتْ قَسوةُ القُلوبِ بمِثل ذِكر الله ﷻ.

السابعة والأربعون: أنَّ الذِّكرَ شِفاءُ القَلبِ ودَواؤُهُ، والغَفْلةُ مَرضُهُ، فالقُلوبُ مَريضَةٌ، وشِفاؤُها ودَواؤُها في ذِكرِ الله تعالى.

قال مَكحول: «**ذِكرُ الله تعالى شِفاءٌ، وذِكرُ الناسِ داءٌ**»، وذكرَه البيهقيُّ عن مَكحول مرفوعًا ومُرسلًا[2].

فإذا ذَكَرَتْهُ شَفاهَا وعافاها، فإذا غَفَلتْ عنه انتَكَسَتْ، كما قيل:

إذا مَرِضْنا تَداوَيْنا بِذِكْرِكُم ... فنَترُكُ الذِّكرَ أَحيانًا فنَنتَكِسُ

---

(١) **المَدَرُ**: هو الطِّينُ اليابِسُ، والعربُ تُطلِق على كُل ما بُنِيَ بالطِّين واللَّبِن (مَدَرة).

(٢) والحديثُ مع إرساله في إسناده عبد الله بن يزيد الدِّمشقيُّ، وهو ضعيفٌ، وإنما ثبتَ هذا القولُ عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطَّاب ﷺ. انظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» للألباني (٩/ ٣٨٨).

الثامنة والأربعون: أنَّ الذِّكرَ أصلُ مُوالاة الله ﷻ ورَأْسُها، والغَفلَةُ أصلُ مُعادَاتِهِ وأُسُّهَا، فإنَّ العبدَ لا يَزالُ يَذكرُ ربَّه ﷻ حتى يُحِبَّهُ فيُوَاليهِ، ولا يَزالُ يَغفلُ عنه حتى يُبغِضَهُ ويُعادِيَه.

قال الأوزاعيُّ: قال حَسَّانُ بنُ عَطِيَّة: «ما عادَى عبدٌ ربَّهُ بِشيءٍ أَشَدَّ عليه مِن أَن يَكرَهَ ذِكرَهُ -أو: مَن يذكره-»، فهذه المُعاداةُ سَبَبُها الغفلةُ، ولا تَزَال بالعَبدِ حتى يَكرَهَ ذِكرَ الله، ويَكرَهُ مَن يذكره؛ فحينَئِذٍ يتَّخِذُه عدوًّا كما اتَّخَذَ الذَّاكرَ وَلِيًّا.

التاسعة والأربعون: أنه ما استُجْلِبَت نِعَمُ الله ﷻ واسْتُدْفِعَت نِقَمُهُ بمِثل ذكر الله تعالى، فالذِّكرُ جَلَّابٌ للنِّعم، دفَّاعٌ للنِّقَم، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، وفي القراءة الأخرى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَدۡفَعُ﴾، فدَفْعُهُ ودِفاعُهُ عنهم بحَسَبِ قُوَّة إيمانهم وكَمالِه، ومادَّةُ الإيمان وقُوَّتُهُ بذكرِ الله تعالى، فمَن كان أَكملَ إيمانًا وأكثرَ ذِكْرًا كان دَفْعُ الله تعالى عنه ودِفاعُهُ أعظمَ، ومَن نَقصَ نَقصَ، ذِكرًا بذِكرٍ، ونِسيانًا بنسيان، وقال ﷻ: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾، والذِّكرُ رأسُ الشُّكر -كما تقدم-، والشكرُ جَلَّابُ النِّعم، ومُوجِبٌ للمَزيد، قال بعض السلف ﷺ: «ما أَقبحَ الغَفلة عن ذِكر مَن لا يَغفُلُ عن بِرِّكَ!».

الخمسون: أن الذِّكرَ يُوجِبُ صلاةَ الله ﷻ وملائِكَتِهِ على الذَّاكِر، ومَن صَلَّى اللهُ تعالى عليه وملائِكَتُهُ فقد أَفلحَ كُلَّ الفَلاح، وفازَ كُلَّ الفَوز، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾، فهذه الصَّلاةُ منه تَبارَكَ وتَعالَى ومِن مَلائِكتِهِ إنَّما هي على الذاكرين له كثيرًا، وهذه الصلاةُ منه ومن ملائكتِه هي سببُ الإخْراجِ لهم مِنَ الظُّلُمات إلى النُّور، وإذا حَصلَت لهم الصلاةُ من الله تَبارَكَ وتَعالَى وملائكتُهُ، وأُخرجوا من الظلمات إلى النور فأَيُّ خيرٍ لم يَحْصُل لَهم بذلك؟ وأَيُّ شَرٍّ لم يَندَفِع عنهم؟ فيا حَسْرةَ الغافِلين عن رَبِّهم ماذا حُرِموا من خَيرِهِ وفَضْلِهِ، وبالله التوفيق.

الحادية والخمسون: أنَّ من شاءَ أنْ يَسكُنَ رِياضَ الجَنَّةِ في الدنيا فليَسْتَوطِن مَجالسَ الذِّكر فإنها رِياضُ الجنَّة، وقد ذَكَرَ ابنُ أبي الدنيا وغيرُه من حديثِ جابر بن عبد الله قال:

«خَرَجَ علينا رسولُ الله ﷺ فقال: **يا أيها الناس ارْتَعوا في رِياضِ الجَنَّة، قُلنا**: يا رَسولَ الله وما رياضُ الجنة؟ قال: **مَجالسُ الذِّكر**، ثم قال: **اغْدُوا ورُوحُوا واذْكُروا، فَمَن كان يُحِبُّ أن يَعلمَ مَنْزِلَتَهُ عندَ الله تعالى فَليَنْظُر كيفَ مَنزِلَةُ الله تعالى عِندَه، فإنَّ الله تعالى يُنْزِلُ العبدَ منه حيثُ أَنزَلَهُ من نَفْسِهِ**»[1].

الثانية والخمسون: إنَّ مَجالِسَ الذِّكرِ مجالسُ الملائكةِ، فليسَ من مَجالِسِ الدنيا لهم مَجلِس إلا مَجلِسٌ يُذكرُ اللهُ تعالى فيه، كما أَخرجا في «الصَّحيحين» مِن حَديثِ الأعمشِ، عَن أبي صالحٍ، عَن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ لله مَلائكةً فُضُلًا عن كُتَّابِ الناس**[2]**؛ يَطُوفُون في الطُّرق، يَلتَمِسون أهلَ الذِّكرِ، فإذا وَجدوا قَومًا يَذكرون اللهَ تعالى تنادوا: (هَلُمُّوا إلى حاجَتِكم) قال: فيَحُفُّونَهم بأَجنِحَتهم إلى السَّماءِ الدنيا: فيَسأَلُهم ربُّهم تعالى -وهو أعلم بهم-: (ما يقولُ عِبادي؟) قال: يقولون: (يُسَبِّحُونك ويُكَبِّرونك، ويَحْمَدُونك، ويُمَجِّدونك)، قال: فيقول: (هل رَأَوني؟)، قال: فيقولون: (لا والله ما رَأَوكَ)، قال: فيقول: (وكيفَ لو رَأَوني؟)، قال: فيقولون: (لو رَأَوكَ كانوا أَشدَّ لك عِبادَةً، وأَشدَّ لك تَحميدًا وتَمجِيدًا، وأَكثرَ لك تَسبِيحًا) قال: فيقولُ: (ما يَسْأَلوني؟) قال: (يَسأَلونَك الجنَّةَ) قال: فيقول: (وهَلْ رأَوها؟) قال: يقولون: (لا والله يا ربِّ ما رَأَوها)، قال: فيقول: (فكيفَ لو أَنَّهم رَأَوها؟) قال: يقولون: (لو أَنَّهم رَأَوها كانوا أَشدَّ عليها حِرصًا، وأَشدَّ لها طَلَبًا، وأَعظمَ فيها رَغْبةً)، قال: فيقول: (فَمِمَّ يَتَعوَّذون؟)، قال: يقولون: (مِنَ النار)، قال: يقول: (وهل رَأَوها؟)، قال: يقولون: (لا والله يا ربِّ ما رَأَوها)، قال: يقول: (فكيفَ لو رَأَوها؟)، قال: يقولون: (لو رَأَوها كانوا أَشدَّ منها فِرارًا، وأَشدَّ لها مَخافَةً)، قال: يقولُ: (فَأُشْهِدُكُم أَني قَد غَفَرتُ لهم)، فيقولُ مَلَكٌ من الملائكة: (فيهم فلانٌ ليسَ منهم، وإِنَّما جاءَ لِحاجة)، قال: (هُمُ الجُلسَاءُ لا يَشْقَى بهم جليسُهُم)».

---

(١) في إسنادِه عمرُ مولى غَفرة، قال فيه الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٤٩٣٤): «**ضعيفٌ، وكان كثيرَ الإرسال**».

(٢) أي: أَنَّهم زائدون على الحفظة الذين يكتبون أعمال الناس، فهؤلاء الملائكة لا وظيفةَ لهم إلا حِلَقُ الذكر.

فهذا مِن بَرَكَتِهم على نفوسِهم وعلى جليسِهم فَلهم نَصيبٌ مِن قولِه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ فهكذا المُؤمِنُ مُبارَكٌ أينَ حَلَّ، والفاجِرُ مَشؤُومٌ أينَ حَلَّ، فمَجالسُ الذِّكرِ مَجالِسُ الملائكةِ، ومَجالسُ الغَفلةِ مَجالسُ الشياطينَ، وكلٌّ مُضافٌ إلى شَكلِه وأَشباهِهِ، وكُلُّ امْرِئٍ يَصْبو إلى ما يُناسِبُه.

الثالثة والخمسون: أَن اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُباهِي بالذَّاكِرينَ ملائكتَه، كما رَوى مُسلمٌ في «صحيحه» عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِي قالَ: «خَرجَ مُعاويةُ على حَلْقةٍ في المَسجدِ، فقالَ: «ما أَجْلسَكُم؟، قالوا: جَلسنا نَذْكرُ الله تعالى، قال: آللهِ ما أَجْلسَكُم إلا ذاكَ؟، قالوا: والله ما أَجْلسَنا إلا ذاك، قالَ: أما إنِّي لَم أَستحلِفْكُم تُهمَةً لكُم، وما كانَ أَحَدٌ بمِنزلَتي مِن رَسول الله ﷺ أقلَّ عنه حديثًا مِنِّي، وإنَّ رَسولَ الله ﷺ خَرجَ على حَلْقَةٍ مِن أصحابِه فقالَ: (**ما أجلسَكم؟**)، قالوا: جَلَسْنا نذكرُ الله تعالى، ونَحْمَدُه على ما هدانا للإِسْلام ومَنَّ به علينا، قال: (**آلله ما أَجْلَسَكم إلا ذاك؟**)، قالوا: والله ما أَجْلَسَنا إلا ذاكَ، قال: (**أَما إني لَم أَستَحلِفْكُم تُهمَةً لكُم، ولكنَّه أتاني جِبريلُ فأخبرَني أنَّ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى يُباهِي بِكُم المَلائكةَ**)»، فهذه المُباهاةُ مِن الربِّ تَبَارَكَ وتَعَالَى دليلٌ على شَرَفِ الذِّكر عندَه ومَحبَّتِه له، وأنَّ له مَزِيَّةً على غيرِه مِن الأعمالِ.

الرابعة والخمسون: أنَّ مُدمِنَ الذِّكرِ يَدخُلُ الجنةَ وهو يَضحكُ، لِمَا ذكرَ ابنُ أبي الدنيا عن عبدِالرَّحمن بنِ مَهدِي، عن مُعاويةَ بنِ صالحٍ، عن عبدالرحمنِ بنِ جُبير بن نفيرِ الحَضرمِي، عن أبيه، عن أبي الدَّرْداء قال: «الذين لا تَزالُ ألْسِنتُهم رَطبةً مِن ذِكرِ عَزَّوَجَلَّ يَدخُلُ أحدُهم الجنةَ وهو يَضْحكُ».

الخامسة والخمسون: أن جَميعَ الأعمالِ إنَّما شُرِعَتْ إقامةً لذكرِ الله تعالى، والمقصود بها: تَحصِيلُ ذكرِ الله تعالى، قال ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ قيل: المَصْدَرُ مُضافٌ إلى الفاعِلِ؛ أي: لأَذْكُرَك بها، وقيل: مُضافٌ إلى المَذكورِ، أي: لتَذْكُرني بها، واللامُ على هذا لامُ التَّعليلِ، وقيلَ: هي اللامُ الوَقتِيَّةُ؛ أي أقِم الصلاةَ عِندَ ذِكرِي، كقَولِه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾، وقولِه: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، وهذا المَعنى حقٌّ يُرادُ بالآيةِ، لكِنَّ تَفسيرَها به وأنه هو مَعناها فيه نظرٌ، لأنَّ هذه اللامَ الوَقتيَّة يَليها أسماءُ

الزِّمانِ والظُّروفِ، والذِّكرُ مَصدرٌ إلا أن يُقدَّرَ بزمان مَحْذوف؛ أي عِندَ وَقتِ ذكري، وهذا مُحْتَملٌ، **والأظهَرُ**: أنها لامُ التَّعليل؛ أي أقِم الصلاةَ لأجْلِ ذِكري، ويَلزمُ مِن هذا أن تكونَ إقامتُها عِندَ ذِكره، وإذا ذَكرَ العبدُ ربَّه فذِكرُ الله تعالى سابق على ذِكْرِه، فإنَّه لما ذكرَه ألهَمَهُ ذِكرَه، فالمَعاني الثلاثةُ حقٌّ.

وقال ﷺ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فقيل: المَعْنى: (إنَّكُم في الصَّلاةِ تذكرونَ الله، وهو ذاكِرٌ مَن ذكرَه، ولذِكْرُ الله تعالى إيَّاكم أكبرُ من ذِكركِم إيَّاه)، وهذا يُروَى عَن ابنِ عباسٍ، وسَلمانَ، وأبي الدَّرداءِ، وابنِ مَسعودٍ ﷺ.

وذَكرَ ابنَ أبي الدُّنيا عَن فُضيْل بن مرزوقٍ، عَن عطيَّةَ ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قالَ: (هوَ قولُه تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ فذكرُ الله تعالى لكُم أكبرُ مِن ذِكركِم إيَّاه).

وقال ابنُ زيدٍ وقتادةُ: (مَعناهُ: ولذِكرُ الله أكبرُ مِن كلِّ شَيء).

وقِيلَ لِسلمان: (أيُّ الأعمالِ أفضل؟ فقالَ: أما تَقرأُ القرآنَ ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾).

ويشهدُ لِهذا حديثُ أبي الدَّرْداء المُتقدِّم: «**ألا أُنَبِّئُكُم بخَيرِ أعْمالِكُم، وأزْكاها عِندَ مَلِيكِكُم، وخَيرٍ لكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والوَرِق**...» الحديث.

وكان شَيخُ الإسلامِ أبو العَبَّاسِ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يقولُ: (الصَّحيحُ أنَّ مَعنى الآيةِ أنَّ الصلاةَ فيها مَقْصودانِ عَظيمانِ، وأحدُهُما أعْظمُ مِن الآخرِ، فإنَّها تَنهى عَن الفَحْشاءِ والمُنكرِ، وهِي مُشْتملَةٌ على ذِكرِ الله تعالى، ولَمَا فيها مِن ذكرِ الله أعظمُ مِن نهيها عَن الفَحْشاءِ والمُنْكرِ).

وذَكرَ ابنُ أبي الدُّنيا عن ابنِ عباسٍ أنه سُئِل: أيُّ العَملِ أفضلُ؟ قال: (ذِكرُ الله أكبرُ).

وفي «السُّنن» عَن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ قال: «**إنما جُعِلَ الطَّوافُ بالبيتِ وبَين الصَّفا والمروةِ ورَميُ الجِمَارِ؛ لإقامةِ ذِكرِ الله تعالى**» رواه أبو داود والتِّرمذِي، وقالَ: حديثٌ حسنٌ صَحيحٌ.

السادسة والخمسون: أنَّ أفضلَ أهلِ كُلِّ عَمل أكثرُهم فيه ذِكرًا لله ﷻ، فأفضلُ الصُّوَّام أكثرُهم ذكرًا لله ﷻ في صومِهم، وأفضلُ المُتَصدِّقين أكثرُهم ذِكرًا لله ﷻ، وأفضلُ الحُجَّاجِّ أكثرُهم ذكرًا لله ﷻ، وهَكذا سائرُ الأعمال.

وقد ذكرَ ابنُ أبي الدُّنيا حديثًا **مُرسلًا** في ذلِك أنَّ النبي ﷺ سُئلَ: «أيُّ أهلِ المسجدِ خَيرٌ؟، قال: **أَكثرُهُم ذِكرًا لله** ﷻ، قِيلَ: أيُّ الجَنازةِ خيرٌ؟، قالَ: **أكثرُهم ذكرًا لله** ﷻ، قيل: فأيُّ المُجاهدِين خيرٌ؟، قال: **أكثرُهم ذكرًا لله** ﷻ، قيل: فأيُّ الحُجَّاج خيرٌ؟، قال: **أكثرُهم ذكرًا لله** ﷻ، قيل: وأيُّ العُوَّاد خيرٌ[1]؟، قال: **أكثرُهم ذكرًا لله** ﷻ» [2].

قالَ أبو بكر: (ذهبَ الذَّاكرُونَ بالخيرِ كلِّه).

وقالَ عُبيدُ بن عُميرُ: (إنْ أَعْظَمَكُم هذا الليلُ أن تُكابِدُوه وبَخِلتُم على المال أن تُنفِقُوه، وجَبُنْتُم عن العدوِّ أن تُقاتلوه؛ فأكثِروا مِن ذِكر الله ﷻ).

السابعة والخمسون: أنَّ إِدامَةَ الذِّكر تَنُوبُ عن التَّطَوُّعات وتَقُومُ مَقامَها، سواء كانت بَدَنيَّةً أو مَاليةً، أو بدنيَّةً ماليَّةً؛ كحَجِّ التطوع، وقد جاءَ ذلك صَريحًا في حديثِ أبي هُريرة: «أنَّ فُقراءَ المُهاجرين أَتوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا رسولَ الله ذَهَبَ أَهلُ الدُّثورِ بالدَّرَجات العُلى والنَّعيمِ والمُقيمِ؛ يُصَلُّون كما نُصَلِّي، ويَصُومُون كما نَصُوم، ولهم فَضْلُ أَموالِهم يَحُجُّونَ بها ويَعتَمِرون ويُجاهِدون، فقال: **أَلا أُعَلِّمُكُم شيئًا تُدْرِكون به مَن سَبَقَكُم، وتَسبِقُون به مَن بَعْدَكم، ولا أَحدَ يكونُ أفضلَ منكم إلا مَن صَنَعَ مثلَ ما صَنَعْتُم؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **تُسَبِّحونَ وتَحْمَدون وتُكَبِّرون خَلفَ كلِّ صلاة...**» الحديثَ، مُتَّفَقٌ عليه.

فجَعَلَ الذِّكرَ عِوَضًا لهم عمَّا فاتَهُم مِن الحَجِّ والعُمرَةِ والجِهادِ، وأَخبَرَ أَنهم يَسْبِقُونَهم بهذا الذِّكرِ، فلمَّا سَمِعَ أهلُ الدُّثورِ بذلك عَمِلوا به فازْدادُوا -إلى صَدَقاتهم

---

(١) **العُوَّاد**: صيغة مبالغة من العَود، ولعلَّ المراد مَن يَعودُ المرضى ويزورهم.

(٢) أشار المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ لعلَّة ضعف إسناده وهي: الإرسال، وقد رُوِيَ موصولاً من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكن في إسناده رجلٌ ضعيفٌ، وهو: زَبَّان بن فائد.

وعِبادَاتِهم بِمالِهم- التعبدَ بهذا الذِّكر، فحازوا الفَضِيلَتَين، فنافَسَهُم الفقراءُ، وأخبروا رسولَ الله ﷺ بأنهم قد شَارَكُوهم في ذلك، وانفرَدوا عنهم بِمَا لا قُدرةَ لهم عليه، فقال: «**ذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتيهِ مَن يشاءُ**».

وفي حديثِ عبدِ الله بن بُسْر قال: «جاءَ أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ الله كَثُرتْ عَلَيَّ خِلَالُ الإِسلام وشَرائِعُهُ، فأَخبرني بأَمرٍ جامِعٍ يَكفِيني؟ قال: **عَليكَ بِذكْرِ الله تعالى**، قال: ويَكفِيني يا رسول الله؟ قال: **نعم، ويَفْضُلُ عنك**»، فَدَلَّهُ الناصِحُ ﷺ على شَيءٍ يَبْعَثُهُ على شَرائِعِ الإِسلام والحِرصِ عليها، والاستِكثارِ منها، فإنه إذا اتَّخَذَ ذِكرَ اللهِ شِعارَه أَحَبَّهُ وأَحَبَّ ما يُحِبُّ، فلا شَيءَ أحبُّ إليه من التَّقربِ بشَرائِعِ الإِسلام، فَلذلك دَلَّهُ ﷺ على ما يَتَمَكَّنُ به من شَرَائع الإِسلامِ، وتَسْهُلُ به عليه، وهو ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، **يُوَضِّحُهُ**:

الثامنة والخمسون: أنَّ ذكرَ الله عَزَّوَجَلَّ مِن أَكبرِ العَونِ على طاعَتِهِ فإنه يُحَبِّبُها إلى العَبدِ، ويُسَهِّلُها عليه، ويُلَذِّذُها له، ويجعلُ قُرَّةَ عَينِهِ فيها، ونَعِيمَهُ وسُرورَهُ بها، بحيثُ لا يَجِدُ لها من الكُلْفَةِ والمَشَقَّةِ والثِّقَلِ ما يَجِدُ الغافِلُ، والتَّجرِبَةُ شاهِدةٌ بذلك، **يُوَضِّحُهُ**:

التاسعة والخمسون: أنَّ ذِكر الله عَزَّوَجَلَّ يُسَهِّلُ الصَّعْبَ، ويُيَسِّرُ العَسِيرَ، ويُخَفِّفُ المَشَاقَّ، فما ذُكِرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ على صَعْبٍ إلا هَان، ولا على عَسِيرٍ إلا تَيَسَّر، ولا مَشَقَّةٍ إلا خَفَّتْ، ولا شِدَّةٍ إلا زالتْ، ولا كُربَةٍ إلا انفَرَجَتْ، فذِكرُ الله تعالى هو الفَرَجُ بعد الشِّدَّة، واليُسْرُ بعدَ العُسْرِ، والفَرَجُ بعدَ الغَمِّ والهَمِّ، **يُوَضِّحُهُ**:

الستون: أنَّ ذكرَ الله عَزَّوَجَلَّ يُذْهِبُ عن القلبِ مَخاوِفَهُ كُلَّها، وله تأثيرٌ عَجيبٌ في حصول الأَمنِ، فليسَ للخائِفِ الذي قد اشتَدَّ خوفُهُ أَنفعُ مِن ذِكرِ الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنه بِحَسَبِ ذِكره يَجِدُ الأَمنَ، ويَزولُ خَوفُهُ، حتى كأَنَّ المَخاوِفَ التي يَحذَرُها أَمانٌ له، والغَافِلِ خائفٌ مع أَمنِهِ، حتى كَأَنَّ ما هو فيه مِنَ الأَمنِ كُلِّه مَخَاوُف، ومَن له أَدنى حِسٍّ قَد جَرَّبَ هذا وهذا، والله المستعان.

الحادية والستون: أنَّ الذِّكرَ يُعطي الذَّاكرَ قُوةً، حتى إِنَّه لَيَفْعَلُ مع الذِّكرِ ما لا يُطيقُ فِعْلَه

بدُونِهِ، وقد شاهَدتُ مِن قُوَّةِ شيخِ الإسلام ابنِ تَيمِيَّة قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ في مِشيَتِهِ وكلامِهِ وإقْدامِهِ وكِتابتِهِ أَمرًا عَجيبًا، فكانَ يَكتُبُ في اليوم مِنَ التَّصنِيف ما يَكتُبُهُ الناسخُ في جُمعَةٍ أو أكثر، وقد شاهَدَ العَسْكَرُ من قُوَّتِهِ في الحَربِ أمرًا عظيمًا.

وقد عَلَّمَ النبيُّ ﷺ ابنَتَهُ فاطمةَ وعَلِيًّا رضي الله عنهما أن يُسَبِّحَا كُلَّ ليلةٍ إذا أَخذا مَضاجِعَهُما ثلاثًا وثلاثين، ويَحْمَدَا ثلاثًا وثلاثين، ويُكَبِّرَا أربعًا وثلاثين، لمَّا سَأَلَتْهُ الخادمَ، وشَكَتْ إليه ما تُقاسِيهِ من الطَّحْنِ والسَّعْي والخِدمَة، فعَلَّمَها ذلك، وقال: «**إِنَّه خيرٌ لَكُما مِن خادِمٍ**»، فقِيلَ: إنَّ من دَاوَمَ على ذلك وَجَدَ قُوةً في يَومِهِ ما يُغنيهِ عن خادم.

وسَمِعتُ شيخَ الإسلام ابنَ تيمية رَحِمَهُ اللهُ يذكرُ أَثَرًا في هذا الباب، وهو: «أنَّ الملائكةَ لمَّا أُمِرُوا بحَمْلِ العَرشِ قالوا: «**يا ربَّنا كيفَ نَحمِلُ عَرشَكَ وعليهِ عَظَمَتُكَ وجَلالُك؟ فقال: (قولوا: لا حَولَ ولا قُوةَ إلا بالله العليِّ العظيم)، فلمَّا قالوها حَمَلُوهُ**»، حتى رأيتُ ابنَ أبي الدنيا قد ذكرَ هذا الأثرَ بعينِهِ عن الليث بن سعد، عن مُعاويةَ بنِ صالح قال: حدثنا مَشْيخَتُنا أنه بلغهم: «**أنَّ أوَّلَ ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ -حينَ كان عَرشُهُ على الماء- حملةَ العَرشِ، قالوا: ربَّنا لم خلقتنا؟ قال: (خَلَقتُكُم لِحَمْلِ عَرشِي)، قالوا: ربَّنا ومَنْ يَقوَى على حَملِ عَرشِك وعليه عَظَمَتُكَ وجَلالُكَ ووَقَارُك؟ قال: (لِذَلك خَلَقتُكُم)، فأعادوا عليه ذلك مِرارًا، فقال لهم: (قولوا: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله) فحَمَلُوه**»[1].

وهذه الكلمةُ لها تأثيرٌ عَجيبٌ في مُعاناة الأَشغالِ الصَّعبةِ، وتَحَمُّلِ المَشَاقِّ، والدُّخُولِ على المُلُوكِ ومَن يُخافُ، ورُكوبِ الأَهوال.

ولها أيضًا تأثيرٌ في دَفعِ الفَقرِ، كما رَوى ابنُ أبي الدُّنيا عن الليث بن سعد، عن معاوية ابن صالح، عن أَسَدِ بن وَدَاعةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قال: لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله مائة مرة في كُلِّ يومٍ لم يُصِبْهُ فَقْرٌ أبدًا**»[2].

---

(١) وردَ هذا القولُ عن وَهبِ بن مُنَبِّه، وقد ذكرَ العلماءُ أنَّه ممَّن شُهِرَ بالأخذ عن كُتُب بني إسرائيل. انظر: «الجامعُ لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب (٢/ ١١٤).

(٢) أظهرَ المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ الإسنادَ ليُبيِّن عِلَّتَهُ وهي: الإرسال، فإنَّ أسد بن وداعة رَحِمَهُ اللهُ من التابعين.

وكان حبيبُ بنُ سَلَمةَ يَسْتَحِبُّ إذا لَقِيَ عدوًا، أو ناهَضَ حِصْنًا قولَ: (لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله)، وإنه ناهضَ يومًا حِصنًا فانْهَزَمَ الرُّومُ، فقَالَها المسلمون وكَبَّرُوا فانْصَدَعَ الحِصْنُ.

الثانية والستون: أنَّ عُمَّالَ الآخرةِ في مِضْمارِ السِّباقِ، والذَّاكِرُونَ هُم أسْبقُهم في ذلِكَ المِضْمَارِ، ولكنَّ القَتَرَ والغُبارَ يَمنعُ مِن رُؤيةِ سَبْقِهم، فإذا انْجَلى الغُبارُ وانْكشفَ رآهم النَّاسُ، وقد حازُوا قَصَبَ السَّبْقِ.

قال الوليدُ بنُ مسلم: حدثنا مُحمَّدُ بنُ عَجلانَ: سَمعتُ عمرَ مَوْلى غفرة يقولُ: (إذا انْكشفَ الغِطاءُ للناسِ يومَ القِيامةِ عن ثَوابِ أعمالِهم، لَمْ يَرُوا عَملًا أفضلَ ثوابًا مِن الذِّكرِ، فيَتَحسَّرُ عِندَ ذلك أقوامٌ، فيقولونَ: ما كان شَيءٌ أيسرَ عَلينا مِن الذِّكر).

وقالَ أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**سِيرُوا، سَبقَ المُفرِّدون**»، قالوا: وما المُفرِّدون؟ قال: «**الذين أُهْتِرُوا في ذِكرِ الله تعالى، يضَعُ الذِّكرُ عنهم أَوزارَهم**»[1]، أُهْتروا بالشَّيءِ، وفيه: أُولِعوا به، ولَزِمُوه وجَعلُوه دَأبَهم.

وفي بعض ألفاظ الحديث: «**المُسْتَهتَرُونَ بِذكْرِ الله**»، **ومعناه**: الذين أُولعوا به، يُقالُ: (اسْتَهتَرَ فلانٌ بكَذا) إذا أُولِعَ به.

وفيه تَفسيرٌ آخَرُ: أنَّ «**أُهْتِروا في ذِكرِ الله**»؛ أي: كَبُروا وهَلَكَ أقرانُهم، وهُم في ذكرِ الله تعالى، يُقالُ: (أَهْتَرَ الرجلُ، فهو مُهْتِرٌ) إذا أَسقَطَ في كلامِه مِن الكِبَر.

والهِتْرُ: السَّقطُ مِن الكَلام، كأنَّه بَقِيَ في ذكرِ الله تعالى حتى خَرِفَ وأنكَرَ عَقلَه، **والهِتْرُ**: الباطِلُ أيضًا، **ورَجُلٌ مُسْتَهتَر**: إذا كان كثيرَ الأباطِيلِ.

وفي حديثِ ابنِ عُمَرَ: «أعُوذُ بالله أن أكونَ مِن المُسْتَهتَرين».

وحَقيقةُ اللفْظِ: أنَّ الاسْتِهْتَارَ الإكثارُ مِن الشيءِ والوُلوعُ به، حقًّا كان أو باطِلًا،

---

(١) صحَّ هذا الحديثُ دون زيادة: «**يَضَعُ الذِّكرُ عنهم أوزارَهم**»، لأنَّه تفرَّد بها عمر بن راشد اليمامي، وهو ضعيفُ الحديث، ولذلك قال الإمام البخاري بعدَ أن أوردَ إسنادَ عمرَ بن راشد: «قال: يَضَعُ الذكرُ عنهم أثقالَهم، **والأَوَّلُ أَصَحُّ**» أي: رواية غيره ممَّن لم يذكر هذه الزيادة أصحُّ، وكذا قال البيهقيُّ. انظر: «التاريخ الكبير» (٨/ ٤٤٩)، و«شعب الإيمان» (١/ ٣٩٠).

وغَلبَ في عُرْفِ الناسِ اسْتِعْمالُهُ على المُبطِلِ، حتى إذا قيلَ: (فلانٌ مُستَهتَرٌ) لا يُفهَمُ مِنه إلا الباطِلُ، وإنَّما إذا قُيِّد بشَيء تَقيَّد به نحو: (هو مُسْتَهْتَر) أو (قد أُهْتِرَ في ذكْرِ الله تعالى)؛ أي: أَوْلعَ به، وأُغْرِيَ به، ويُقالُ: (اسْتُهْتِرَ فيه، وبه)، وتَفسيرُ هذا في الأثَرِ الآخَرِ: (أكثروا ذِكرَ الله تعالى حتى يُقالَ: مَجنونٌ).

الثالثة والستون: أن الذِّكرَ سببٌ لتَصديقِ الربِّ عَزَّوَجَلَّ عبدَهُ؛ فإنه خبرٌ عن الله تعالى بأَوصافِ كمَالِهِ، ونُعُوتِ جَلالِهِ، فإذا أَخبرَ بها العبدُ صَدَّقَهُ ربُّهُ، ومَن صَدَّقَهُ اللهُ تعالى لم يُحشَرْ مع الكاذبين، ورُجِيَ له أن يُحشَرَ مع الصادقين.

وروى أبو إسحاق عن الأَغَرِّ أبي مُسلم أنه شَهِدَ على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، أنهما شَهِدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إذا قال العبدُ: (لا إله إلا الله والله أكبرُ) قال: يقول الله تبارك وتعالى: (صَدَقَ عبدي، لا إله إلا أنا وأنا أكبر)، وإذا قال: (لا إله إلا الله وَحْدَه) قال: (صَدَقَ عبدي، لا إله إلا أنا وَحْدِي)، وإذا قال: (لا إله إلا الله لا شريك له) قال: (صَدَقَ عبدي، لا إله إلا أنا ولا شريك لي)، وإذا قال: (لا إله إلا الله، له الملك وله الحمدُ) قال: (صَدَقَ عبدي، لا إله إلا أنا، لِيَ المُلكُ، ولِيَ الحمدُ)، وإذا قال: (لا إله إلا الله، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله) قال: (صَدَقَ عبدي، لا إله إلا أنا، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بي)**، -قال أبو إسحاق: ثم قال الأغَرُّ شيئًا لم أَفْهَمْهُ، قلتُ لأَبي جعفر: ما قال؟ قال:- «**مَن رُزِقَهُنَّ عند مَوتِهِ لم تَمَسَّهُ النار**».

الرابعةُ والستون: أنَّ دُورَ الجنَّة تُبْنَى بالذِّكر، فإذا أَمْسَكَ الذَّاكِر عن الذِّكرِ أَمْسَكت الملائكةُ عن البِناء، فإذا أخذَ في الذِّكر أخذوا في البناء، وذكر ابنُ أبي الدُّنيا في كتابه عن حَكيم بن محمد الأَخنسي قال: «بلغَني أنَّ دُورَ الجنةِ تُبنَى بالذِّكر، فإذا أُمسِكَ عن الذِّكر أَمْسَكوا عن البناء، فيقال لهم، فيقولون: حتى تَأتينا نفقةٌ».

وذكر ابنُ أبي الدُّنيا من حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَن قال: (سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) -سبعَ مرَّات- بُنِيَ له بُرجٌ في الجنة**»[1].

(١) أخرجه البخاري في «تاريخه» (٣/ ٥٢٢) موقوفًا على أبي هريرة رضي الله عنه، ولكن في إسناده راوٍ مجهول.

وكما أنَّ بِناءَها بالذِّكرِ فغِراسُ بساتِينِها بالذِّكر، كما تقدم في حديث النبي ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام: «**أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربة، عَذْبةُ الماء، وأنها قِيعان، وأنَّ غَراسَها: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)**»، فالذِّكرُ غِراسُها وبِناؤُها.

وذكرَ ابنُ أبي الدُّنيا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أكثروا من غِراس الجنة، قالوا: يا رسول الله وما غِراسها ؟ قال : ما شاء الله، لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله**»[1].

الخامسة والستون: أنَّ الذِّكرَ سَدٌّ بين العبدِ وبين جَهَنَّم، فإذا كانت له إلى جهنَّمَ طريقٌ مِن عَمَل من الأعمال كانَ الذِّكرُ سدًّا في تِلك الطريق، فإذا كان ذِكرًا دائِمًا كامِلًا كان سَدًّا مُحْكَمًا لا مَنْفَذَ فيه، وإلا فَبِحَسَبِهِ.

قال عبدُ العزيز بنُ أبي روَّاد: «كان رجلٌ بالبادية قد اتَّخذَ مَسجِدًا، فجعلَ في قِبلتِهِ سبعةَ أَحجارٍ، وكان إذا قَضَى صلاتَهُ قال: (يا أحجار أُشْهِدكُم أن لا إله إلا الله)، قال: فمَرِضَ الرَّجُلُ، فعُرِجَ برُوحِهِ، قال: فَرأَيتُ في مَنامي أنه أُمِرَ بي إلى النار، قال: فرأَيتُ حَجَرًا من تلكَ الأَحْجارِ أَعْرِفُهُ قد عَظُمَ فسَدَّ عنِّي بابًا من أبواب جَهَنَّم، قال: ثم أُتِيَ بي إلى البابِ الآخر، فإذا حَجَرٌ مِن تِلكَ الأَحجارِ أَعرِفُهُ قَد عَظُمَ فسَدَّ عنِّي بابًا من أبوابِ جهنَّم، حتى سَدَّت عَنِّي بقيةُ الأَحجار أبوابَ جهنَّم».

السادسة والستون: أنَّ الملائكةَ تَسْتغفرُ للذَّاكرِ كما تَستغفرُ للتَّائبِ، كما رَوى حُسين المُعَلِّم، عن عبدِ الله بن بُريدة، عن عامر الشَّعبي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «أَجِدُ في كتاب الله المُنزَل أنَّ العبدَ إذا قال: (الحمد لله) قالت الملائكةُ: (رب العالمين)، وإذا قال: (الحمد لله رب العالمين) قالت الملائكة: (اللهم اغفِر لِعَبدك)، وإذا قال: (سبحان الله) قالت الملائكة: (وبِحمدِه)، وإذا قال: (لا إله إلا الله) قالت الملائكة: (والله

---

(١) قال الهيثمي في «المَجمع» (١٠/ ١١٩): «فيه عقبة بن علي وهو ضعيف»، وأصحُّ منه حديثُ أبي أيوب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّ إبراهيم عليه السلام قال له ليلة أسري به: «مُر أُمَّتك فليُكثروا مِن غِراس الجنَّة، فإنَّ تربتها طيبةٌ، وأرضُها واسعةٌ قال: وما غِراسُ الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»، وحسَّن حديثَ أبي أيوب المنذريُّ والحافظ ابن حجر. انظر: «نتائج الأفكار» (١/ ١١٣)، و «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٩١).

أكبر)، وإذا قال: (لا إله إلا الله، والله أكبر) قالت الملائكة: (اللهم اغفِر لِعَبدك) ».

السابعة والستون: أنَّ الجِبالَ والقِفارَ تتباهى وتَسْتَبشِر بمن يَذكُر الله ﷻ عليها.

قال ابن مسعود ﷺ: «إنَّ الجَبَلَ لَيُنادِي الجَبَلَ باسمِهِ: أَمَرَّ بكَ اليومَ أَحَدٌ يَذْكُرُ اللهَ ﷻ؟ فإذا قال: (نعم)، استَبْشَرَ».

وقال عونُ بن عبد الله: «إنَّ البِقاعَ لَيُنَادي بَعضُها بَعضًا: يا جارَتاه! أَمَرَّ بكِ اليومَ أَحَدٌ يَذكُرُ الله؟ فقائِلَةٌ: (نعم)، وقائِلَةٌ: (لا) ».

وقال الأَعمشُ عن مجاهد: «إنَّ الجبلَ لينادي الجبلَ باسمِهِ: يا فُلان هل مَرَّ بكَ اليومَ ذاكرٌ لله ﷻ؟ فمِن قائل: (لا)، ومِن قائلٍ: (نعم)».

الثامنة والستون: أنَّ كثرةَ ذكر الله ﷻ أَمانٌ من النِّفاق، فإنَّ المُنافِقين قَليلُو الذِّكرِ لله ﷻ، قال الله ﷻ في المُنافقين: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

وقال كَعب: «**مَن أَكثرَ ذِكرَ الله** ﷻ **بَرِئَ مِنَ النِّفاق**»، ولهذا -والله أعلم- خَتَمَ الله تعالى سورةَ المنافقين بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾، فإنَّ في ذلك تحذيرًا مِن فِتْنَةِ المُنافقين الذين غَفلوا عَن ذِكر الله ﷻ فَوَقَعوا في النِّفاق.

وسُئِلَ بعضُ الصحابةِ ﷺ عن الخَوارج: أمُنافِقون هُم؟ قال: «لا، المُنافِقون لا يَذكرونَ اللهَ إلا قليلًا»، فهذا من عَلامَةِ النِّفاق: قِلَّةُ ذِكرِ الله ﷻ، وكَثْرَةُ ذِكرِهِ أَمانٌ مِنَ النِّفاقِ، واللهُ ﷻ أَكرَمُ مِن أَنْ يَبتَلِيَ قلبًا ذَاكِرًا بالنِّفاق، وإنما ذلك لقلوبٍ غَفَلَتْ عن ذكرِ الله ﷻ.

التاسعة والستون: أنَّ للذِّكرِ مِن بينَ الأعمالِ لَذَّةً لا يُشْبِهُها شَيءٌ، فلو لم يَكن للعَبْدِ مِن ثَوابِهِ إلا اللَّذَة الحَاصِلَة للذَّاكرِ، والنَّعيم الذي يَحصُلُ لِقلبِهِ لكَفى به، ولهذا سُمِّيَتْ مَجالسُ الذِّكر: (رِياض الجَنَّةِ).

قال مالِكُ بنُ دِينار: «ما تَلَذَّذَ المُتَلَذِّذُون بِمِثل ذِكرِ الله ﷻ»، فليسَ شَيءٌ مِنَ الأَعمالِ أَخَفَّ مَؤونَةً منه، ولا أَعظمَ لَذَّةً، ولا أكثرَ فَرحَةً وابتهاجًا للقلب.

السبعون: أنه يَكْسُو الوَجْهَ نَضْرَةً في الدُّنيا، ونُورًا في الآخِرَةِ، فالذَّاكِرونَ أَنضَرُ الناس وُجوهًا في الدنيا، وأنوَرُهم في الآخرةِ، **ومِن المَراسيلِ** عن النبي ﷺ قال: «**مَن قال كلَّ يومٍ مائةَ مرةٍ: (لا إله إلا الله وَحدُه لا شَريكَ له، له المُلكُ، وله الحَمدُ، يُحيي ويُميتُ، بيدِه الخَير، وهو على كلِّ شَيء قَديرٍ)، أتى اللهَ تعالى يومَ القِيامةِ ووَجهُهُ أَشَدُّ بَياضًا مِن القَمرِ ليْلةَ البَدرِ**» (١).

الحادية والسَّبعون: أنَّ في دَوامِ الذِّكرِ في الطَّريقِ والبيتِ والحَضَرِ والسَّفرِ والبِقاع تَكْثيرَ الشُهودِ للعبدِ يومَ القيامةِ، فإن البُقعةَ والدارَ والجبلَ والأرضَ تَشهدُ للذَّاكرِ يومَ القيامةِ، قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ فرَوى التِّرمذيُّ في «جامعِه» مِن حديثِ سَعيد المَقْبُري عن أبي هريرة قال: «قَرأَ رَسول الله ﷺ هذه الآيةَ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، فقال: **أتدْرُونَ ما أَخْبارُها؟** قالوا: الله ورسولُه أعلم، قال: **فإنَّ أخبارَها أن تَشهدَ على كلِّ عبدٍ أو أَمةٍ بما عَملَ على ظَهرِها، تقولُ: عَمِلَ يومَ كَذا: كَذا وكذا**»، قال التِّرمذيُّ: هذا حَديثٌ حَسنٌ صَحيحٌ (٢).

والذَّاكرُ لله ﷻ في سائرِ البِقاعِ يَكثُرُ شُهُودُه، ولعلَّهم أو أكْثَرَهم أن يُقبَلُوا يومَ قِيامِ الأَشهادِ، وأداءِ الشَّهاداتِ، فيفرحَ، ويَغتَبِطَ بشَهادتِهم.

الثانية والسبعون: أنَّ في الاشتِغالِ بالذِّكرِ اشتِغالًا عَن الكَلامِ الباطِلِ، مِن الغِيبةِ والنميمةِ واللَّغوِ ومَدحِ الناسِ وذمِّهم وغَيرِ ذلِك، فإنَّ اللسان لا يسكُت ألبتةَ، فإما لِسان ذاكِرٌ، وإما لِسانٌ لاغٍ، ولا بُدَّ مِن أحدِهما، فهي النَّفسُ إن لم تَشغلْها بالحَقِّ وإلا شَغلتْك بالباطِلِ، وهو القلبُ إن لم تَسكُنْه محبَّةُ الله ﷻ سَكنَته محبَّةُ المَخلوقِينَ ولا بُدَّ، وهُو اللِّسان إن لم تَشغلْه بالذكْرِ شَغلَك باللَّغوِ، وهو عَليك ولا بُدَّ، فاخْتَر لنَفْسِكَ إحْدى الخُطَّتينِ، وأنْزِلها في إحْدَى المَنزِلتَيْنِ.

---

(١) ومع إرساله فقد قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٨٦): «وفيه عبد الوهاب بن الضحاك، وهو متروك».

(٢) في إسناده يحيى بن أبي سليمان وهو متروك الحديث كما قال الإمام البخاري. انظر: «الكامل» لابن عدي (٩/ ٨٢).

الثالثة والسبعون: وهي التي بَدأنا بذِكْرِها وأشَرْنا إليها إشارةً فنَذكُرها هُنا مَبْسوطةً؛ لِعَظيمِ الفائدة بها، وحاجةِ كلِّ أحدٍ -بل ضَرورته- إليها، وهي أنَّ الشَّياطينَ قد احْتَوشَت العبدَ وهُم أعداؤه، فما ظَنُّكَ برجُل قد احْتَوَشَه أعداؤه المُحْنِقُون عَليه غَيْظًا، وأحاطُوا به، وكُلٌّ مِنهم يَنالُه بما يَقْدِرُ عليه مِن الشَّرِّ والأذَى، ولا سَبيلَ إلى تَفْريقِ جَمْعِهم عنه إلا بذِكْرِ الله ﷻ.

وقد جاء في هذا الحَديثِ العَظيمِ الشَّريفِ القَدْرِ الذي يَنبغِي لكلِّ مُسلمٍ أن يَحفظَه، فنَذكُرُه بطُولِه لِعُمومِ فائدتِه وحاجَةِ الخَلقِ إليه، وهو حَديثُ سَعيدِ بنِ المُسَيَّبِ عن عبد الرَّحمنِ بن سُمْرَةَ بن حَبيبٍ، قال: «خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ يومًا، ونحن في صُفَّةٍ بالمدينةِ، فقامَ علينا وقال: «**إني رأيتُ البارِحَةَ عَجَبًا: رأيتُ رجُلًا مِن أُمتِي أتاه ملكُ المَوتِ؛ لِيقبِضَ روحَهُ، فجاءَه برُّهُ بوالِدَيْهِ فردَّ مَلَكَ الموتِ عنه، ورأيتُ رَجُلًا قد بُسِطَ عليه عَذابُ القَبرِ، فجاءَه وَضُوؤه فاسْتَنقذَه مِن ذلِك، ورأيتُ رجُلًا مِن أُمتِي قد احْتَوْشَتهُ الشَّياطِينُ، فجَاءَه ذكرُ الله ﷻ فطَردَ الشيطانَ عنه، ورأيتُ رجُلًا مِن أُمَّتِي قد احْتَوْشَتهُ ملائكةُ العَذابِ فجاءَتْه صَلاتُه فاستَنْقَذَته مِن أيدِيهم، ورأيتُ رجُلًا مِن أُمتي يَلْتهِبُ** - وفي رواية: يَلهَثُ- **عَطشًا، كُلَّما دَنا مِن حَوضٍ مُنِعَ وطُرِدَ، فجاءَه صيامُهُ شهرَ رمضانَ فأَسْقاهُ وأَرْواهُ، ورأيتُ رجُلًا مِن أُمتِي ورأيتُ النَّبيِّين جُلُوسًا حِلَقًا حِلَقًا، كُلَّما دَنا إلى حَلْقَةٍ طُرِدَ، فجاءَهُ غُسْلُه مِن الجَنابَةِ فأخذَ بيدِه وأَقعَدَه إلى جَنْبِي، ورَأيتُ رجُلًا مِن أُمتِي بين يَديْه ظُلمةٌ، ومِن خَلفِه ظُلمةٌ، وعَن يَمينِهِ ظُلمةٌ، وعَن يَسارِه ظُلمَةٌ، ومِن فوقِه ظُلمةٌ، ومِن تحتِه ظُلمةٌ، وهو مُتَحيِّرٌ فيها، فجاءَه حجُّه وعمرتُه فاسْتَخْرَجاه مِن الظُّلمةِ، وأدْخَلاه في النُّورِ، ورأيتُ رَجلًا من أُمتي يتَّقي بيدِه وَهَجَ النَّارِ وشَرَرها، فجاءتْهُ صدَقتُهُ فصَارت سُترةً بينَه وبينَ النَّار، وظَلَّلتْ على رأسِه، ورأيتُ رجلًا مِن أُمتي يُكلِّمُ المؤمنينَ ولا يُكَلِّمونَه، فجاءتهُ صِلَتُهُ لرَحمِه، فقالت: يا مَعشرَ المُسلمين إنَّه كان وَصولًا لِرَحمِه، فكَلِّموه فكلَّمه المؤمنون وصافَحُوه وصافَحَهم، ورأيتُ رجلًا مِن أُمتي قد احْتَوشَتهُ الزَّبانيةُ، فجاءَه أمرُهُ بالمعروفِ ونَهيهُ عنِ المُنكرِ فاسْتَنقَذهُ مِن أيدِيهم، وأدخلَهُ في ملائكةِ الرَّحمةِ، ورأيتُ رجلًا من أُمتي جاثِيًا على رُكبتَيْه، وبينَه وبينَ الله ﷻ**

حجابٌ فجاءَه حُسْنَ خُلُقِه فأخذَهُ بيدِه فأدخلَه على الله ﷻ**، ورأيتُ رجلًا مِن أُمتِي قد ذَهَبت صَحيفتُه مِن قِبلِ شِمالِه، فجاءه خَوفُهُ مِن الله** ﷻ **فأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فوضعَها في يَمينِه، ورأيتُ رجلًا من أُمتِي خَفَّ ميزانُه، فجاءَهُ أَفْراطُهُ فثقَّلوا ميزانَه، ورأيتُ رجلًا من أُمتي قائِمًا على شَفيرِ جهنم فجاءَهُ رجاؤُهُ من الله** ﷻ **فاستَنْقَذَهُ من ذلك ومَضَى، ورأيتُ رجلًا من أُمتي قد هَوى في النار فجاءَتْهُ دَمعتُهُ التي بَكى من خَشيةِ الله** ﷻ **فاسْتَنْقَذتهُ من ذلك، ورأيتُ رجلًا من أُمتي قائِمًا على الصِّراطِ يَرعُدُ كما تَرعُدُ السَّعَفَةُ في ريحٍ عاصِفٍ فجاءَهُ حُسنُ ظنِّهِ بالله** ﷻ **فَسَكَّنَ رَعْدَتَهُ ومَضَى، ورأيتُ رجلًا من أُمتي يَزحَفُ على الصراط ويَحبُو أحيانًا، ويتعلَّقُ أحيانًا، فجاءَتهُ صلاتُهُ عَلَيَّ فأقامَتهُ على قَدَميهِ وأَنقَذَتهُ، ورأيتُ رجلًا من أُمتي انتَهَى إلى أبوابِ الجنة فغُلِّقَت الأبوابُ دونَهُ فجاءَتهُ شهادة أن لا إله إلا الله ففَتَحتْ له الأبوابَ وأَدخَلتهُ الجنة»**، رواه الحافظ أبو موسى المَدِيني في كتاب «التَّرغِيب في الخِصال المُنْجِية والتَّرهِيب مِن الخِلال المُردِية»، وبَنى كتابَه عليه، وجعَلَهُ شرحًا له، وقال: «هذا حديث حسنٌ جدًّا، رواه عن سعيدِ بن المُسيَّب عمرُ بنُ ذَر، وعليُّ بن زيد بن جُدْعان، وهِلالُ أبو جَبَلة.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يُعَظِّمُ شأنَ هذا الحديث، وبَلغني عنهُ أنه كان يقول: «شواهدُ الصحة عليه».

والمقصود منه قوله ﷺ: « **ورأيتُ رجُلًا مِن أُمتِي قد احْتَوْشَتهُ الشَّياطِينُ، فجَاءَه ذكرُ الله** ﷻ **فطَرَدَ الشياطينَ عنه** » فهذا مطابقٌ لحديث الحارث الأَشعري الذي شرحناهُ في هذه الرسالة، وقوله فيه: «**وأمركُم بذكرِ الله** ﷻ**، وإنَّ مَثَلَ ذلك كمَثَلِ رجلٍ طلبَهُ العدوُّ فانطلقُوا في طلَبِهِ سِراعًا، وانطلقَ حتى أتى حِصْنًا حَصِينًا فأَحرزَ نفسَهُ فيه**» فكذلك الشيطانُ لا يُحرِزُ العِبادُ أنفُسَهُم منه إلا بذكر الله ﷻ.

وفي «الترمذيِّ» عَن أنسِ بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قال -يعني إذا خرجَ من بيته-: بسم الله، توكَّلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يُقالُ له: كُفِيتَ وهُدِيتَ ووُقِيتَ، وتَنَحَّى عنه الشيطانُ، فيقول لشيطان آخر: كيفَ لك برجُلٍ قد هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ؟**»، ورواه أبو داود والنسائي والترمذي، وقال: حديث حسن.

وقد تقدَّم قوله ﷺ: «**مَن قالَ في يومٍ مائة مرة: (لا إله إلا الله وحْدَه لا شَريك له، له المُلكُ وله الحَمد، وهو على كل شيء قَديرٌ)، كانت له حِرزًا مِن الشيطان حتى يُمسِي**».

وذَكرَ سُفيانُ، عن أبي الزُّبير، عن عبد الله بن ضَمْرَة، عن كعب، قال: «إذا خرج الرجلُ من بيتِهِ، فقال: (بسم الله) قال الملَكُ:(هُديتَ)، وإذا قال: (توكَّلتُ على الله)، قال المَلَك: (كُفِيتَ)، وإذا قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، قال المَلَكُ: (حُفظتَ)، فيقولُ الشياطينُ بَعضهم لبعض: (ارْجِعوا، ليسَ لكم عليه سبيلٌ، كيفَ لكُم بمَن كُفِيَ وهُدِيَ وحُفِظَ ؟!) ».

وقال أبو خلَّاد البَصري: «مَن دخلَ في الإسلام دخلَ في حِصنٍ، ومن دخلَ المسجدَ فقد دخلَ في حِصنين، ومَن جلسَ في حَلْقَة يذكرُ الله عَزَّوَجَلَّ فيها فقد دخل في ثلاثة حُصون».

وقد روى الحافظُ أبو موسى في كتابه من حديث أبي عِمران الجَوني عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : «**إذا وضعَ العبدُ جَنبَهُ على فِراشه فقال : (بسم الله) وقرأ فاتحةَ الكتاب أَمِنَ مِن شَرِّ الجنِّ والإنس ومن شَرِّ كُلِّ شَيءٍ**»[1].

وفي «صحيح البخاري» عن محمد بن سِيرين، عن أبي هريرة قال: «وَلَّاني رسولُ الله ﷺ زكاةَ رمضان أن أَحتفِظَ بها، فأتاني آتٍ فجعلَ يَحثُو من الطعام، فأخذتُهُ فقال: (دَعني فإني لا أعودُ)... -فذكر الحديث- وقال: فقال له في الثالثة: (أُعلِّمُكَ كلماتٍ ينفعُكَ الله بهن؛ إذا أَوَيتَ إلى فراشِك فاقرأ آيةَ الكُرسي مِن أوَّلها إلى آخرها، فإنه لن يزالَ عليك من الله حافِظٌ ولا يقربُكَ شيطانٌ حتى تُصبحَ، فخلَّى سَبِيلَهُ، فأَصبحَ فأخبَرَ النبيَّ ﷺ بقوله، فقال: **صَدَقَك وهو كَذُوب**».

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أَوى الإنسانُ إلى فراشِهِ ابتَدَرَهُ مَلَكٌ وشيطانٌ، فيقول المَلَكُ: (اختِم بخير)، ويقول الشيطان: (اختِم بِشرٍّ)، فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبَهُ -يعني: النومَ- طردَ المَلَكُ الشيطان، وباتَ يَكلَؤُهُ، فإذا استيقظَ ابتَدَرهُ مَلَكٌ وشيطانٌ، فيقول المَلَكُ: (افتَح بخير)،**

(١) قال الهيثميُّ في «المجمع» (١٠/ ١٢٣): «فيه غسَّان بن عُبيد، وهو ضعيف الحديث».

ويقول الشيطانُ: (افتَح بِشَرٍّ)، فإن قال: (الحمد لله الذي أَحيا نَفسِي بعد مَوتها، ولم يُمِتْها في مَنامِها، الحمد لله الذي يُمسِك التي قضَى عليها الموت، ويرسِلُ الأخرى إلى أجل مُسَمًّى، الحمد لله الذي يُمسِكُ السمواتِ والأرضَ أن تَزُولا، وَلَئِن زالَتا إن أَمْسَكَهما مِن أَحَدٍ مِن بعده، الحمد لله الذي يُمسكُ السماءَ أن تقعَ على الأرض إلا بإذنه) طرَدَ المَلَكُ الشيطانَ، وظَلَّ يَكلَؤُهُ».

وفي «الصحيحين» من حديث سالم بن أبي الجَعد، عن كُريب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما لو أن أحدَكُم إذا أتى أهلَهُ قال: (بسم الله، اللهم جَنِّبْنا الشيطانَ وجَنِّب الشيطانَ ما رَزَقتنا) فيولدُ بينهما وَلدٌ لا يَضُرُّهُ شيطانٌ أبدًا**».

وذكر الحافظُ أبو موسى عن الحسن بن علي قال: «أنا ضامِنٌ لمن قرأَ هذه العشرين الآية أن يعصِمَهُ الله تعالى من كُلِّ سُلطانٍ ظالمٍ، ومِن كُلِّ شيطانٍ مَريدٍ، ومِن كُلِّ سَبُعٍ ضار، ومِن كُلِّ لِصٍّ عادٍ: آيةَ الكرسي، وثلاثَ آيات من الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ...﴾، وعَشرًا من الصافات، وثلاثَ آيات من الرحمن: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾، وخاتمة سورة الحشر ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ...﴾.

قال محمد بن أبان: «بينما رجلٌ يصلي في المسجد إذا هو بشيءٍ إلى جَنبِهِ، فهِيلَ منه، فقال: (ليس عليك مني بأسٌ، إنما جِئتُكَ في الله تعالى، ائتِ عُروةَ فسَله: ما الذي يتعَوَّذُ به -يعني من إبليس الأَباليس-؟) قال: قُلتُ: (آمنتُ بالله العظيم وَحدَهُ، وكَفَرتُ بالجِبتِ والطاغوتِ، واعتَصَمتُ بالعُروة الوُثقى لا انفِصامَ لها، واللهُ سميعٌ عليمٌ، حَسبيَ اللهُ وكَفَى، سَمِعَ اللهُ لِمَن دعا، ليسَ وَرَاءَ الله مُنتَهى».

قال بِشرُ بن منصور عن وُهَيب بن الوَردِ، قال: «خرجَ رجلٌ إلى الجَبَّانَة[1] بعد ساعة من الليل، قال: فسمعتُ حِسًّا -أو أصواتًا شديدةً- وجِيءَ بسَريرٍ حتى وُضِعَ، وجاء شيءٌ

(١) **الجَبَّانَةُ**: هي الصحراءُ، وتطلَقُ على المقابر؛ لأنها تكون في الصحراء غالبًا.

حتى جَلسَ عليه، قال: واجتَمَعَتْ إليه جنودُهُ ثم صَرخَ فقال: (مَن لي بعُروةَ بن الزُّبير؟)، فلم يُجبْهُ أحدٌ، حتى تَتابعَ ما شاء اللهُ من الأَصوات، فقال واحدٌ: (أنا أكفِيكَهُ)، قال: فتوجَّهَ نحوَ المدينة، وأنا ناظِرٌ ثم أَوشكَ الرَّجعةَ فقال: (لا سبيلَ إلى عُروة)، قال: (وَيلكَ لِمَ؟)، قال: (وجدتُهُ يقول كلماتٍ إذا أصبحَ وإذا أمسى فلا نَخْلُصُ إليه مَعَهُنَّ)، قال الرجلُ: فلمَّا أَصبحَتُ قلتُ لأَهلي: (جَهِّزوني)، فأتيتُ المدينةَ فسألتُ عنه حتى دُلِلتُ عليه، فإذا شيخٌ كبيرٌ، فقلتُ: (ما شيءٌ تقولهُ إذا أصبحتَ وإذا أَمسيتَ؟)، فأبى أن يُخبرَني، فأخبرتهُ بما رَأيتُ وبما سَمعتُ، فقال: (ما أدري! غيرَ أني أقولُ إذا أصبحتُ: آمنت بالله العظيم، وكَفرتُ بالجبتِ والطاغوت، واستَمسَكتُ بالعُروةِ الوُثقى التي لا انفصامَ لها، والله سميعٌ عليمٌ، إذا أصبحتُ قلتُ ثلاث مرات، وإذا أَمسيتُ قلتُ ثلاث مرات».

وذكر أبو موسى عن مُسلم البُطَين قال: قال جبريل للنبي ﷺ: «**إنَّ عِفريتًا من الجن يَكيدُك، فإذا أَويتَ إلى فِراشكَ فقُل: (أعوذُ بكلمات الله التامات التي لا يُجاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولا فاجرٌ، مِن شَرِّ ما يَنزِلُ من السماء وما يَعرُجُ فيها، ومِن شّرِّ ما ذَرأَ في الأرض وما يَخرجُ منها، ومن شَرِّ فِتَنِ الليل والنهار، ومِن شَرِّ طَوارِقِ الليل والنهار إلا طارقًا يَطرُقُ بخيرٍ يا رحمن**»[1].

وقد ثبت في «الصحيحين»: أن الشيطانَ يهرُبُ من الأذان.

قال سُهيلُ بن أبي صالح: «أَرسلَني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام -أو صاحب- لنا فنادى مُنادٍ من حائطٍ باسمِهِ، فأَشرفَ الذي مَعي على الحائطِ فلم يَرَ شيئًا، فذَكَرتُ ذلك لأبي فقال: (لو شَعرتُ أنك تَلقى هذا لم أُرسِلْكَ، ولكن إذا سَمِعتَ صوتًا فنادِ بالصلاة، فإني سمعتُ أبا هريرة يُحدِّث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنَّ الشيطانَ إذا نودي بالصلاة وَلَّى وله حُصاصٌ**[2]»».

وفي رواية: «**إذا سَمعَ النداءَ وَلَّى وله ضُراطٌ حتى لا يَسمعَ التأذين**...» الحديث.

---

(١) أوردَ المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ الإسناد المرسل، وقد رُوِيَ موصولاً من حديث خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن حَنبَش وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وجوَّد إسنادَهُ المنذريُّ وغيره. انظر: «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٠٣)، و «الصحيحة» رقم: (٨٤٠).

(٢) **الحُصاصُ**: هو شِدَّةُ العَدْوِ وحِدَّتهُ.

وذكر الحافظ أبو موسى من حديثِ أبي رجاء، عن أبي بكر الصدِّيق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**استكثروا من قول: (لا إله إلا الله) والاستغفار؛ فإن الشيطان قال: قد أهلكتُهُم بالذنوب، وأَهلكُوني بقول: (لا إله إلا الله) والاستغفار، فلما رأيتُ ذلك منهم أهلكتُهُم بالأهواء حتى يَحسَبونَ أنهم مُهتدونَ فلا يَستغفرون**»[1].

وذَكَر أيضًا عن إبراهيمَ بن الحكم، عن أبيه، عن عِكرمة قال: «بينا رجلٌ مُسافرٌ إذ مَرَّ برجل نائمٍ، ورَأى عندَه شَيطانين، فسَمِعَ المسافرُ أحدَ الشيطانين يقولُ لصاحبه: (اذهبْ فأَفسِد على هذا النائم قلبَهُ)، فلمَّا دَنا منه رجعَ إلى صاحبه فقال: (لقد نامَ على آية ما لنا إليه سبيلٌ، فذهبَ إلى النائم فلمَّا دَنا منه رَجَع، قال: (صَدقتَ)، فذهبا، ثمَّ إنَّ المسافرَ أَيقظَهُ وأَخبَرهُ بما رأى من الشيطانين، فقال: (أخبرني على أيِّ آية نِمتَ؟) قال: على هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

وقال أبو النَّضْرِ هاشم بن القَاسم: «كنتُ أَرى في دارِي فقِيل لي: يا أبا النَّضر تحوَّل عن جِوارِنا، قال: فاشتَدَّ ذلِك عَليَّ، فكتبتُ إلى الكُوفةِ إلى ابنِ إدْريسَ والمُحاربي، وأبي أُسامةَ، فكتبَ إلي المُحاربي: (إنَّ بئْرًا بالمدينة كان يُقْطَعُ رِشاؤُها، فنزلَ بهم ركبٌ فشَكَوا ذلك إليهمَّ، فدَعَوا بدَلْوٍ مِن ماءٍ، ثمَّ تكلَّمُوا عليه بهذا الكلام، فصَبُّوه في البِئرِ، فخرجَت نارٌ مِن البئْرِ، فطَفِئَت على رأسِ البئْرِ، قال أبو النَّضر: فأخذتُ تَوْرًا مِن ماءٍ، ثمَّ تكلَّمتُ فيه بهذا الكلام ثمَّ تَتَبَّعتُ به زَوايا الدَّارِ، فرَشَشْتُهُ فصاحُوا بي: (يا أبا النَّضر أحْرَقْتَنا نحنُ نتَحوَّلُ عنك)، وهو: (بِسم الله، أمْسَيْنا بالله الذي ليسَ مِنه شيءٌ مُمْتَنِعٌ، وبعِزَّةِ الله التي لا تُرامُ، ولا تُضامُ، وبسُلطانِ الله المَنيعِ نَحْتَجِبُ، وبأسمائِه الحُسنى كلِّها عائذًا مِن الأبالِسَةِ، ومِن شرِّ شياطينِ الإنس والجنِّ، ومِن شرِّ كلِّ مُعْلن أو مُسِر، ومن

(١) في إسناده عبد الغفور بن عبد العزيز الواسطي، وعثمان بن مَطَر، كِلاهُما متروكان، واتُّهما بوضع الحديث، وفي الباب حديثُ أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الشيطانَ قال: وعِزَّتك يا ربِّ لا أَبرحُ أُغوي عِبادك ما دامتْ أرواحُهُم في أَجسادِهم، فقال الربُّ تبارك وتعالى: (وعِزَّتي وجَلَالي: لا أَزالُ أَغفرُ لهم ما استَغفروني)**».

شِر ما يَخرُجُ بالليل، ويَكْمُنُ بالنَّهار ويَكْمُنُ بالليل، ويخرجُ بالنهارِ، ومِن شرِّ ما خلَقَ وذَرأَ وبَرأَ، ومِن شرِّ إبليسَ وجنوده، ومِن شرِّ كلِّ دابةٍ أنتَ آخِذٌ بناصِيَتِها، إنَّ ربي على صراطٍ مُستقيم، أعُوذُ بالله بما استَعاذَ به موسى وعيسى وإبراهيم الذي وفَّى، مِن شرِّ ما خلقَ وذَرأَ وبَرأَ، ومِن شرِّ إبليس وجنودِه، ومن شرِّ ما يُتَّقى، أعُوذُ بالله السَّميعِ العَليم مِن الشَّيطان الرَّجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ دُحُورٗا وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾.

فهذا بعضُ ما يتَعلَّقُ بقولِه ﷺ: «**كذلِك العبدُ لا يَحرُزُ نفسَهُ من الشيطان إلا بذكر الله تعالى**».

*****

ولنذْكُر فُصُولًا نَافِعَةً تتعلَّقُ بالذِّكرِ تَكمِيلًا لِلفائدةِ:

الفصل الأول

الذِّكرُ نَوعانِ: أحَدُهما: ذِكرُ أسماءِ الربِّ تَبارَكَ وتَعالَى وصفاتِه، والثَّناءِ عليه بها، وتَنزِيهُه وتقديسُهُ عمَّا لا يَليقُ به تَبارَكَ وتَعالَى؛ **وهذا أيضًا نوعان:**

- **أحدهما**: إنْشاءُ الثَّناءِ عليه بها مِن الذَّاكِرِ، وهذا النَّوعُ هو المَذكورُ في الأحاديثِ، نَحْوَ: (سُبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبَر، وسُبحانَ الله وبحمده، ولا إله إلا الله وحده لا شَريك له، له المُلكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيء قدير) ونَحْوَ ذلك، فأفضَلُ هذا النَّوعِ أجْمَعُه للثَّناءِ وأعَمُّه نَحْوَ: (سُبحان الله عَددَ خلقِه)، فهذا أفضَلُ مِن مُجرَّدِ: (سُبحان الله)، وقولُك: (الحمدُ لله عددَ ما خلَقَ في السماءِ، وعددَ ما خَلقَ في الأرضِ، وعددَ ما بيْنَهما، وعددَ ما هُو خالِقٌ) أفضلُ من مجرَّدِ قَولِك: (الحمد لله).

وهذا في حَديثِ جُويريةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ النَّبي ﷺ قال لها: «**لقد قُلتُ بعدَكِ أربعَ كلماتٍ ثلاث مرَّات، لو وُزِنَت بما قُلتِ مُنذُ اليوم لوَزنَتْهنَّ: سُبحان الله عددَ خَلقِه، سُبحان الله رِضى نَفْسِه، سُبحان الله زِنَةَ عَرْشِه، سُبحانَ الله مِدادَ كلِماتِه**»، رواه مسلم.

وفي «التِّرمذي» و«سُننِ أبي داودَ» عن سَعدِ بن أبي وقَّاص أنه دخلَ مع رسول الله ﷺ على امرأةٍ بين يديها نَوَى أو حَصى تُسبِّح به، فقال: «**ألا أُخبرُكِ بما هو أيسرُ عليكِ من هذا -أو: أفضل-؟ فقال: سُبحان الله عددَ ما خلَقَ في السماء، وسبحان الله عددَ ما خلَقَ في الأرضِ، وسُبحانَ الله عددَ ما بينَ ذلِك، وسُبحان الله عددَ ما هو خالِقٌ، والله أكبر مثل ذلك، والحمدُ لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك**»[1].

النوع الثاني: الخَبرُ عن الربِّ تَبارَكَ وتَعالَى بأحكامِ أسمائِهِ وصفاتِهِ، نَحْو قولِك: (الله عَزَّوَجَلَّ يَسمعُ أصواتَ عبادِه، ويَرى حركاتهم، ولا تَخْفى عليه خافِيةٌ مِن أعمالِهم، وهو

(١) في إسناده رجلٌ اسمُهُ خُزَيمةَ: مجهول العَين، لا يُعرَفُ نَسَبُهُ ولا حالُهُ، وقد تفرَّدَ عنه سعيدُ بن أبي هلال، وسعيدٌ هذا وإن كان ثقةً إلا أنه رُمِيَ بالاختلاط. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٦٥٣)، و«الضعيفة» (١/ ١٨٩).

أرْحَمُ بهم مِن آبائِهم وأمَّهاتِهم، وهو على كل شيء قدير، وهو أَفْرحُ بتوبةِ عبدِه مِن الفاقِدِ راحلتَه الواجِد، ونَحْو ذلك، **وأفضلُ هذا النَّوع**: الثناءُ عليه بما أَثنَى به على نفسِهِ، وبما أَثنى به عليه رسول الله ﷺ مِن غَير تحريفٍ ولا تعطيل، ومِن غَير تَشبيه ولا تَمثيل، **وهذا النَّوعُ أيضًا ثلاثةُ أنواع**: حَمدٌ وثناءٌ ومَجدٌ؛ **فالحمد**: الإِخبارُ عنه بصفاتِ كمالِه ﷻ مع مَحبَّته والرِّضى عنه، فلا يكونُ المُحِبُّ السَّاكِتُ حامِدًا، ولا المُثْنِي بلا محبَّةٍ حامدًا؛ حتى تَجتمِعَ له المحبَّةُ والثَّناءُ، فإن كرَّرَ المَحامِدَ شيئًا بَعدَ شيءٍ **كانت ثناءً**، فإن كان المَدْحُ بصِفاتِ الجلالِ والعَظمةِ والكِبْرياءِ والمُلْك **كان مَجْدًا**، وقد جَمعَ الله تعالى لعبدِهِ الأنواعَ الثلاثةَ في أولِ سورة فاتحةِ الكتاب، فإذا قال العبدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال الله: **حمدَني عبدي**، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال: **أَثنى عَليَّ عبدي**، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قال: **مجَّدني عبدي**.

النَّوعُ الثاني مِن الذِّكر: ذِكرُ أَمرِهِ ونهيِه وأحكامِه، وهو أيضًا نوعانِ: **أحدهما**: ذكرُه بذلك إخبارًا عنه بأنَّه أَمرَ بكذا، ونَهى عن كذا، وأحبَّ كذا، وسخِطَ كذا، ورَضِيَ كذا.

والثاني: ذِكْرُه عند أمرِه فيُبادِرُ إليه، وعند نَهيِه فيَهرُبُ مِنه، فذِكْرُ أمرِه ونهيه شيءٌ، وذِكرُه عند أمرِهِ ونهيه شيءٌ آخر، فإذا اجْتمعَتْ هذه الأنواع للذَّاكر فذكرُه أفضلُ الذِّكر وأجلُّه وأعظمُهُ فائدةً، فهذا ذِكرُه هو الفِقه الأكبر، وما دونَه مِن أفضَلِ الذِّكرِ إذا صحَّت فيه النيةُ، ومِن ذِكره ﷻ ذِكرُ آلائِهِ وإنْعامِه وإحْسانِه وأيادِيه، ومَواقِع فَضْلِه على عبيدِه، وهذا أيضًا مِن أجلِّ أنواعِ الذكر.

فهذه خَمسةُ أنواعٍ، وهي تكونُ بالقلب واللسانِ تارةً، وذلك أفضلُ الذِّكرِ، وبالقلب وحدَه تارةً وهي الدرجةُ الثانيةُ، وباللسانِ وَحدَه تارةً وهي الدرجةُ الثالثةُ، فأفضلُ الذِّكرِ ما تَواطَأَ عليه القلبُ واللسانُ، وإنما كان ذِكْرُ القَلبِ وَحْده أفضلَ مِن ذِكْرِ اللسانِ وَحْده؛ لأنَّ ذكْرَ القلبِ يُثْمِرُ المَعْرِفَةَ، ويُهيِّجُ المحبةَ، ويُثيرُ الحياءَ، ويَبعَثُ على المَخافَةِ، ويَدعُو إلى المُراقبةِ، ويَردعُ عن التَّقصيرِ في الطَّاعات والتَّهاوُنِ في المَعاصِي والسَّيئاتِ، وذِكْرُ اللسانِ وحدَه لا يُوجِب شيئًا من ذلك الإثمار، وإن أثمرَ شيئًا منها فثمرتُه ضَعيفَةٌ.

الفصل الثاني

الذكرُ أفضلُ من الدعاء؛ **لأنَّ الذكرَ**: ثناءٌ على الله ﷻ بجميلِ أَوصافِهِ وآلائِهِ وأسمائِهِ، **والدعاءُ**: سؤالُ العبد حاجتَهُ، فأين هذا من هذا؟!

ولهذا جاء في الحديث: «**مَن شَغلَهُ ذِكري عن مَسألَتي أَعطيتُهُ أفضلَ ما أُعطي السَّائلين**»[1]، ولهذا كان المُستحبُّ في الدعاء أن يبدأَ الداعي بحمد الله تعالى، والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسألُ حاجتَهُ كما في حديث فَضالة بن عُبيد: أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يدعو في صلاتِهِ لم يحمدِ الله تعالى، ولم يُصَلِّ على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: « **لقد عَجِلَ هذا**»، ثم دعاهُ فقال له أو لغيره: «إذا صلى أحدُكُم فليبدأ بتَحميدِ ربِّه ﷻ والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعدُ بما شاء»، رواه الإمام أحمد، والترمذي وقال: «حديث حسن صحيح»، ورواه الحاكم في «صحيحه».

وهكذا دعاءُ ذي النون عليه السلام قال فيه النبي ﷺ: «**دعوةُ أخي ذي النُّون ما دَعا بها مَكروبٌ إلا فَرَّج اللهُ كُربَتَهُ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾**[2].

وفي «الترمذي»: «**دَعوةُ أخي ذي النون إذ دعا وهو في بَطن الحوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإنه لم يَدعُ بها مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلا استجابَ الله له**».

وهكذا عامَّةُ الأدعية النبوية على قائِلها أفضلُ الصلاة والسلام، ومنه قوله ﷺ في دعاء الكَرْب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**».

ومنه حديثُ بُريدة الأَسلمي الذي رواه أهل السنن، وابن حبان في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يدعو وهو يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا

---

(١) تقدَّم الكلام عليه (ص ٥١).

(٢) قال الحافظ ابن حجر كما في «الفتوحات الربانية» (٤/ ١٠): «فيه عمرو بن حصين، وهو ضعيفٌ جدًّا»، ويغني عنه الحديث الذي بعدَهُ.

إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يَلِد ولم يُولَد ولم يكن له كُفُوًا أحد» فقال: «**والذي نفسي بيدِهِ لقد سأَل اللهَ باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أَعطى**».

وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس أنه كان مع النبي ﷺ جالسًا ورجلٌ يصلي، ثم دعا: «اللهم إني أسألكُ بأن لك الحمد، ولا إله إلا أنت المنَّان، بَديع السموات والأرض، يا ذا الجَلال والإكرام، يا حيُّ يا قيوم»، فقال النبي ﷺ: «**لقد دعا الله باسمِهِ الأَعظم الذي إذا دُعِيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أَعطى**».

فأخبرَ النبيُّ ﷺ أن الدعاءَ يُستجابُ إذا تَقدَّمَهُ هذا الثناءُ والذِّكرُ، وأنه اسم الله الأَعظم، فكان ذكرُ الله عَزَّوَجَلَّ والثناءُ عليه أنجحَ ما طَلَبَ به العبدُ حوائِجَهُ.

وهذه فائدةٌ أخرى من فوائدِ الذِّكرِ والثناء أنهُ يَجعلُ الدعاءَ مُستَجابًا، فالدعاءُ الذي يتَقدَّمُهُ الذِّكرُ والثناء أفضلُ وأَقربُ إلى الإجابة من الدعاءِ المُجَرَّد، فإن انضَاف إلى ذلك إخبارُ العبدِ بحالِهِ ومَسْكنَتِهِ وافتِقارِه واعترافِهِ كان أبلغَ في الإجابة وأفضلَ؛ فإنه يكونُ قد توسَّلَ إلى المَدعُوِّ بصفات كمالِهِ وإحسانِهِ وفَضلِهِ، وعَرَّضَ بل صَرَّحَ بشدة حاجته وضَرورَتِهِ وفَقرِهِ ومَسكنتِهِ؛ فهذا المُقتضِي منه، وأوصافُ المَسْئول مُقتَضِي من الله، فاجتمعَ المُقتَضِي من السائل والمُقتَضِي من المَسؤول في الدعاء، فكان أبلغَ وأَلطَفَ مَوقِعًا، وأَتمَّ مَعرِفةً وعُبودِيَّةً.

وأنت ترى في الشاهد -ولله المثل الأعلى- أنَّ الرجلَ إذا توسَّلَ إلى من يريدُ مَعروفَهُ بكرمِهِ وجُودِهِ وبِرِّهِ، وذكرَ حاجتَهُ هو وفقرَهُ ومَسكنتهُ كان أَعطفَ لقلبِ المسؤول، وأَقربَ لقضاءِ حاجته؛ فإذا قال له: (أنت جُودُك قد سارت به الرُّكبان، وفَضلُك كالشمس لا يُنكر) ونحو ذلك، (وقَد بَلغَتْ بي الحاجةُ والضَّرورةُ مَبلغًا لا صَبرَ معه)، ونحو ذلك، كان ذلك أبلغَ في قضاءِ حاجَتِهِ من أن يقولَ ابتداءً: (أعطني كذا وكذا).

فإذا عرفتَ هذا؛ فتأمَّل قولَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائِهِ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

وقول ذي النون عليه السلام في دعائه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقول أبينا آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وفي «الصحيحين» أن أبا بكر الصدِّيق قال: «يا رسول الله عَلِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال: «**قل: اللهم إني ظَلمتُ نفسي ظُلمًا كثيرًا، وإنه لا يَغفرُ الذُّنوبَ إلا أنت، فاغفِر لي مغفرةً من عندك، وارحَمني، إنك أنتَ الغفورُ الرحيمُ**»، فجمعَ في هذا الدعاء الشريفِ العظيمِ القدر بين الاعتراف بحَاله، والتوسُّلِ إلى ربه عز وجل بفضْلِهِ وجُودِه، وأَنهُ المُنفَردُ بغُفران الذُّنوب، ثم سَألَ حاجَتَهُ بعد التوسُّلِ بالأمرين معًا، فهكذا أدبُ الدعاء وآدابُ العبودية.

الفصل الثالث

قراءةُ القرآنِ أفضلُ مِن الذِّكر، والذِّكر أفضلُ مِن الدُّعاء، هذا مِن حيْثُ النَّظَرُ إلى كُلٍّ منهما مُجَردًا.

وقد يَعرضُ للمفْضُولِ ما يجعلُهُ أوْلَى مِنِ الفاضِلِ، بل يُعيِّنهُ، فلا يَجوزُ أن يُعدَلَ عنه إلى الفاضل، وهذا كالتَّسبيحِ في الرُّكوع والسُّجود، فإنَّه أفضلُ مِن قراءة القُرآن فيهما، بل القراءةُ فيهما مَنهيٌّ عنها نَهْيَ تحريمٍ أو كراهةٍ، وكذلك التَّسميعُ والتَّحميدُ في محلِّهما أفضلُ مِن القِراءةِ، وكذلك التَّشهد، وكذلك: (ربِّ اغفر لي، وارحمني، واهْدِني وعافِني، وارْزقِني) بين السَّجدتين أفضلُ مِن القراءةِ، وكذلك الذِّكر عَقِيب السلام من الصَّلاة –ذِكْرُ التَّهليل والتَّسبيح والتَّكبير والتَّحميد– أفضلُ من الاشتِغالِ عنه بالقراءةِ، وكذلك إجابَةُ المؤذِّنِ والقَولُ كما يقولُ أفضلُ من القراءةِ، **وإن كان فضلُ القرآنِ على كلِّ كلامٍ كفَضلِ الله تعالى على خلْقِه**، لكن لكلِّ مقامٍ مَقالٌ، متى فاتَ مَقالُهُ فيه وعُدِلَ عنه إلى غيرِه اختلَّت الحِكمةُ، وفاتت المصلحةُ المطلوبةُ منه.

وهكذا الأذكارُ المُقيَّدة بمَحَالٍّ مخصُوصةٍ أفضلُ من القراءةِ المُطلقة، والقراءةُ المُطلقة أفضلُ من الأذكار المُطلقةِ، اللهمَّ إلا أن يَعرِضَ للعبدِ ما يَجعلُ الذِّكرَ أو الدعاء أنفعُ له من قراءةِ القرآن.

مِثالُه: أن يتفكَّر في ذُنوبِهِ فيُحدِثَ ذلك له توبةً واستغفارًا، أو يَعرِضَ له ما يَخافُ أذاه من شياطين الإنس والجنِّ، فيَعدِلَ إلى الأذكار والدعواتِ التي تُحصِّنهُ وتَحوطُهُ، وكذلك أيضا قد يَعرِضُ للعبد حاجةٌ ضَروريةٌ إذا اشتَغَلَ عن سُؤالِها بقراءةٍ أو ذِكرٍ لم يَحضُر قلبُهُ فيها، وإذا أقبلَ على سُؤالها والدعاءِ لها اجْتمعَ قلبُهُ كلُّهُ على الله تعالى، وأحدثَ له تضرُّعًا وخُشوعًا وابتِهالًا، فهذا قد يكونُ اشتِغالُهُ بالدَّعاء -والحالةُ هذه- أنفَعُ، وإن كان كلٌّ مِن القراءة والذكر أفضلَ وأعظمَ أجرًا .

وهذا بابٌ نافِعٌ يحتاجُ إلى فِقه نَفسٍ، وفُرقانٍ بين فضيلةِ الشيءِ في نفسِهِ وبين فضيلتِهِ العارِضة، فيُعطى كلُّ ذي حقٍّ حقَّهُ، ويُوضَعُ كلُّ شيء موضِعَهُ، فلِلْعَين موضِعٌ، وللرِّجْل موضِعٌ، وللماءِ موضعٌ، وللَّحم موضِعٌ، **وحفظُ المَراتبِ هو مِن تَمام الحِكمةِ التي هي نِظامُ الأمر والنهي**، والله تعالى المُوفق.

وهكذا الصابون والأُشنان أنفعُ للثَّوب في وقتٍ، والتَّجميرُ وماءُ الوردِ أنفعُ له في وقتٍ، وقُلتُ لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يومًا: «سُئلَ بعضُ أهلِ العلم: أَيما أنفعُ للعبدِ التَّسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثَّوبُ نقيًّا فالبَخور وماءُ الوردِ أنفعُ له، وإن كانَ دَنِسًا فالصابون والماءُ الحارُّ أنفعُ له، فقال لي رحمه الله: فكيفَ والثِّيابُ لا تَزال دنِسةً؟!».

ومِن هذا البابِ: أنَّ سُورةَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعدِلُ ثُلُث القرآن، ومعَ هذا فلا تقومُ مقامَ آياتِ المَواريثِ والطلاق والخُلع والعِدَدِ ونَحوِها، بل هذه الآياتِ في وَقتها وعند الحاجةِ إليها أنفعُ من تلاوةِ سُورة الإخلاص.

ولما كانت الصلاةُ مشتملةً على القراءةِ والذِّكر والدعاء، وهي جامِعةٌ لأجزاءِ العُبوديَّة على أتمِّ الوُجوه كانت أَفضلَ مِن كلٍّ: مِن القراءة، والذِّكر، والدعاء بمفرده، لجَمعِها ذلك كله مع عُبوديَّة سائرِ الأَعضاءِ.

فهذا أصلٌ نافعٌ جدًا، يُفتحُ للعبد به بابُ معرفةِ مَراتبِ الأعمالِ وتنزيلِها مَنازِلِها؛ لِئَلا يَشتغِلَ بمفضُولِها عن فاضلِها، فيربحَ عليه إبليسُ الفَضلَ الذي بينهما، أو ينظر إلى فاضلِها، فيشتغِلَ به عن مفضُولِها -وإن كان ذلك وقتُه-، فتفوتُهُ مصلحتُهُ بالكليةِ؛

لظنِّهِ أنَّ اشتغالَهُ بالفاضلِ أكثرُ ثوابًا وأعظمُ أجرًا، وهذا يَحتاج إلى معرفةٍ بمَراتب الأَعمال وتفاوتها ومَقاصِدِها، وفِقهٍ في إعطاء كُلِّ عَمَل منها حَقَّهُ، وتَنزيلِهِ في مرتبتِهِ، وتَفويتِهِ لِمَا هو أهمُّ منه، أو تَفويت ما هو أولى منه وأفضلُ؛ لإمكان تَداركِهِ والعودِ إليه، وهذا المَفضولُ إن فاتَ لا يُمكنُ تَدَاركُهُ، فالاشتِغالُ به أَوْلى، وهذا كتركِ القراءَةِ لِرَدِّ السلام، وتَشمِيت العاطِسِ، وإن كان القرآنُ أفضلَ؛ لأَنه يُمكِنُهُ الاشتغالُ بهذا المَفضولِ والعَودِ إلى الفاضل، بخلاف ما إذا اشتَغَل بالقِراءَةِ فاتتهُ مَصلحَةُ رَدِّ السلام، وتَشمِيت العاطِس، وهكذا سائرُ الأعمالِ إذا تَزاحَمَت، والله تعالى المُوَفِّق.

الفصل الرابع

في الأذكار الـمُوَظَّفة التي لا ينبغي للعبدِ أن يُـخِلَّ بها لشدَّة الحاجة إليها، وعِظَم الانتفاع في الآجل والعاجل بها، وفيه فصولٌ:

الفصلُ الأول: في ذكر طرفيْ النهار

وهما ما بين الصبح وطُلوع الشمس، وما بين العصر والغروب، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ والأَصيلُ : قال الجوهري: «هو الوقتُ بعد العصر إلى المغرب، وجَمعُهُ: أُصُلٌ، وآصالٌ وأصائِلٌ، كأنه جمعُ: أَصِيلَةٍ، قال الشاعر:

لَعَمري لأَنت البيتُ أُكرمُ أَهلَهُ وأَقعدُ في أَفيائِهِ بالأَصائِل

ويُجمَعُ أيضًا على أُصْلَان، مِثل: بَعير وبُعْران، ثم صَغَّروا الجمعَ فقالوا: أُصيْلان، ثم أَبدلوا من النون لامًا، فقالوا: أُصَيلال، قال الشاعر:

وَقَفتُ فيها أُصَيلالًا أُسائِلُها أَعْيَتْ جَوابًا، ومَا بالرَّبعِ مِن أَحَدِ».

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾، **فالإبكارُ**: أوَّلُ النهار، **والعَشِيُّ**: آخره، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾، وهذا تفسيرُ ما جاء في الأحاديث أنَّ: (مَن قال كذا وكذا حين يُصبحُ وحين يُمسي) أنَّ المرادَ

به: قبلَ طُلوع الشمس وقبل غروبها، وأنَّ محلَ هذه الأذكار بعدَ الصُّبح وبعدَ العصر.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**مَن قال حِين يُصبح وحين يُمسي: (سبحان الله وبحمده) مائة مَرَّة لم يأتِ أحدٌ يومَ القيامة بأفضلَ مما جاء به، إلا رجلٌ قال مِثلَ ما قال، أو زاد عليه**».

وفي «صحيحه» أيضًا عن ابن مسعود قال: «كان نبيُّ الله ﷺ إذا أمسى قال: (**أَمسَينا وأَمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله، وَحدَهُ لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، رَبِّ أَسأَلك خيرَ ما في هذه الليلة، وخيرَ ما بعدها، وأَعوذُ بك من شرِّ هذه الليلة، وشرِّ ما بعدها، ربِّ أعوذَ بك من الكَسَلِ وسُوءِ الكِبَر، ربِّ أعوذُ بك من عذابٍ في النار وعذاب في القبر**)، وإذا أَصبحَ قال ذلك أيضًا: (**أصبحنا وأصبحَ المُلك لله**)».

وفي «السنن» عن عبد الله بن خُبيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**قل**، قلتُ: يا رسولَ الله ما أقول؟ قال: **قُل** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، **والمُعَوذتين حين تُمسي وحين تُصبح ثلاث مرات تَكفيكَ مِن كُلِّ شيء**»، قال الترمذيُّ: «حديث حسن صحيح».

وفي «الترمذي» أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يُعلِّم أصحابَهُ يقول: «**إذا أصبحَ أحدُكُم فليقل: (اللهم بك أَصبحنا، وبك أَمسينا، وبك نَحيا، وبك نَموتُ، وإليك النُّشور)، وإذا أَمسى فليقل: (اللهم بك أَمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نَموت، وإليك المَصيرُ**»، قال الترمذيُّ: «حديث حسن صحيح».

وفي «صحيح البخاري» عن شَدَّاد بن أَوس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**سَيِّدُ الاستغفار: (اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدُكَ، وأنا على عَهدِكَ ووَعدكَ ما استَطَعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صَنَعتُ، أَبوءُ لك بنعمَتِكَ عَلَيَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفِر لي، فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت) مَن قالَها حِين يُمسي فمات من لَيلتِهِ دَخَل الجَنَّة، ومَن قالها حين يُصبحُ فمات مِن يَومِهِ دخلَ الجنة**».

وفي «الترمذي» عن أبي هريرة: أن أبا بكر الصدِّيق قال لرسول الله ﷺ: «مُرني بشيءٍ أقولُهُ إذا أَصبحتُ وإذا أَمسيتُ، قال: **قُل: (اللهمَّ عالمَ الغيب والشهادة، فاطرَ السموات**

والأرض، ربَّ كلِّ شيءٍ ومَليكَه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذُ بك من شرِّ نفسي، وشرِّ الشيطان وشِركِه، وأن أقترفَ على نفسي سوءًا أو أَجُرَّهُ إلى مسلم) قُلهُ إذا أَصبحتَ، وإذا أَمسيتَ، وإذا أَخذتَ مَضجِعك)»، قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وفي «الترمذي» أيضًا عن عثمانَ بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن عبدٍ يقول في صَباح كُلِّ يوم ومَساءِ كُلِّ ليلة: (بسم الله الذي لا يَضُرُ مع اسمهِ شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم) - ثلاث مرات - إلا لم يَضُرَّهُ شيءٌ**»، قال الترمذيُّ: «حديث حسن صحيح».

وفيه أيضًا عن ثوبانَ وغيرِه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن قال حِين يُمسي وإذا أَصبحَ: (رَضِيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا) كان حقًّا على الله أن يُرضِيَهُ**»[1]، وقال: «حديث حسن صحيح»[2].

وفي «الترمذي» أيضًا عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن قال حِين يُصبحُ أو يُمسي: (اللهم إني أَصبحتُ أُشهِدكَ وأُشهِدُ حَملةَ عَرشِكَ وملائِكَتكَ وجَميعَ خَلقِكَ أنك أنت اللهُ لا إله إلا أنت، وأن محمدًا عبدُك ورسولُك) أعتقَ الله رُبعَهُ من النار، ومن قالها مَرتين أَعتقَ الله نِصفَهُ من النار، ومن قالها ثلاثًا أعتقَ اللهُ ثلاثةَ أَرباعِهِ من النار، ومن قالها أربعًا أعتقَهُ الله من النار**».

وفي «سنن أبي داود» عن عبد الله بن غَنَّام أن رسول الله ﷺ قال : «**من قال حين يُصبح : (اللهم ما أَصبحَ بي من نِعمةٍ أو بأَحدٍ من خَلقكَ فمِنكَ وَحدَك، لا شريك لك، لك الحمد، والشكر)، فقد أَدَّى شُكرَ يومِهِ، ومن قال مِثلَ ذلك حين يُمسي فقد أَدَّى شكرَ ليلَتِهِ**».

وفي «السنن»، و«صحيح الحاكم» عن عبد الله بن عمر قال: «لم يكن النبيُّ ﷺ يَدَعُ

---

(١) تقدَّم الكلام عليه (ص٥٢).

(٢) نقلَ الحافظُ المنذري والمزِّي والذهبي وابن حجر وغيرهم عبارة الترمذي: «حسنٌ، غريب من هذا الوجه»، وليس عند أحدٍ منهم قوله: «صحيح»، وقد أطال الحافظ ابن حجر في بيان عدم تصحيح الترمذيِّ لهذا الحديث. انظر: «نتائج الأفكار» (٢/ ٣٧١).

هؤلاء الكلمات حين يُمسي وحين يُصبحُ: (اللهم إني أسألكُ العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أَسألكَ العفوَ والعافيةَ في دِيني ودُنياي، وأَهلي ومالي، اللهم استُر عَوراتي، وآمِن رَوعاتي، اللهم احفَظْني مِن بَين يَديَّ، ومِن خَلفي، وعن يميني، وعن شِمالي، ومن فَوقي، وأعوذُ بعظمتك أن أُغتالَ من تَحتي) »، قال وَكيع: «يعني الخَسفَ».

وعن طَلقِ بن حَبيب قال: جاءَ رجلٌ إلى أبي الدرداء فقال: يا أبا الدرداء قد احتَرقَ بيتُكَ! فقال: «ما احترقَ، لم يكنِ اللهُ ليفعلَ ذلك؛ لِكلماتٍ سَمعتُهُنَّ من رسول الله ﷺ، مَن قالها أوَّلَ النهار لم تُصِبهُ مُصيبةٌ حتى يُمسي، ومَن قالها آخرَ النَّهار لم تُصِبهُ مُصيبةٌ حتى يُصبحَ: (**اللهمَّ أنت ربي، لا إله إلا أنت، عليك توكلتُ، وأنت ربُّ العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأْ لم يكُن، لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم، أعلمُ أنَّ اللهَ على كُلِّ شيءٍ قَدير، وأنَّ اللهَ قد أحاطَ بكُلِّ شيءٍ عِلمًا، اللهم إني أعوذُ بك من شَرِّ نفسي، ومن شرِّ كُلِّ دابةٍ ربي آخذٌ بناصِيَتِها، إن ربي على صراطٍ مستقيم**) »، رواه ابنُ السُّني في «عمل اليوم والليلة»[1].

الفصل الثاني: في أذكارِ النوم

وفي «الصَّحيحين» عَن حُذيفةَ قال: «كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ أن ينامَ قال: «**باسمك اللهمَّ أموتُ وأحْيا**»، وإذا استيقظَ مِن منامِه، قال: «**الحمدُ لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النُّشور**».

وفي «الصَّحيحين» أيضًا عن عائشةَ: «**أن النبي ﷺ كان إذا أوَى إلى فراشِه كلَّ ليلةٍ جَمعَ كفَّيه ثم نفَثَ فيهما، يقرأُ فيهما:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، **و**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، **و**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، **ثم يمسَحُ بهما ما استَطاعَ مِن جسدِه، يَبدأُ بهما على رأسِه ووجهِهِ وما أَقبلَ مِن جسدِهِ، يفعلُ ذلك ثلاثَ مرات** ».

وفي «صحيح البُخاري» عن أبي هريرةَ أنه أتاه آتٍ يحثُو من الصَّدقةِ، وكان قد

(١) في إسناده الأغلب بن تميم، قال البخاريُّ فيه: «منكر الحديث»، وقال ابن الجوزي: «**هذا الحديثُ لا يَثبتُ**». انظر: «العلل المتناهية» (٢/ ٣٥١).

جعلَهُ النبي ﷺ عليها، ليلةً بعد ليلةٍ، فلمَّا كان في الليلةِ الثالثة قالَ: «لأرفَعنَّك إلى رسولِ الله ﷺ قال: (دَعني أُعلِّمَك كلماتٍ ينفعَك الله بهنَّ -وكانوا أحرصَ شيءٍ على الخيرِ- فقال: إذا أويتَ إلى فراشِك فاقرَأ آيةَ الكُرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ حتى تختِمَها، فإنه لن يزالَ عليك مِن الله حافظٌ، ولا يقربُك شيطانٌ حتى تُصبحَ)، فقال النبي ﷺ: «**صَدقَك وهو كَذوبٌ**».

وقد روى الإمامُ أحمد نحوَ هذه القصةِ في «مُسنده» أنها جَرت لأبي الدرداءِ، ورواها الطَّبراني في «مُعجمه» أنها جرت لأبيِّ بن كعبٍ.

وفي «الصَّحيحين» عن أبي مسعودٍ الأنصاري، عن النبي ﷺ قال: «**مَن قَرأ بالآيتين من آخرِ سُورة البقرةِ في ليلةٍ كفَتاهُ**»، **الصحيح أنَّ مَعناها**: كفَتاهُ من شرِّ ما يُؤذيه، وقيل: (كفَتاهُ من قيامِ الليل)، وليسَ بشيءٍ، وقال عليُّ بنُ أبي طالب: «ما كنتُ أرَى أحدًا يعقِلُ ينامُ قبلَ أن يقرأَ الآياتِ الثلاث الأواخِر من سُورةِ البقرةِ».

وفي «الصَّحيحين» عن أبي هريرةَ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا قامَ أحدُكم عن فراشِه ثم رجعَ إليه، فليَنفُضهُ بصَنِفَةِ إزارِه**[1] **ثلاث مرات، فإنه لا يَدري ما خلَفَهُ عليه بعده، وإذا اضْطجَعَ فليقُل: (باسمِك اللهمَّ ربي وضَعتُ جَنبي، وبك أرفعُهُ، فإن أمسَكتَ نفسي فارْحَمها، وإن أرسلتَها فاحفَظها بما تَحفَظُ به عبادك الصالحين)**».

وفي «الصَّحيحين» عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إذا استيقَظَ أحدُكم من نومِهِ فليقُل: (الحمد لله الذي عافاني في جَسدي، وردَّ عليَّ رُوحي، وأَذنَ لي بذِكرِه)**».

وقد تقدَّم حديثُ عليٍّ، ووَصِيَّةُ النبيِّ ﷺ له ولفاطمةَ رضي الله عنهما أن يُسبِّحا إذا أخَذا مضاجِعَهما للنَّومِ ثلاثًا وثلاثينَ، ويَحمَدا ثلاثًا وثلاثين، ويكبِّرا أربعًا وثلاثين، وقال: «**هو خَيرٌ لكُما مِن خادِمٍ**».

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: «بَلغنا أنه مَن حافظَ على هذه الكلماتِ لم يأخُذْه إعياءٌ فيما يُعانيه من شُغُلٍ وغيرِه».

---

(١) **صَنِفَةُ الإزار**: بكسر النون، أي: طَرَفُ الإزار.

وفي «سُننِ أبي داود» عن حفصةَ أمِّ المؤمنين: «أنَّ النبي ﷺ كان إذا أرادَ أن يرقُدَ وَضعَ يدَه اليمنى تحتَ خدِّه الأيمن، ثمَّ يقولُ: **(اللهم قِني عذابَكَ يومَ تبعثُ عبادكَ)**، -ثلاث مرات-»، قال التِّرمذي: «حديثٌ حسنٌ».

وفي «صحيح مسلم» عن أنسٍ: «أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشِه قال: **(الحمدُ لله الذي أطعمَنا وسَقانا وكَفانا وآوانا، فكَم مِمَّن لا كافِي له ولا مُؤوِي)** ».

وفي «صحيحه» أيضًا عن ابنِ عُمر أنه أمَر رجلًا إذا أخذَ مَضجِعَه أن يقولَ: «**اللهمَّ أنت خلقتَ نفسِي وأنتَ تتوفَّاها، لكَ مماتُها ومَحياها، إن أحيَيْتَها فاحفَظها، وإن أمتَّها فاغفِر لها، اللهمَّ إني أسألك العافِية**»، قال ابنُ عمر: «سَمعتُهنَّ من رسولِ الله ﷺ».

وفي «الترمذي» عن أبي سعيدٍ الخُدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قالَ حين يَأوي إلى فراشِه: (أستغفرُ اللهَ العظيم الذي لا إله إلا هُو الحَيُّ القَيوم، وأَتوبُ إليه، - ثلاث مرات - غَفر الله له ذُنوبَه، وإن كانت مِثلَ زبَدِ البَحر، وإن كانت عَدد رَملِ عالجٍ، وإن كانت عَددَ أيامِ الدنيا**»[1].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أن النبي ﷺ: «كان إذا أوَى إلى فراشِه قال: **(اللهمَّ ربَّ السمواتِ وربَّ الأرض وربَّ العَرشِ العَظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شَيء، فالِقَ الحبِّ والنَّوى، مُنْزِلَ التَّوراةِ والإنجيل والفُرقان، أعوذُ بك مِن شرِّ كلِّ ذي شرٍّ أنت آخِذٌ بناصِيَتِه أنتَ الأوَّلُ فليسَ قَبلك شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليسَ بعدك شيءٌ، وأنتَ الظَّاهرُ فليسَ فوقَك شيءٌ، وأنتَ الباطِنُ فليسَ دونكَ شيءٌ، اقْضِ عنَّا الدَّيْن وأغنِنا مِن الفَقرِ**».

وفي «الصَّحيحين» عن البَراءِ بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتيتَ مضجِعَك فتوضَأ وُضوءَك للصَّلاة، ثم اضطَجِع على شِقِّكَ الأيمن وقل: (اللهمَّ إني أسلمتُ نفسِي إليكَ، ووجَّهتُ وجهي إليكَ، وفَوضتُ أمري إليكَ، رغبةً ورهبةً إليك،**

---

(١) في إسناده عطية العوفي، وعبيد الله بن الوليد الوُصافي، وكلاهما ضعيفٌ، لذلك قال الترمذيُّ بعده: « هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الوصافي»، وقد صحَّ هذا الذِّكر غيرَ مُقيَّدٍ بحال النوم عن جماعةٍ من الصحابة. انظر: «الصحيحة» رقم: (٢٧٢٧).

لا مَلجأَ ولا مَنجا مِنكَ إلا إليكَ، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ، وبنبيِّك الذي أرسلتَ)، فإن متَّ متَّ على الفطرةِ، واجعلهُنَّ آخِرَ ما تقول» .

الفصل الثالث: في أَذكار الانتِباه من النوم

روى البخاريُّ في «صحيحه» عن عُبادةَ بن الصَّامت عن النبي ﷺ قال: «**من تَعارَّ مِن الليل فقال: (لا إله إلا الله وَحدَهُ لا شَريكَ له، له المُلك، وله الحَمدُ، وهو على كلِّ شيء قديرٌ، الحمد لله، وسُبحان الله، والله أكبَر، ولا حَول ولا قُوة إلا بالله)، ثم قال: (اللهمَّ اغفر لي) أو دعا استُجيبَ له، فإن توضَّأ وصلَّى قُبِلَت صَلاته**».

وفي «الترمذي» عن أبي أُمامةَ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَن أَوَى إلى فراشِهِ طاهِرًا وذَكر الله تعالى حتى يُدرِكَهُ النُّعاسُ لم يَنقلِبْ ساعةً من الليل يسأَلُ الله تعالى فيها خيرًا من خيرِ الدنيا والآخرة إلا أعطاهُ إياه**»، حديثٌ حسن.

وفي «سُنن أبي داود» عن عائشةَ أن رسولَ الله ﷺ كان إذا استَيقظَ من الليل قال: «**لا إله إلا أنت سُبحانك، اللهم أَستغفركُ لذنبي، وأَسأَلك رحمتك، اللهم زِدني عِلمًا، ولا تُزِغ قَلبي بعدَ إِذ هَدَيتني، وَهَب لي من لَدنك رحمةً، إنك أنت الوهاب**»[1].

الفصلُ الرابع: في أَذكار الفَزَع في النَّوم والقَلَق

روى الترمذيُّ عن بريدة قال: شكا خالدُ بن الوليد إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما أنامُ الليلَ من الأَرقِ، فقال النبيُّ ﷺ: «**إذا أَوَيتَ إلى فراشك فقل: (اللهم ربَّ السموات السَّبْع وما أَظَلَّت، وربَّ الأرضين وما أَقلَّتْ، وربَّ الشياطين وما أَضَلَّتْ، كُن لي جارًا من شَرِّ خلقِك كُلِّهم جميعًا؛ أن يَفرُطَ عليَّ أحدٌ منهم، أو يَبغيَ عليَّ، عزَّ جارك، وجَلَّ ثناؤُكَ، ولا إله غيرك، ولا إله إلا أنت)** »[2].

وفي «سنن أبي داود» و«الترمذي» عن عبد الله بن عمرو أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُعلِّمُهم مِن الفَزَع كلمات: «**أعوذُ بكلمات الله التامَّة من غَضَبِهِ وعِقابِهِ، وشَرِّ عبادِهِ، ومن**

(١) تفرَّد به عبدُ الله بن الوليد، وقد قال فيه الدارقطني: «لا يُعتبر به».

(٢) قال الترمذيُّ بعد إيراده الحديث: «ليس إسناده بالقوي، والحكمُ بن ظَهير قد تركَ حديثَهُ بعضُ أهل الحديث».

هَمَزات الشياطين، وأن يَحضُرُون»، وكان عبدُ الله بن عمرو يُعلِّمُهن مَن عَقَلَ من بَنيهِ، ومَن لم يَعقِل كَتَبهُ وعلَّقهُ عليه[1].

الفصل الخامس: في أذكار من رَأى رُؤيا يكرَهها أو يُحِبُّها

في «الصحيحين» عن أبي قتادة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**الرُّؤيا من الله والحُلمُ من الشيطان، فإذا رَأى أحدُكُم الشيءَ يكرَهُهُ فليَنْفُثْ عن يَساره ثلاثَ مرات إذا استيقظ، وَليَتَعوَّذْ بالله من شرِّها فإنها لن تَضُرَّهُ إن شاء الله**»، قال أبو قتادة: «كنتُ أرى الرؤيا تُمرِضُني حتى سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**الرؤيا الصالحةُ من الله، فإذا رَأى أحدُكُمُ ما يُحِبُّ فلا يُحدِّث به إلا مَن يُحِبُّ، وإذا رأى ما يَكرهُهُ فلا يُحدِّث به، وليَتفُلْ عن يسارِه وليَتَعوَّذْ بالله من الشيطان الرجيم، ومِن شرِّ ما رأى فإنها لن تَضرَّهُ**».

وفي «صحيح مسلم» عن جابر، عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأى أحدُكُم الرؤيا يَكرهُها فليَبْصُقْ عن يَسَاره ثلاث مرات، وَليستَعِذْ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليَتَحوَّل عن جَنبِهِ الذي كان عليه**».

ويُذكرُ عن النبيِّ ﷺ أنَّ رجلًا قَصَّ عليه رُؤيا فقال: «**خيرًا رَأيتَ، وخيرًا يَكونُ**»، وفي رواية: «**خيرًا تلقاهُ، وشَرًّا تُوقاه، خيرًا لنا، وشرًّا على أعدائنا، والحمد لله رب العالمين**»[2].

---

(١) في إسناده محمد بن إسحاق المدني، وهو مُدلِّسٌ، وقد عنعنَ في هذا الحديث، لكن للحديث المرفوع شاهدٌ مُرسَلٌ من حديث الوليد بن الوليد بن المغيرة، فيتقوَّى به، وأما فعل عبد الله بن عمرو الموقوف فلا يصحُّ للعلَّة المتقدِّمة، وقد اختَلَفَ أهل العلم في جواز تعليق التمائم من القرآن، **والأظهرُ هو تحريمُها مُطلقًا** –من القرآن كانت أو من غيره– لأربعة أمور: (أ) نهيُ النبيِّ ﷺ عن تعليق التمائم في قوله: «**من تعلَّق تميمةً فقد أشرك**» وغيره من النصوص التي تمنع تعليق التمائم، وهي عامَّة لما كان من القرآن وغيره. (ب) ومن تتبَّع أذكار النبيِّ ﷺ وتعويذاته كلَّها لن يجدَ فيها أبدًا الأمر بتعليق شيءٍ من التمائم رغم سهولتها والأمن من نسيانها، بل جميع ما ورد في هذه الأبواب مُقيَّدٌ بالقراءة والقَول، وهذا دليلٌ على حُرمة تعليق التمائم. (ج) ولأن في تعليقها ذريعَةٌ لتعليق التمائم المحرَّمة، فكان الواجب سدَّ هذا الباب لعدم روجان المُتَّفق على منعِهِ. (د) ولأن القولَ بمنعِ تعليق التمائم مطلقًا هو الثابتُ عن الصحابة ﷺ فقد قال به: ابن مسعود، وابن عباس، وحُذيفة، وعقبة بن عامر، وغيرهم، ولم يثبت عن غيرهم خلافُهُ، وهو قول جمهور أهل العلم من التابعين ومن بعدهم، والله أعلم.

(٢) أشار المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «ويُذكَر» إلى وهنِ إسنادِ الحديثين، فالحديثُ الأول في إسناده: محمد بن عبيد الله

الفصل السادس: في أذكار الخروج من المنزل

في «السنن» عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قال-يعني إذا خرجَ من بيته- (بسم الله، توكَّلتُ على الله، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله)، يقال له: كُفيتَ وهُدِيتَ ووُقِيتَ، وتَنحَّى عنه الشيطان، فيقولُ لشيطان آخر: (كيف لك برجلٍ قد كُفِيَ وهُدِيَ ووُقِيَ)**».

وفي «مسند الإمام أحمد»: «**بسم الله، آمنتُ بالله، واعتَصَمتُ بالله، توكَّلتُ على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله**»، حديثٌ حسن[1].

وفي «السنن الأربع» عن أم سلمة قالت: ما خَرجَ رسول الله ﷺ من بيتي إلا رَفَعَ طَرْفَهُ إلى السماء فقال: «**اللهم إني أعوذُ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ أو أَظلِمَ أو أُظْلَم أو أَجْهَل أو يُجْهَلُ عَليَّ**»، قال الترمذيُّ: «حديث حسن صحيح».

الفصل السابع: في أذكارِ دخولِ المنزل

وفي «صحيح مسلم» عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا دخلَ الرَّجلُ بيتَهُ فذكرَ الله تعالى عند دُخولهِ وعند طَعامهِ قال الشيطان: (لا مَبيتَ لكم ولا عشاء)، وإذا دَخلَ فلم يَذكر الله تعالى عند دُخولهِ قال الشيطان: (أَدركتُم المَبيتَ)، فإذا لم يَذكر الله تعالى عند طَعامِهِ قال: (أدركتم المَبِيتَ والعشاء)**».

وفي «سنن أبي داود» عن أبي مالك الأَشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا وَلَجَ الرجلُ بيتَهُ فليقُل: (اللهم إني أسألُكَ خيرَ المَوْلِج، وخيرَ المَخْرَج، بسمِ الله وَلَجْنا، وبسمِ الله خَرَجنا، وعلى الله ربِّنا توكلنا)، ثمَّ لُيسَلِّم على أهلِهِ**»[2].

وفي «الترمذي» عن أنس قال لي رسول الله ﷺ: «**يا بُنيَّ إذا دَخلتَ على أَهلِكَ فسَلِّم؛**

العرزمي، وهو مُجمَعٌ على تركِهِ كما قال الحاكم النيسابوري، والحديث الثاني قال فيه ابن السكن: «حديث منكر»، وقال الحافظ ابن حجر «سنده ضعيفٌ جدًّا». انظر: «نتائج الأفكار» (٣/ ١٣٢).

(١) قال الحافظ ابن حجر كما في «الفتوحات الربَّانية» (٥/ ١١١): «حديثٌ غريبٌ، رواتهُ موثوقون إلا الراوي عن عثمان فمبهمٌ لم يُسمَّ» لكن له شواهد عن عدد من الصحابةِ منها حديث أنس الذي قبله، فلعلَّ المصنِّفَ حسَّنه لأجلها.

(٢) في سندِهِ انقطاعٌ بين أبي مالك الأشعري والراوي عنه. انظر: المراسيل لابن أبي حاتم (ص٩٠) والضعيفة (٥٨٣٢).

يَكُن بَركةً عليك، وعلى أهلِ بَيتك»[1]، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»[2].

الفصل الثامن: في أَذكارِ دُخولِ المَسجد والخُروجِ منه

في «صحيح مسلم» عن أبي حُمَيد -أو أبي أُسَيد- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دَخَلَ أحدُكُم إلى مَسجدٍ فلْيُسَلِّم على النبيِّ ﷺ وليَقُل: (اللهمَّ افتَحْ لي أبوابَ رَحمَتِك)، وإذا خَرجَ فليَقُل: (اللهمَّ إني أسألك من فَضْلِك)** ».

وفي «سنن أبي داود» عن عبد الله بن عمرو، عن النبيِّ ﷺ : «أنه كان إذا دَخَلَ المَسجد قال: **(أعوذُ بالله العَظيم، وبوَجْهِهِ الكريم، وسُلْطانِهِ القَديم، مِن الشيطان الرَّجيم)، قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: (حُفِظَ مِنِّي سائرَ اليوم)** ».

الفصل التاسع: في أذكار الأذان

في «الصحيحين» عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سَمِعتُم النِّداءَ فقولوا مِثلَ ما يَقولُ المُؤَذِّن**».

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو أنه سَمِعَ رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سَمِعتُم المُؤَذِّنَ فقولوا مِثلَ ما يقول، ثم صَلُّوا عليَّ، فإنَّ من صَلَّى عليَّ صلاةً صَلَّى اللهُ عليه بها عشرًا، ثم سَلُوا اللهَ ليَ الوَسِيلةَ، فإنها مَنزِلةٌ في الجنة لا تَنبغِي إلا لعبدٍ من عِباد الله، وأَرجو أن أَكونَ أنا هو، فمَن سأَلَ ليَ الوَسِيلةَ حَلَّتْ له الشَّفاعة**».

وفي «صحيح مسلم» عن عُمرَ بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قال المُؤَذِّنُ: (الله أكبرُ، الله أكبرُ) فقال أحدُكُم: (الله أكبرُ، الله أكبرُ)، ثم قال: (أشهدُ أن لا إله إلا الله) فقال: (أشهدُ أن لا إله إلا الله)، ثم قال: (أشهدُ أن محمدًا رسولُ الله) قال: (أشهدُ أن محمدًا رسولُ الله)، ثم قال: (حَيَّ على الصلاة) قال: (لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله)، ثمَّ قال: (حَيَّ على الفلاح) قال: (لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله)، ثم قال: (الله أكبرُ، الله أكبرُ) قال: (الله أكبرُ، الله أكبرُ)، ثم قال: (لا إله إلا الله) قال: (لا إله إلا الله)، مِن قَلبِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ**».

---

(١) قال العُقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ١٤٨): «ليسَ لهذا المتن عن أنس إسنادٌ صحيحٌ».

(٢) بيَّن الحافظ ابن حجر في «النتائج» (١/ ١٦٨) أنَّ الثابت عن الترمذيِّ قوله: «حسنٌ غريب» دون قوله: «صحيح».

وفي «صحيح البخاري» عن جابر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَن قال حين يَسمَعُ النِّداءَ: (اللهمَّ رَبَّ هذه الدَّعوةِ التَّامَّة، والصلاةِ القائِمة، آتِ محمدًا الوَسيلةَ والفَضِيلةَ، وابْعَثْهُ مَقامًا مَحمودًا الذي وَعَدتَهُ) حَلَّتْ له شَفاعتي يومَ القيامة**».

وفي «سُنن أبي داود» عن عبد الله بن عمرو قال: يا رسولَ الله إنَّ المُؤَذِّنين يَفْضُلوننا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**قُل كما يَقولون فإذا انتَهَيتَ فَسَلْ تُعْطَه**».

وفي «الترمذي» عن أنس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يُردُّ الدُّعاءُ بينَ الأذان والإقامة**»، قالوا: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال: «**سَلُوا اللهَ العافيةَ في الدنيا والآخرة**»[1]، قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»[2].

وفي «سنن أبي داود» عن سَهلِ بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثِنتان لا تُرَدَّان -أو: قَلَّمَا تُرَدان-: الدُّعاءُ عند النداء، وعِندَ البأس؛ حِينَ يُلْحِم بَعضُهم بَعضًا**».

وفي «سنن أبي داود» عن أم سلمة قالت: عَلَّمني رسولُ الله ﷺ أن أقولَ عند المَغربِ: «**اللهمَّ هذا إقبالُ لَيلِكَ، وإدْبارُ نَهارِك، وأَصوات دُعَاتِك، وحُضُور صَلَواتِكَ، فاغفِرْ لي**»[3].

وفي «سنن أبي داود» عن بعضِ أصحاب النبي ﷺ: أنَّ بِلالًا أَخَذَ في الإقامة، فَلَمَّا أَن قال: (قد قامَتِ الصلاةُ) قال النبي ﷺ: «**أَقامَها اللهُ وأَدامها**»[4].

فهذه خمس سنن في الأذان:

- إِجابتُهُ.

---

(١) وأخرجَ الترمذيُّ بعدَه الحديثَ نفسَهُ دون الزيادة الأخير: «قالوا: فماذا نقول ...» وقال: «هذا أصحُّ»، لأنَّه تفرَّد بها يحيى بن اليمان وهو ضعيفُ الحديث، فالحديثُ ثابتٌ بدون الزيادة المذكورة، والله أعلم.

(٢) بيَّن الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ٣٦٤) أنَّ الثابت عن الترمذيِّ قوله: «حسنٌ» دون قوله: «صحيح».

(٣) في إسناده راوٍ مجهول، لذا قال الترمذيُّ بعد إخراجه الحديث: «هذا حديثٌ غريب، إنَّما نعرفهُ من هذا الوجه، وحفصةُ بنت أبي كثير لا نعرفها ولا أباها».

(٤) قال الحافظ النووي: «حديث ضعيف لأن الرجل مجهول ومحمد بن ثابت العبدي ضعيف بالاتفاق، وشَهْرٌ مُختَلَف في عدالته»، وكذا ضعَّفه الحافظ ابن حجر. انظر: «المجموع» (١/ ١٢٢)، و «تلخيص الحبير» (١/ ٢٢٢).

- وقول: «رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّد ﷺ رسولًا»، حين يسمَعُ التشهُّد.
- وسؤَالُ الله تعالى لرسوله ﷺ الوَسِيلةَ والفَضِيلةَ.
- والصلاةُ عليه ﷺ.
- والدُّعاءُ لِنفسِهِ ما شاء.

وعن سَعد بن أبي وقَّاص، عن رسول الله ﷺ قال: «**مَن قال حِين يَسمعُ المُؤَذِّن: (وأنا أَشهدُ أن لا إله إلا الله وَحدَهُ لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، رَضِيتُ بالله رَبًّا، وبالإسلام دِينًا، وبمحمد ﷺ رَسولًا)، غَفَر اللهُ ذنوبَه**».

الفصل العاشر: في أذكار الاستفتاح

وفي «الصَّحيحين» أن النبيَّ ﷺ كان يقولُ في استِفتاحِه: «**اللهمَّ باعِد بيني وبين خَطاياي، كما باعَدتَ بين المَشرقِ والمَغرب، اللهمَّ نقِّني مِن خَطاياي كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ مِن الدَّنسِ، اللهمَّ اغسِلني مِن خَطاياي بالماءِ والثَّلج والبردِ**».

وفي «سُنن أبي داود» عن جُبير بن مُطعِم: «أنه رَأى رسولَ الله ﷺ قال: (**الله أكبرُ كبيرًا، والحمدُ لله كثيرًا، وسُبحان الله بكرةً وأصيلًا -ثلاثًا- أعوذُ بالله مِن الشَّيطانِ الرَّجيم، مِن نَفخِه ونَفثِه وهَمزِه**»، قال: «**نفثُه**: الشِّعر، **ونَفخُه**: الكِبر، **وهَمزُه**: المَوتة»[1].

وفي «السُّنن الأربعة» عن عائشةَ، وأبي سَعيدٍ، وغيرِهما: «أن النبي ﷺ كان إذا استَفتَح الصلاةَ قال: (**سُبحانك اللهمَّ وبحَمدِك، وتَبارَك اسمُك، وتعالى جَدُّك، ولا إله غيرُك**)»، وهو في «صحيح مسلم» عن عمرَ مَوقوفٌ عليه.

وفي «صحيح مسلم» عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاةِ قال: «**وجَّهتُ وجهي للذي فَطرَ السمواتِ والأرضَ حنيفًا، وما أنا من المُشركين، إنَّ صلاتي ونُسكِي ومَحيايَ ومَماتي لله ربِّ العالمين لا شريكَ له، وبذلك**

(١) في إسنادِه عاصم العنزي وهو مجهولٌ، وقد اختُلِفَ في اسمه كثيرًا، لكن لبعضِ ألفاظ الحديث شواهد عن عدد من الصحابة. انظر: «الإرواء» (٢/ ٥٤).

أمِرتُ وأنا مِن المسلمين، اللهمَّ أنت المَلك لا إله إلا أنت، أنتَ ربي وأنا عبدُك، ظلمتُ نفسي، واعترَفتُ بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفِرُ الذنوبَ إلا أنتَ، واهدِني لأحسنِ الأخلاقِ لا يهدِي لأحسَنِها إلا أنت، واصرف عني سيِّئَها لا يَصرِفُ سيِّئَها إلا أنتَ، لبَّيكَ وسَعديك، والخيرُ كلُّه في يديك، والشرُّ ليسَ إليكَ، أنا بك وإليكَ، تباركتَ وتَعَالَيتَ، أستغفرُك وأتوبُ إليك)، وكان إذا رَكعَ يقول في رُكُوعِه: (اللهمَّ لك ركَعتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، خشعَ لكَ سَمعي وبَصري ومُخِّي وعَظمي وعَصبي)، وإذا رفعَ رأسَه مِن الركوعِ، يقول: (سَمِعَ الله لمَن حمِده، ربنا ولكَ الحمدُ مِلءَ السمواتِ، ومِلءَ الأرضِ، ومِلءَ ما بينَهما، ومِلءَ ما شِئتَ من شيءٍ بَعْد)، وإذا سَجدَ يقول في سُجودِه: (اللهمَّ لك سجدتُ وبكَ آمنتُ، ولكَ أسلمتُ، سجدَ وجهي للذي خلقَهُ وصوَّرهُ، وشقَّ سمعَهُ وبصرَهُ، تبارَك الله أحسنُ الخالِقين)، وكان آخرُ ما يقول بين التَّشهد والتَّسليم: (اللهمَّ اغفر لي ما قدَّمتُ، وما أخَّرتُ، وما أسررتُ، وما أعلنتُ، وما أسْرفتُ، وما أنتَ أعلمُ به مِني، أنتَ المُقدِّم وأنت المُؤخِّر، لا إله إلا أنت)».

وفي «صحيح مسلم» عن عائشةَ: «كان رسول الله ﷺ يَفتَتِحُ صلاتَهُ إذا قامَ من الليل: (اللهمَّ ربَّ جبريلَ وميكائيلَ إسرافيلَ، فاطِرَ السمواتِ والأرضِ، عالِمَ الغَيب والشَّهادةِ، أنتَ تَحكمُ بين عِبادك فيما كانوا فيه يختَلفون، اهدِني لما اخْتُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنك، إنك تهدي مَن تشاءُ إلى صراطٍ مُستقيمٍ)».

وفي «الصَّحيحين» عن ابن عباسٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ يقولُ إذا قامَ إلى الصلاة من جَوْفِ اللَّيل: (اللهمَّ لكَ الحمدُ، أنتَ نورُ السمواتِ والأرضِ ومَن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ أنت قيَّام السمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ أنتَ ربُّ السمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ أنتَ الحقُّ، ووعدُكَ الحقُّ، وقَولُكَ الحقُّ، ولِقاؤك حقٌّ، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، والنبيُّون حقٌّ، ومُحمدٌ ﷺ حقٌّ، والساعة حقٌّ، اللهم لك أسلمتُ، وبكَ آمنتُ، وعليكَ توكلتُ، وإليكَ أنبتُ، وبك خاصَمتُ، وإليك حاكمتُ، فاغفِر لي ما قدَّمتُ، وما أخَّرتُ، وما أسررتُ، وما أعلنتُ، أنتَ إلهي لا إله إلا أنتَ).

الفصل الحادي عشر: في ذكرِ الركوعِ والسُّجود، والفَصلِ بينهما وبينَ السَّجدتين.

في «السُّنن الأربعة» عن حُذيفة ﷺ أنه سَمع رسولَ الله ﷺ يقولُ إذا ركعَ: (**سُبحانَ ربي العَظيم**) ثلاث مرات، وإذا سجدَ قال: (**سبحان ربي الأعلى**) ثلاث مرات.

وفيه حديث عليٍّ ﷺ، وقد سبقَ في الفصلِ قبلَه بطولِه.

وفي «الصَّحيحين» عن عائشةَ ﷺ قالت: «كان رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ أن يقولَ في رُكوعِه وسُجودِه: (**سُبحانك اللهمَّ ربنا وبحمدِك، اللهمَّ اغفر لي**)».

وفي «صحيح مسلم» عنها ﷺ: «كان رسولُ الله ﷺ يقول في ركوعِه وسجودِه: (**سُبوحٌ، قُدُّوسٌ، ربُّ الملائكةِ والرُّوح**)».

وفي «سُنن أبي داود» عن عوفِ بن مالكٍ ﷺ: «أنَّ النبي ﷺ كان يقولُ في ركوعِه وسجودِه: (**سُبحانَ ذي الجَبرُوتِ، والمَلكُوتِ، والكِبرياءِ، والعظمَةِ**)».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي سعيدٍ ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا رفعَ رأسَه من الركوعِ قال: (**اللهمَّ ربنا لك الحمدُ، مِلءَ السمواتِ ومِلءَ الأرضِ، ومِلءَ ما بينَهما، ومِلءَ ما شِئتَ مِن شيءٍ بعْدُ، أهلَ الثَّناءِ والمَجدِ، أحقُّ ما قالَ العبدُ، وكلُّنا لكَ عبدٌ، اللهمَّ لا مانعَ لما أَعطيتَ، ولا مُعطي لما مَنعتَ، ولا يَنفعُ ذا الجَدِّ مِنك الجَدُّ**)».

وفي «صحيح البخاري» عن رِفاعةَ بنِ رافعٍ ﷺ قال: «كنا نُصلِّي يومًا وراءَ النبي ﷺ، فلمَّا رفعَ رأسَه من الرَّكعةِ قال: (**سمِعَ الله لمَن حمدَه**)، فقالَ رجلٌ وراءَهُ: (ربنا ولكَ الحمدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مُباركًا فيه)، فلمَّا انصرفَ قال: (**مَن المُتكلِّم؟**) قال: (أنا يا رسول الله)، قال: (**لقد رأيتُ بضعَةً وثلاثين ملَكًا يَبْتَدِرُونَها أَيُهُم يَكتُبُها أوَّلُ**)».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرةَ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ، فأكثِرُوا الدعاءَ**».

وعنه ﷺ: «أن رسولَ الله ﷺ كان يقولُ في سجودِه: (**اللهمَّ اغفِر لي ذَنبي كلَّه، دِقَّهُ وجِلَّهُ، وأَوَّلَهُ وآخرَهُ، وعَلانِيتَهُ وسِرَّهُ**)».

وقالت عائشةُ ﵂: «افتقدتُ النبيَّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ، فالتَمَسْتُه، فوقعَت يدي على بطنِ قَدميه، وهو في المسجدِ، وهما مَنصوبتان، وهو يقولُ: (**اللهمَّ إني أعوذُ برضاكَ مِن سَخَطِك، وبمُعافاتِك من عُقوبَتِك، وأعوذُ بك مِنك، لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أَثنيتَ على نفسِك**)»، روى مسلمٌ هذه الأحاديث.

وفي «سنن أبي داود» عن ابن عباس ﵄ قالَ: «كان رسولُ الله ﷺ يقولُ بين السَّجدتينِ: (**اللهم اغفِر لي، وارحَمني، واهدِني، واجبُرني، وعافِني، وارزُقني**)»[1].

وفي «السُّنن» أيضًا عن حُذيفةَ ﵁: «أن رسولَ الله ﷺ كان يقولُ بين السَّجدتين: (**ربِّ اغفر لي، ربِّ اغفر لي**)».

الفصل الثاني عشر: في أدعيةِ الصَّلاةِ بعدَ التَّشهد

في «الصَّحيحين» عن أبي هريرةَ قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا فرغَ أحدُكم مِن التَّشهدِ، فليتعوَّذْ بالله مِن أربعٍ: مِن عذابِ القَبر، ومِن عذابِ جهنَّم، ومِن فِتنةِ المَحيا والمماتِ، ومِن شرِّ فِتنة المَسيحِ الدَّجال**».

وفيهما أيضًا عن عائشةَ ﵂: «أن النبي ﷺ كان يدعُو في الصَّلاةِ: (**اللهمَّ إني أعُوذُ بك مِن عَذابِ القبر، وأعوذُ بك من فتنةِ المَسيح الدَّجالِ، وأعوذُ بك مِن فتنةِ المَحيا والمَماتِ، اللهمَّ إني أعوذُ بك من المَأثَمِ والمَغرَم**)، فقال له قائلٌ: (ما أكثرَ ما تَستعيذُ من المَغرم؟!)، فقال: (**إن الرَّجلَ إذا غَرِمَ حَدَّثَ فكَذَبَ ووعَدَ فأخلَفَ**)».

وقد تقدَّم في «الصحيحين» أنَّ أبا بكرٍ الصَّديق ﵁ قال لرسولِ الله ﷺ: «عَلِّمني دعاءً أدعُو به في صَلاتي، فقال: (**قُل: اللهمَّ إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفِرُ الذنوبَ إلا أنتَ، فاغفِر لي مغفرةً مِن عندِك، وارحَمني إنَّك أنتَ الغفورُ الرَّحيم**).

وفي «صَحيح مسلمٍ» من حديث عليٍّ ﵁ في صفةِ صلاةِ رسول الله ﷺ وقد تقدَّم بطُولِه في الفَصلِ العاشِر.

---

(١) تفرَّدَ بهذا الدعاء في حديث ابن عباس: كامل أبو العلاء وقد ضعَّفَهُ جماعةٌ من المحدثين، فمثلُهُ لا يحتمل تفرُّده بهذه الزيادة عن بقية من روى حديثَ ابن عبَّاس، وهذا الدعاء ثابتٌ في «صحيح مسلم» دون تقييده بما بين السجدتين.

وفي «سُنن أبي داود»: «أن النبي ﷺ قال لرجُلٍ: (**كيف تقولُ في الصَّلاةِ؟**)، قال: أَتشهَّدُ، وأقولُ: (اللهم إني أسألُك الجنَّة، وأعوذُ بك من النارِ، أَما إني لا أُحسِنُ دَنْدَنَتَك ولا دَنْدَنَةَ مُعاذ)، فقال النبي ﷺ: (**حولَها نُدَنْدِن**)».

وفي «المسند»، و«السُّنن» عن شدَّاد بن أوْسٍ رضي الله عنه: «أنَّ رسول الله ﷺ كان يقولُ في صلاتِه: (**اللهمَّ إني أسألك الثَّباتَ في الأمرِ، والعَزيمةَ على الرُّشدِ، وأسألُك شُكرَ نِعمَتك، وحُسنَ عبادتِك، وأسألك قلبًا سلِيمًا، ولسانًا صادقًا، وأَسألكَ مِن خَيرِ ما تعلَمُ، وأعوذُ بك من شرِّ ما تعلَمُ، وأستغفِرُك لما تعلَمُ، إنك أنتَ علَّام الغُيوبِ**)»[1].

وفي «سُنن النسائي»: أنَّ عمَّارَ بن ياسرٍ صلَّى صلاةً ودَعا فيها بدعواتٍ، وقال: «سَمِعْتُهنَّ من رسولِ الله ﷺ: (**اللهمَّ بعلمِك الغَيبَ، وقُدرتِك على الخَلقِ، أَحْيني إذا علِمتَ الحياةَ خيرًا لي، وتوَفَّني إذا علِمتَ الوفاةَ خيرًا لي، إني أسألك خَشيتَك في الغيبِ والشَّهادة، وأسألُك كلمةَ الحقِّ في الغَضبِ والرِّضا، وأسأَلك القَصدَ في الفقرِ والغِنى، وأسألك نعيمًا لا ينفَدُ، وأسألك قُرَّةَ عينٍ لا تَنقطِعُ، وأسألك الرِّضى بعدَ القَضاءِ، وأسألك بَردَ العَيشِ بعدَ المَوتِ، وأسألك لـذَّةَ النظرِ إلى وجهِك، والشَّوقَ إلى لِقائكَ في غَيرِ ضرَّاءَ مُضَرَّةٍ، ولا فِتنةٍ مُضلَّةٍ، اللهمَّ زينَّا بزينةِ الإيمانِ، واجعلنا هُداةً مُهتدِين**)».

الفصل الثالث عشر: في الأذْكارِ المَشرُوعةِ بعدَ السَّلامِ، وهو إدْبار السُّجود

وفي «صَحيح مسلم» عن ثَوبانَ رضي الله عنه قال: «كان رسولُ الله ﷺ إذا انصَرفَ مِن صلاتِه استغفرَ ثلاثًا، وقال: (**اللهمَّ أنتَ السَّلامُ، ومنك السَّلام، تبارَكت يا ذا الجَلالِ والإكرامِ**)».

وفي «الصحيحين» عن المُغيرةِ بن شُعبةَ: «أن رسولَ الله ﷺ كان إذا فَرغَ من الصلاةِ قال: (**لا إله إلا الله وحدُه لا شَريكَ له، له المُلكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، اللهمَّ لا مانِعَ لما أعطَيتَ، ولا مُعطيَ لما منعْتَ، ولا يَنفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ**)».

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن الزُّبير رضي الله عنهما: «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُهَلِّلُ دُبرَ

---

(١) في إسنادِه راوٍ مجهولٌ، وقد رُوي هذا الدعاءُ بإسنادٍ صحيحٍ لكن دون تقييده بالصلاة. انظر: «الصحيحة» (٣٢٢٨).

كل صلاةٍ حينَ يُسلِّمُ بهؤلاءِ الكلماتِ: (**لا إله إلا الله وحدُه لا شريكَ له، له المُلك، وله الحمدُ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ، لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبدُ إلا إياه، له النِّعمةُ وله الفضلُ وله الثَّناءُ الحَسَنُ، لا إله إلا الله مُخلصينَ له الدِّينَ ولو كَرِه الكافرُون**)».

وفي «صحيحِ مسلم» عن أبي هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «**من سبَّحَ لله في دُبرِ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثينَ، وكبَّرَ الله ثلاثًا وثلاثينَ، وحمِدَ الله ثلاثًا وثلاثينَ، وقال تَمامَ المائة: لا إله إلا الله وحدُه لا شريكَ له، له المُلك، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، غُفِرَت خَطاياه، وإن كانت مِثلَ زَبدِ البحرِ**».

وفي «السنن» عن عبدِ الله بن عَمرو، عن النبي ﷺ قال: «**خَصْلَتان – أو: خَلَّتان – لا يحافِظُ عليهما عبدٌ مسلمٌ إلا دخلَ الجنةَ، هُما يسيرٌ، ومَن يَعملُ بهما قليلٌ: يُسبِّح الله في دُبرِ كلِّ صلاةٍ عشرًا، ويحمدُهُ عشرًا، ويُكبِّرُهُ عشرًا، فذلك خَمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزانِ، ويُكبِّرُ أربعًا وثلاثين إذا أخذَ مَضجَعَهُ، ويَحمدُ ثلاثًا وثلاثين، ويُسبِّح ثلاثًا وثلاثين، فذلك مائة باللسانِ وألف في الميزانِ**، –قال: ولقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَعقدُها بيده– قالوا: (يا رسول الله، كيفَ هُما يسيرٌ، ومن يَعملُ بهما قليلٌ؟) قال: (**يأتي أحدَكُم –يعني: الشَّيطان– في منامِهِ فيُنَوِّمُه قبلَ أن يقولَه، ويأتيه في صلاتِه، فيُذكِّرَه حاجتَهُ قبل أن يقولَها**)».

وفي «السنن» عن عقبةَ بن عامرٍ قال: «أَمرني رسولُ الله ﷺ أن أقرأَ بالمُعوِّذَتينِ دُبرَ كلِّ صلاةٍ».

وفي «النسائي الكبير» عن أبي أُمامة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قَرأَ آيةَ الكُرسيِّ عَقِبَ كلِّ صلاةٍ، لم يَمنعْه مِن دُخولِ الجنةِ إلا أن يَموتَ»، يعني: لم يكُن بينَهُ وبينَ دُخول الجنةِ إلا الموت.

وبلغني عن شيخ الإسلام ابن تيمية قال: ما تركتُهُ عَقيب كلِّ صلاة إلا نسيانًا، أو نحوه.

قلتُ: وقد بالغَ أبو الفرج ابن الجوزي في إدخاله هذا الحديث في «الموضوعات»، وقال شيخُنا أبو الحجاج المزِّي رَحِمَهُ اللهُ: «إسنادُهُ على شرط البخاري».

الفصل الرابع عشر: في ذكر التشَهُّدِ

ثبتَ في «الصحيحين» عن عبد الله بن مَسعود قال: «عَلَّمَني رسولُ الله ﷺ التشهُّدَ -وَكَفِّي بينَ كَفَّيهِ- كما يُعلِّمُني السورةَ من القرآن: **(التحيَّاتُ لله والصلواتُ والطَّيبات، السلامُ عليكَ أيها النبيُّ، ورحمةُ الله وبركاتهُ، السلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله)** ».

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عباس قال: «كان رسولُ الله ﷺ يُعلِّمُنا التشهدَ كما يُعلِّمُنا السورة من القرآن، وكان يقول: **(التحياتُ المُباركات، الصَّلوات الطيِّبات لله، السلامُ عليك أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاته، السلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن محمدًا رسولُ الله)** ».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي موسى أنَّ النبيَّ ﷺ عَلَّمَهم التشهُّدَ: «**التحياتُ الطيِّبات، الصلوات لله، السلامُ عليك أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتهُ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُهُ**».

وروى أبو داود عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله ﷺ في التشهُّد: «**التحياتُ لله، الصلواتُ الطيبات، السلامُ عليكَ أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتهُ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ**».

وروى أبو داود عن سَمُرةَ بن جُندَب: «أما بعدُ: أَمرنا رسولُ الله ﷺ: **إذا كانَ في وَسَطِ الصلاة أو حين انقِضائها فابدؤوا قبلَ السَّلام فقُولوا: (التحياتُ الطيبات، والصلواتُ والمُلك لله)، ثُمَّ سَلِّمُوا على اليَمين، ثم سلِّموا على قارِئكم، وعلى أنفُسِكم**»[1].

وذكر مالك في «الموطأ» أن عمرَ كان يُعلِّم الناسَ التشهُّدَ وهو على المِنبَر، يقول: قولوا: «التحيات لله، الزاكيات لله، الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولهُ».

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحَبير» (١/ ٤٨٩): «ضعيفٌ لما فيه من المجاهيل».

فأيُّ تَشهُّدٍ أُتِيَ به من هذه التشهُّدَات أَجزأَه، وذهبَ الإمامُ أحمدُ وأبو حنيفة إلى تشهُّدِ ابن مَسعود، وذهبَ الشافعيُّ إلى تَشهُّد ابن عباس، وذهبَ مالكٌ إلى تشهد عمر ﷺ، **والكُلُّ كافٍ مُجزِئٌ**.

الفصل الخامس عشر: في ذكر الصلاة على النبي ﷺ

في «الصحيحين» عن كَعبِ بن عُجرَة ﷺ قال: «خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله قد عَرَفنا كيفَ نُسَلِّم عليك، فكيفَ نصلِّي عليكَ؟ قال: **قولوا: (اللهم صَلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صلَّيت على آل إبراهيم إنك حَميدٌ مَجيد، اللهم بارك على محمدٍ، وعلى آل محمدٍ، كما باركتَ على آل إبراهيم، إنك حَميدٌ مَجيدٌ)** ».

وفي «الصحيحين» أيضًا عن أبي حُميد السَّاعدي أنهم قالوا: «يا رسول الله كيف نَصلي عليك؟ قال: **قولوا: (اللهمَّ صلِّ على محمد، وعلى أَزواجِهِ وذُرِّيتِهِ كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجِهِ وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حَميدٌ مَجيدٌ)** ».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي مسعود الأنصاري قال: «أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مَجلسِ سعد بن عُبادة، فقال له بَشير بن سعد: (أَمَرنا اللهُ أن نُصَلِّيَ عليكَ يا رسول الله، كيفَ نُصلِّي عليك؟ قال: فسكتَ رسولُ الله ﷺ حتى تَمَنَّينا أنه لم يَسألْهُ، ثم قال رسول الله ﷺ: **قولوا: (اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صلَّيتَ على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركتَ على آل إبراهيم، في العالمين إنك حَميدٌ مَجيدٌ)، والسَّلامُ كما قَد عَلِمتُم**».

وذكر ابن ماجه في «سننه» عن عبد الله بن مسعود قال: «إذا صَلَّيتُم على رسول الله ﷺ فأَحسِنوا الصلاة؛ فإنكم لا تَدرُون لعلَّ ذلك يُعرضُ عليه، قال: فقالوا له: فعَلِّمنا، قال: قولوا: (اللهم اجعلْ صَلَواتك ورحمَتك وبركاتك على سَيِّد المُرسلين، وإمام المُتقين، وخاتمِ النبيِّين، محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرَّحمة، اللهم ابعَثْهُ مَقامًا محمودًا يَغبِطُهُ به الأولون والآخرون، اللهم صَلِّ

على محمد، وعلى آل محمد، كما صلَّيتَ على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حَمِيدٌ مَجِيدٌ)» [1].

الفصل السادس عشر: في الاستخارة

في «صحيح البخاري» عن جابر قال: «كان رسولُ الله ﷺ يُعلِّمُنا الاستخارةَ في الأَمرِ كما يُعلِّمنا السورةَ من القرآن يقول: **إذا هَمَّ أحدُكُم بالأمر فليَركَع رَكعتين مِن غَير الفريضة، ثم ليَقُل: (اللهم إني أَستَخِيرُكَ بعِلمِكَ، وأَسْتَقدِرُكَ بقُدرتِكَ، وأَسألك من فَضلِك العظيم، فإنك تَقدِرُ ولا أَقدِر، وتَعلَمُ ولا أعلم، وأنت عَلَّام الغُيوب، اللهم إن كُنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمرَ -ويُسَمِّي حاجتَهُ- خيرٌ لي في دِيني ومَعاشِي وعَاقبةِ أَمري فاقْدُرهُ لي، ويَسِّرهُ لي، ثمَّ بارك لي فيه، وإن كُنتَ تَعلمُ أن هذا الأمرَ شَرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري فاصرِفْهُ عني، واصرِفني عنه، واقْدُر لي الخيرَ حيثُ كان، ثمَّ رَضِّني به)**».

وفي «مسند الإمام أحمد» من حديثِ سعد بن أبي وقَّاص عن النبي ﷺ أنه قال: «**مِن سَعَادة ابنِ آدم استِخَارَةُ الله، ومن سعادة ابن آدم رِضاهُ بما قَضَاهُ اللهُ، ومِن شِقوَةِ ابن آدم تَركُهُ استِخارَةَ الله، ومِن شِقوةِ ابن آدم سَخَطُهُ بما قَضَى الله**»[2].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ يقول: «ما نَدِمَ مَن اسْتَخار الخَالِقَ، وشاوَرَ المَخلوقين، وتَثَبَّتَ في أَمرِه، وقد قال ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

قال قتادة: «ما تَشاوَرَ قومٌ يَبتَغُون وَجَهَ الله إلا هُدُوا إلى أَرشَدِ أَمرِهِم».

الفصل السابع عشر: في أَذكار الكَرْبِ والغَمِّ والحُزْن والهَمِّ

في «الصحيحين» عن ابن عباس أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقولُ عند الكَربِ: «**لا إله إلا الله العظيمُ الحَليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات وربُّ**

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «إسناده ضعيفٌ». وانظر: «ضعيف الترغيب والترهيب» (١/ ٥١٥).

(٢) قال الترمذيُّ: «حديثٌ غريب، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حميد وهو أبو إبراهيم المديني، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث». انظر: «الجامع للترمذي» (٢١٥١)، و«الضعيفة» (١٩٠٦).

الأرض وربُّ العرش الكريم».

وفي «الترمذي» عن أنس ﷺ أن النبيَّ ﷺ كان إذا حَزَبهُ أَمرٌ قال: «**يا حَيُّ يا قَيُّومُ برَحمَتِك أَستَغِيث**».

وفيه أيضًا عن أَبي هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا أَهَمَّهُ الأَمرُ رَفعَ رَأسَهُ إلى السماء فقال: «**سبحان الله العظيم**»، وإذا اجتهَدَ في الدعاء قال: «**يا حَيُّ يا قَيُّوم**»[1].

وفي «سُنن أبي داود» عن أبي بَكْرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**دَعَواتُ المَكرُوب: (اللهم رَحْمَتكَ أَرجو، فلا تَكِلني إلى نَفسِي طَرفَةَ عَين، وأَصلِح لي شَأني كُلَّهُ، لا إله إلا أنت)**».

وفي «السنن» أَيضًا عن أسماءَ بنتِ عُمَيس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**أَلا أُعَلِّمُكِ كَلِمات تَقولينَهُنَّ عندَ الكَربِ -أو: في الكَرب-: (اللهُ، اللهُ ربي لا أُشرِكُ به شيئًا)**»، وفي روايةٍ أَنها تُقَالُ سبع مرات.

وفي رواية «الترمذي» عن سعدِ بن أبي وَقَّاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**دَعوَةُ ذي النُّون إذ دعاها وهو في بطنِ الحُوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، لم يَدعُ بها رَجُلٌ مُسلمٌ في شيءٍ قَطُّ إلا استُجِيبَ له**».

وفي رُواية له: «إني لأعلمُ كلمةً لا يُقولُها مَكروبٌ إلا فَرَّجَ اللهُ عنه: كلمةُ أَخي يونُس عليه السلام»[2].

وفي «مُسند الإمام أحمد» و«صحيح ابن حبان» عن عبد الله بن مَسعود، عن النبي ﷺ قال: «**ما أَصابَ عَبدًا هَمٌّ ولا حَزنٌ فقال: (اللهم إني عبدُكَ، ابنُ عبدك، ابنُ أَمَتِك، ناصِيَتي بيدك، ماضٍ فيَّ حُكمُك، عَدْلٌ فيَّ قضاؤُك، أَسأَلك بكُلِّ اسم هو لك، سَمَّيتَ به نفسَكَ، أو أَنزلتَهُ في كِتابِك، أو عَلَّمتَهُ أحدًا من خَلقِك، أو اسْتأثرتَ به في عِلم الغَيبِ عندك؛ أَن تَجعلَ القرآنَ رَبيعَ قَلبي، ونُورَ بَصَري، وجَلاءَ حُزني، وذَهابَ هَمِّي) إلا**

---

(١) في إسناده إبراهيم بن الفضل المخزومي، قال الحافظ ابن حجر: «**اتفقوا على ضعفِهِ**». انظر: «النتائج» (٤/ ٨١).

(٢) تقدَّم الكلام عليه (ص١٠٣).

أَذهَبَ الله هَمَّهُ وحُزنَهُ، وأَبدلَهُ مكانَهُ فَرحًا».

الفصل الثامن عشر: في الأذكار الجالِبة للرِّزق الدَّافِعة للضِّيق والأذى

قال الله ﷻ عن نَبِيِّه نوح ﷺ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾.

وفي بعض «المسانيد» عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن لَزِمَ الاستغفارَ جَعلَ اللهُ له مِن كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، ومِن كُلِّ ضِيقٍ مَخْرجًا، ورَزَقَهُ مِن حَيث لا يَحتَسِب**»[1].

وذكر أبو عمر ابن عبد البر في «التمهيد» حديثًا مَرفوعًا إلى النبي ﷺ: «**مَن قرأ سورةَ الواقِعة كُلَّ يومٍ لم تُصِبهُ فاقةٌ أبدًا**»[2].

الفصل التاسع عشر: في الذِّكر عند لِقاءِ العَدُو ومَن يَخافُ من سُلطان وغيره

في «سنن أبي داود» و«النسائي» عن أبي موسى الأشعري أن النبيَّ ﷺ كان إذا خافَ قومًا قال: «**اللهم إنا نَجعَلُكَ في نُحورِهِم ونَعوذُ بك من شُرورِهم**».

ويُذكرُ عن النبيِّ ﷺ أنه كان يقول عند لِقاءِ العَدو: «**اللهم أنتَ عَضُدي، وأنتَ ناصِري، وبك أقاتِل**»[3].

وعنه ﷺ أنه كان في غزوة فقال: «**يا مالك يومِ الدِّين، إياك أَعبدُ وإياكَ أَستَعين**»، قال أنس: فلقد رَأيتُ الرِّجالَ تَصْرَعُها الملائكةُ من بَين يَدَيها ومِن خَلفِها[4].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «**إذا خِفْتَ سُلطانًا أو غيرَهُ فقُل: (لا إله إلا**

---

(١) قال البغويُّ في «شرح السنة» (٥/ ٧٩): «يرويه الحكم بن مُصعب، **وهو ضعيفٌ**».

(٢) في إسناده أبو شجاع، وهو يرويه عن أبي طيبة، وكلاهما مجهولٌ، قال الإمام أحمد: «لا أعرفهما»، وفي الحديث علل أخرى. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ٢٥٦، ٤/ ٥٣٦).

(٣) أخرجَ الحديث أصحاب «السُّنن»، وأبو عوانة في «صحيحه»، وصححه الحافظ ابن حجر، وإنما نبَّهت على صحَّته على خلاف منهجي لأنَّ عِبارة المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تُوهِم ضعفَهُ، وقد تبعَ فيها شيخ الإسلام في «الكلم الطيب» انظر: «الفتوحات الربانية» (٥/ ٦٠)، و«صحيح أبي داود-الأم-» (٢٣٦٦).

(٤) في إسناده حنبل بن عبد الله وهو مجهول، وفيه عبد السلام بن هاشم وهو شديد الضعف. انظر: «الضعيفة» (٥١٠٥).

الله الحَلِيم الكَريم، سبحان الله ربِّ السموات السبع وربِّ العرش العظيم، لا إله إلا أنت، عَزَّ جارُك، وجَلَّ ثناؤك»[1].

وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس قال: «حَسبُنا الله ونعم الوَكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقِيَ في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾».

الفصل العشرون: في الأذكارِ التي تَطردُ الشَّيطانَ

قد تقدَّم أنَّ مَن قرأَ آيةَ الكُرسي عندَ نومِه لم يَقربْهُ شيطانٌ، وأنَّ مَن قَرأَ الآيتينِ مِن آخرِ سورةِ البقرةِ في ليلة كفتاهُ، ومَن قالَ في يوم مائة مرَّة: **(لا إله إلا الله وحدُه لا شَريكَ له، له المُلكُ وله الحَمدُ وهو على كلِّ شَيءٍ قديرٌ)**، كانَت له حِرزًا مِن الشَّيطان يومَه كلَّه، وقد قالَ تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾، وكان النبي ﷺ يقولُ: «**أعوذُ بالله السَّميعِ العَليم مِن الشَّيطانِ الرَّجيم، من هَمزِه ونفخِه ونفثِه**»، وقال ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

والأذانُ يَطردُ الشَّيطانَ كما تقدَّم، وعَن زيدِ بن أسلَم: «أنه وَلِيَ معادِنَ، فذكروا كثرةَ الجنِّ بها، فأمرَهم أن يُؤذِّنوا كلَّ وقتٍ، ويُكثِروا مِن ذلك، فلم يَكونوا يَروْن بعدَ ذلك شيئًا».

وفي «صحيحِ مُسلمٍ» عن عُثمانَ بنِ أبي العاصِ ﷺ أنه قالَ: «يا رسول الله، إن الشيطانَ حالَ بيني وبينَ صَلاتي، وبين قِراءتي يَلبِسُها عليَّ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: **(ذاك شيطانٌ يقالُ له: خِنزَب، فإذا أحسَستَهُ فتعوَّذْ بالله مِنه، واتفُل عن يسارِك ثلاثًا)**، ففعَلْتُ ذلك، فأذهَبَه الله ﷻ عنِّي».

وأمرَ ابنُ عَباسٍ رجلًا، وجَدَ في نفسِه شيئًا من الوَسْوَسةِ والشكِّ، أن يقرأَ ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

ومِن أعظمِ ما يَندفِعُ به شَرُّه قِراءَةُ المُعوِّذتين، وأوَّلِ الصَّافاتِ، وآخرِ الحَشرِ.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في النتائج (٤/ ١٠٦): «فيه محمد بن عبد الرحمن اتفقوا على تضعيفه واتهمَهُ بعضهم بالكذب».

الفصل الحادي والعشرون: في الذِّكر الذي تُحفَظُ به النِّعمُ، وما يُقالُ عندَ تَجدُّدِها

قال الله ﷻ في قصَّةِ الرَّجلَين: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، فينبغي لمَن دخَل بُستانَه، أو دارَه، أو رَأى في مالِهِ، وأهلِهِ ما يُعجِبُه أن يبادرَ إلى هذه الكلمةِ، فإنه لا يَرى فيه سوءًا.

وعن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أنعمَ الله على عبدٍ نِعمةً في أَهل ومال وولَد، فقال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ فيَرى فيها آفةً دونَ المَوتِ**»[1].

وعنه ﷺ: «أنه كان إذا رَأى ما يسُرُّه قالَ: (**الحمدُ لله الذي بنِعمتِه تتمُّ الصالحاتُ**)، وإذا رَأى ما يَسُوؤُهُ قال: (**الحمدُ لله على كلِّ حال**)».

الفصلُ الثاني والعشرون: في الذِّكرِ عندَ المُصيبةِ

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.

ويُذكرُ عن أبي هُريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لِيَسْتَرجِعْ أحدُكُم في كلِّ شَيءٍ، حتى في شِسْعِ نَعلِه، فإنَّها من المَصائبِ»[2].

وقالت أمُّ سَلمةَ: سَمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**ما مِن عبدٍ تُصِيبُهُ مُصيبةٌ، فيقولُ: (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعُون، اللهمَّ أْجُرْني في مُصيبتي، واخْلُف لي خيرًا مِنها)، إلا أجرَهُ الله تعالى في مُصيبَتِهِ وأخلَفَ له خيرًا منها**، قالت: فلمَّا تُوفي أبو سلمةَ، قُلتُ كما أَمَرني رسولُ الله ﷺ، فأخلفَ الله لي خيرًا مِنه: رسولَ الله ﷺ».

ورُوِيَ أيضًا عنها ﵂ قالت: «دخلَ رسولُ الله ﷺ على أبي سلمةَ، وقد شقَّ بَصَرُهُ فأغمضَه، ثمَّ قال: (**إنَّ الرُّوحَ إذا قُبِضَ تَبِعَهُ البصرُ**)، فضَجَّ ناسٌ من أهلِه، فقال: (**لا تَدعوا على أنفسِكم إلا بخَير، فإنَّ الملائكةَ يؤمِّنونَ على ما تقولونَ**)، ثمَّ قال: (**اللهمَّ اغفِر لأبي سلمةَ، وارفَع درجتُه في المَهديِّين، واخْلُفهُ في عَقِبه في الغابرين، واغفِر لنا وله**

---

(١) قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٤٠): «وفيه عبد الملك بن زرارة، وهو ضعيف»، وانظر: «التنائج» لابن حجر (٤/ ١٢٢).

(٢) في إسناده يحيى بن عبيد الله المدني، وهو ضعيفُ الحديث، ويرويه عن أبيه وهو مجهول. انظر: «الضعيفة» (٥٥٩٥).

يا ربَّ العالمين، وافْسَحْ له في قبرِه، ونوِّر له فيه)».

الفصل الثالثُ والعشرون: في الذِّكر الذي يُدفعُ به الدَّين، ويُرجَى قَضاؤُهُ

في «الترمذي» عن عليٍّ ﷺ أن مُكاتَبًا جاءَه فقال: «إني عَجزتُ عن كِتابتي فأَعِنِّي فقال: ألا أُعلِّمك كلماتٍ علَّمَنِيهُنَّ رسولُ الله ﷺ، لَوْ كان عليكَ مِثلُ جبل أَحُدٍ دَينًا أدَّاهُ الله عنك، قل: **(اللهمَّ اكفِني بحَلالِك عن حَرامِك، وأَغنني بفضلِك عمَّن سِواكَ)**» قال التِّرمِذيُّ: «حديثٌ حَسنٌ».

الفصل الرابع والعشرون: في الذِّكر الذي يُرقَى به من اللَّسْعَةِ واللَّدْغَةِ وغيرِهما

في «صحيح البخاري» عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذُ الحسنَ والحُسين ﷺ ويقول: «**إنَّ أباكما كان يُعَوِّذ بها إسماعيلَ وإسحاق: (أعيذُكُما بكلمات الله التامَّة مِن كُلِّ شيطان وهامَّة، ومِن كُل عَينٍ لامَّة)**».

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخُدري ﷺ: «أنَّ رجلًا مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ رَقَى لَدِيغًا بفاتحة الكتاب فجَعَلَ يَتْفُل عليه ويَقرأ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فكأنَّما نَشِطَ من عِقَال، فانطَلَقَ يَمشي وما به قَلَبَة... » الحديث.

وفي «الصحيحين» عن عائشة ﷺ أن النبيَّ ﷺ كان إذا اشتَكَى الإنسانُ الشيءَ أو كانت به قُرحَةٌ، أو جُرِحَ، قال النبي ﷺ بأُصبُعِهِ هكذا -ووَضَع سفيان بنُ عُيينةَ إِصبعَهُ بالأرض ثم رفعها- وقال: «**بسم الله، تُربَةُ أَرضِنا، بِرِيقَةِ بَعضِنا، يُشفَى به سَقِيمُنا، بإذن ربِّنا**».

وفي «الصحيحين» أيضًا عنها ﷺ أن النبيَّ ﷺ كان يُعَوِّذ بعضَ أَهلِهِ؛ يَمسَحُ بيدِهِ اليُمنى ويَقول: «**اللهم رَبَّ الناس، أَذهِب الباس، واشْفِ أنت الشافي، لا شفاءَ إلا شِفاؤك، شفاءً لا يُغادِر سَقَمًا**».

وفي «صحيح مسلم» عن عثمان بن أبي العاص ﷺ أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وَجَعًا يَجِدُه في جَسَدِه مُنذُ أَسلَم، فقال النبيُّ ﷺ: «**ضَع يدكَ على الذي تَألَمُ من جَسدِك وقل:**

(بسم الله) ثلاثًا، وقل سبع مرات: (أعوذُ بعزَّة الله وقُدرتِهِ مِن شَرِّ ما أَجدُ وما أُحاذر)».

وفي «السنن» عن ابن عباس ﵄ عن النبي ﷺ قال: «مَن عاد مَريضًا لم يَحضُر أَجَلُهُ فقال عنده سبع مرات: (أسأل الله العظيم، ربَّ العرشِ العظيم أن يَشفِيَك) إلا عافاه الله تعالى».

وفي «سنن أبي داود» و«النسائي» عن أبي الدرداء قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن اشتَكى منكم أو اشتَكى أَخٌ له فليقُل: (ربَّنا الله الذي في السماء، تَقَدَّسَ اسمُك، أَمرُكَ في السماء والأرض، كما رَحمَتُك في السماء فاجعَلْ رحمَتَكَ في الأرض، اغفِرْ لنا حُوبنا وخَطايانا، أنتَ رَبُّ الطيبين، أَنزِل رحمةً من رحمَتِكَ، وشِفاءً من شِفائِك على هذا الوَجَع)، فيَبْرأ»[1].

الفصل الخامس والعشرون: في ذكر دخول المَقابِر

في «صحيح مسلم» عن بُريدَة بن الحصيب قال: كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُهم إذا خرجوا إلى المَقابِر أن يقولَ قائِلَهم: «السلام عليكم أهلَ الدِّيارِ من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاءَ الله بكم لاحِقُون، نسألُ الله لنا ولكم العافية».

وفي «سنن ابن ماجه» عن عائشة قالت: فَقَدتُ النبيَّ ﷺ فإذا هو بالبَقِيع، فقال: «السلام عليكم دارَ قَومٍ مؤمنين، أنتم لنا فَرَطٌ، وإنّا بكم لاحِقُون، اللهم لا تَحرِمنا أَجرَهُم ولا تَفْتِنَّا بعدَهُم»[2].

الفصل السادس والعشرون: في ذكر الاستِسقاء

قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾

عن جابر بن عبد الله قال: «أَتتِ النبيَّ ﷺ بَوَاكٍ فقال: (اللهم اسقِنا غيثًا مُغِيثًا مَريئًا

---

(١) في إسناده زياد بن محمد المصري، وهو منكر الحديث كما قال البخاريُّ والنسائي. انظر: «الميزان» للذهبي (٢/ ٩٨).

(٢) في إسناده شريك بن عبد الله النَّخعي، وعاصم بن عبيد الله، وكلاهما ضعيفٌ، وأصل الحديث عند مسلم بلفظ: «كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غدا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد».

مَرِيعًا نافِعًا غيرَ ضارٍّ، عاجِلًا غيرَ آجلٍ)، فأَطبَقت عليهم السماءُ».

وعن عائشة قالت: «شكا الناسُ إلى رسول الله ﷺ قحوطَ المطر، فأَمرَ بمِنبَر فوُضِعَ له في المُصلَّى، ووَعَدَ الناسَ يومًا يَخرُجُون فيه، فخرجَ رسولُ الله ﷺ حِينَ بدا حاجِبُ الشمس، فقَعَدَ على المِنبَر، فكبَّرَ وحَمِدَ الله ﷻ ثم قال: (**إنكم شَكَوتُم جَدبَ دِيارِكُم واستِئخارَ المَطرِ عن إِبَّان زَمانِهِ عنكم، وقد أَمركُمُ الله ﷻ أن تَدعُوهُ، ووَعَدَكم أن يَستَجِيبَ لكم**)، ثم قال: (**الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدِّين، لا إله إلا الله، يفعلُ ما يُريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغَنِيُّ ونحن الفُقراء، أنزل علينا الغيثَ، واجعل ما أنزلتَ علينا قوةً وبَلاغًا إلى حين**)، ثم رَفَعَ يديهِ فلم يَزل في الرَّفعِ حتى بَدا بَياضُ إِبطَيهِ، ثم حَوَّلَ إلى الناسِ ظَهرَهُ، وقَلبَ -أو: حوَّلَ رِدَاءَه- وهو رَافعٌ يَديه، ثمَّ أَقبلَ على الناس، فنزلَ، فصلَّى رَكعَتين، فأَنشأَ الله ﷻ سَحابةً، فرَعَدَت وبَرقَت، ثم أَمْطَرت بإذن الله تعالى، فلم يَأتِ مَسجِدَه حتى سالت السُّيُول، فلمَّا رَأَى سُرعَتَهم إلى الكِنِّ ضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتى بَدَت نَواجِذُه، وقال: (**أشهد أنَّ اللهَ على كل شيءٍ قديرٌ، وأني عبدُ الله ورسولُهُ**)».

وفي «سنن أبي داود» عن عبد الله بن عمرو قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا استَسْقَى قال: «**اللهم اسْقِ عِبادَكَ وبَهائِمكَ، وانشُرْ رحمتَكَ، وأَحي بلدكَ الميت**».

قال الشعبيُّ: خرجَ عمرُ يَستسقي فلم يَزِدْ على الاستغفار، فقالوا: ما رأيناك استَسقَيتَ؟! فقال: «لقد طلبتُ الغيثَ بمَجادِيح السَّماء التي يُستَنزَلُ بها المطر، ثم قرأ: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾».

الفصل السابع والعشرون: في أذكارِ الرِّيح إذا هاجَت

قال أبو هريرة: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**الرِّيحُ من رَوحِ الله تعالى، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فإذا رَأَيتمُوها فلا تَسُبُّوها، واسألوا الله من خَيرِها، واستَعِيذوا بالله من شَرِّها**»، رواه أبو داود.

وفي «صحيح مسلم» عن عائشة قالت: كان النبيُّ ﷺ إذا عَصَفَت الرِّيحُ قال: «**اللهم إني أسألُكَ خَيرَها، وخيرَ ما فيها، وخيرَ ما أُرسِلَت به، وأعوذُ بك من شَرِّها، وشَرِّ ما فيها، وشرِّ ما أُرسِلَت به**».

وفي «سنن أبي داود» عن عائشة أيضا ﵂ أن النبيَّ ﷺ كان إذا رأى ناشِئًا في أُفُقِ السماء تَركَ العَملَ -وإن كان في صلاة- ثم يقول: «**اللهم إني أَعوذُ بك من شَرِّها**»، فإن أَمطَرتْ قال: «**اللهم صَيِّبًا هَنِيئًا**».

الفصل الثامن والعشرون: في الذِّكر عند الرَّعدِ

كان عبد الله بن الزبير ﵁ إذا سَمِعَ الرَّعدَ تركَ الحديثَ، فقال: «سبحان الذي يُسبِّحُ الرَّعدُ بحمدِهِ والملائكةُ من خِيفتِهِ».

وعن كعب أنه قال: «من قال ذلك ثلاثًا عُوفِيَ من الرَّعد».

وفي «الترمذي» عن عبد الله بن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ كان إذا سَمِع صوتَ الرَّعدِ والصَّواعِقِ قال: «**اللهم لا تَقْتُلنا بغَضَبِك، ولا تُهْلِكنا بعذابك، وعافِنا قبلَ ذلك**»[1].

الفصل التاسع والعشرون في الذِّكر عند نزول الغيث

في «الصحيحين» عن زيدِ بن خالد الجُهَني قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الصُّبح بالحُدَيبية في إثرِ سَماءٍ كانت من الليل، فلمَّا انصرفَ أقبلَ على الناس فقال: (**هل تَدرون ماذا قال ربُّكم؟**) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (**قال: أَصبحَ من عِبادي مُؤمِنٌ بي وكافِرٌ؛ فأمَّا مَن قال: مُطِرنا بفَضلِ الله ورحمتِهِ، فذلك مُؤمِنٌ بي وكافرٌ بالكواكِب، وأما مَن قال: مُطِرنا بنَوءِ كذا وكذا، فذاكَ كافرٌ بي مُؤمِنٌ بالكواكِب**)».

وقد قيل: إنَّ الدعاءَ عند نزول الغيث مُسْتجابٌ، وفي «صحيح البخاري» عن عائشة ﵂ أن النبيَّ ﷺ كان إذا رأى المطرَ قال: «**صَيِّبًا نافِعًا**».

وفي «صحيح مسلم» عن أنس ﵁ قال: «أَصابنا ونحنُ مع رسولِ الله ﷺ مَطرٌ،

---

(١) تفرَّد به أبو مطر عن سالم بن عبد الله، وأبو مطر مجهول الحال، وقد ضعَّف الحديثَ النوويُّ في «الأذكار» (١/ ٤٧١).

فحَسَرَ رسولُ الله ﷺ ثوبَهُ حتى أصابَهُ من المطرِ، فقلنا: يا رَسول الله لِمَ صَنعتَ هذا؟ قال: (**لأنه حَديثُ عَهدٍ بربِّهِ**)».

الفصل الثلاثون: في الذِّكر والدعاء عند زِيادة المَطَر وكَثْرةِ المِياه والخَوفِ منها

وفي «الصحيحين» عن أنس قال: «دخلَ رجلٌ المسجدَ يومَ جُمعةٍ ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يخطُبُ الناسَ، فقال: (يا رسولَ الله! هَلكت الأموالُ، وانقَطَعت السُّبل، فادْعُ الله يُغيثنا)، فرفَعَ رسولُ الله ﷺ يديه ثم قال: (**اللهم أَغِثنا، اللهم أَغِثنا، اللهم أَغِثنا**) -قال أنس:- والله ما نَرى في السماء من سَحابٍ، ولا قَزَعةٍ، وما بيننا وبين سَلْعٍ من بيتٍ ولا دار، فطَلَعَت مِن وَرائِهِ سحابةٌ مِثلَ التُّرسِ، فلمَّا توسَّطتِ السماءَ انتشرَت، ثم أَمطرَت، فلا والله ما رَأَينا الشمسَ سَبْتًا، ثم دَخلَ رَجلٌ من ذلك الباب في الجُمعَةِ المُقبلة، ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يَخْطُبُ، فاستَقبَلَهُ قائمًا فقال: (يا رسول الله، هَلَكَتِ الأَموالُ، وانقَطَعتِ السُّبُل، فادْعُ الله يُمْسكها عنا)، فرفَع رسولُ الله ﷺ يديه ثم قال: (**اللهم حَوالَينا ولا علينا، اللهم على الآكامِ، والظِّرابِ، وبُطون الأَودية، ومَنابت الشَّجر**) قال: فأَقلعَت وخَرجنا نَمشي في الشمس».

الفصل الحادي والثلاثون: في الذِّكر عند رُؤية الهِلال

عن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهِلالَ قال: «**الله أكبر، اللهم أَهِلَّهُ علينا بالأمنِ والإيمان، والسَّلامَة والإسلام، والتَّوفِيق لما تُحِبُّ وتَرضى، ربُّنا ورَبُّك الله**».

وفي «سنن أبي داود» عن قتادة أنه بلغَهُ أنَّ نبيَّ الله ﷺ كان إذا رأى الهِلال قال: «**هِلالُ خَير ورُشدٍ، وهِلال خَير ورُشدٍ، وهِلال خَير ورُشدٍ، آمنتُ بالله الذي خلقَك** - ثلاث مرات-، ثم يقول: **الحمد لله الذي ذَهَبَ بشهر كذا، وجاءَ بشهر كذا**»[1].

الفصل الثاني والثلاثون: في الذِّكر للصائِم، وعند فِطْرِه

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لا تُردُّ دَعوَتهم: الصائِمُ حينَ يُفطِرُ،**

(١) إسنادُهُ ثابتٌ إلى قتادة، ولكنَّهُ مرسَلٌ، فالواسطة بين قتادة والنبي ﷺ مجهولة. انظر: «المراسيل» لأبي داود (٥٢٧).

والإمامُ العادِلُ، ودَعوةُ المظلوم»، حديث حسن[1].

وروى ابنُ ماجه عن ابن أبي مُليكة، عن عبد الله بن عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ للصائم عِندَ فِطره دعوةً ما تُرَدُّ**»، قال ابنُ أبي مليكة: سمعتُ عبدَ الله بن عمرو ﷺ إذا أفطرَ يقول: «اللهم إني أَسألُكَ برحمَتِك التي وَسِعَت كلَّ شيءٍ أن تغفرَ لي»[2].

ويُذكر عن النبي ﷺ أنه كان إذا أفطرَ قال: «**اللهم لك صُمْتُ، وعلى رِزْقك أَفطرتُ**»، ومن وجهٍ آخر: «**اللهم لك صُمنا وعلى رزقك أفطرنا، فتقبَّل مِنَّا إنك أنت السميع العليم**»[3].

الفصل الثالث والثلاثون: في أذكار السَّفر

روى الطبرانيُّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما خَلفَ أحدٌ عِندَ أهلِهِ أَفضلَ مِن رَكعتين يركَعْهُما عِندَهم حِينَ يُريدُ سَفَرًا**»[4].

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن أَرادَ سَفَرًا فليَقُل لِمَن يَخلف: (أَستَودِعُكُم اللهَ الذي لا تَضِيعُ وَدائِعُهُ)**».

وفي «المسند» أيضًا عن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ إذا استُودِعَ شيئًا حَفِظَهُ**».

وقال سالمٌ: كان ابنُ عمر يقول للرجل إذا أرادَ سَفَرًا: ادْنُ مِنِّي أُوَدِّعك كما كان رسولُ الله ﷺ يُودِّعُنا فيقول: «**أَستَودِعُ الله دِينَك وأَمانَتَك وخَواتِيم عَمَلِك**»، ومِن وجهٍ آخر: «كان النبيُّ ﷺ إذا وَدَّعَ رجُلًا أخذَ بيده فلا يَدَعُها حتى يكونَ الرَّجلُ هو الذي يَدَعُ

---

(١) قوله: (**حين يُفطر**) كذا ذكرهُ المصنِّف تبعًا لما في «الكلم الطيب»، والذي في المصادر الحديثية المُسْنَدة: «حتى يفطر»، وبيَّن ذلك الحافظ النووي في كتابه: «الأذكار» (١/ ٤٩٣)، وأن الرِّواية الثابتة هي قوله ﷺ: «حتى يُفطر».

(٢) في إسناده إسحاق بن عُبيد الله، أو ابن عبد الله، على خلافٍ في اسم أبيه، فعلى الأوَّل يكون مجهولًا وعلى الثاني فهو متروك الحديث، وعندما أوردَ المصنِّف الحديث في «زاد المعاد» (٢/ ٤٩) صدَّره بقوله: (ويُذكر) إشارة لضعفه، والله أعلم.

(٣) في إسناده إسماعيل بن عمرو، وداود بن الزِّبرقان، وكلاهما شديد الضَّعف، وقد ضعَّف المصنِّف الحديث في «زاد المعاد» (٢/ ٤٩)، وفي الباب حديثٌ صحيحٌ عن ابن عمر ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: (**ذهبَ الظَّمأ، وابتلَّت العُرُوق، وثبتَ الأجرُ إن شاء الله**)»، وقد حسَّنه الدارقطني، والحافظ ابن حجر. انظر: «الفتوحات الربانية» (٤/ ٣٢٩).

(٤) في إسناده سقطُ رجلين على التوالي، لذلك قال كلٌّ من الحافظ ابن رجب وابن حجر: «إسناده معضَل».

يدَ النبيِّ ﷺ»، وذكرَ تمامَ الحديث، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح»[1].

وقال أنسٌ رضي الله عنه: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أُريدُ سَفَرًا فَزَوِّدني، فقال: «**زَوَّدَكَ الله التقوى**»، قال: زِدْني، قال: «**وغفرَ ذَنبكَ**»، قال: زِدني، قال: «**ويَسَّرَ لك الخيرَ حيثُ ما كُنتَ**»، قال الترمذيُّ: «حديث حسن».

وعن أبي هريرة أن رَجُلًا قال: يا رسول الله إني أُريدُ أن أُسافِرَ فأَوصِني، قال: «**عليكَ بتقوى الله عز وجل والتَّكبيرِ على كُلِّ شَرَفٍ**»، فلمَّا وَلَّى الرجلُ قال: «**اللهمَّ اطْوِ له البُعدَ، وهَوِّن عليه السَّفرَ**»، قال الترمذي: «حديث حسن».

الفصل الرابع والثلاثون: في رُكوب الدَّابةِ والذِّكرِ عندَه

قال علي بن ربيعة: شهدتُ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه أُتيَ بدابَّةٍ ليَركبَها، فلمَّا وَضَعَ رِجلَهُ في الرِّكاب قال: (**بسم الله**)، فلمَّا استَوى على ظهرها قال: (**الحمد لله**)، ثم قال: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ ثم قال: (**الحمد لله**) ثلاثَ مرَّات، ثم قال: (**الله أكبر**) ثلاثَ مرَّات، ثم قال: (**سُبحانك إني ظلمتُ نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**)، ثم ضَحِك فقيل: يا أميرَ المؤمنين مِن أَيِّ شيءٍ ضَحِكتَ؟ فقال: (رأيتُ النبيَّ ﷺ فعلَ كما فعلتُ، ثم ضَحِكَ، فقلتُ: يا رسول الله مِن أَيِّ شيءٍ ضَحِكتَ؟) فقال: «**إن ربك عز وجل يَعْجَبُ من عَبدِه إذا قال: اغفِر لي ذُنُوبي، يعلمُ أنه لا يَغفِرُ الذنوبَ غيري**»، رواهُ أهلُ السُّنن، وصححه الترمذي.

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بَعيرِهِ خارِجًا إلى سَفَر كبَّر ثلاثًا ثم قال: «﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ **اللهمَّ إنا نسألك في سَفَرنا هذا البِرَّ والتقوى، ومِنَ العَملِ ما تَرضى، اللهمَّ هوِّنْ علينا سَفَرنا هذا واطْوِ عنَّا بُعدَه، اللهم أنت الصاحِبُ في السفر، والخَلِيفةُ في الأهل، اللهم إني أَعوذُ بك من وَعْثاءِ السَّفر، وكآبة المَنظَر، وسُوء المُنْقَلَبِ في المال والأهل**»، وإذا رَجَعَ قالَهُن وزادَ فِيهن: «**آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون**».

---

(١) تفرَّد بمسألة إمساك اليدِ إبراهيم بن عبد الرحمن بن زيد، وهو مجهول الحال، فالحديث صحيحٌ بدون هذه الزيادة.

وفي وَجهٍ آخر: «وكان رسولُ الله ﷺ وأصحابُهُ ﷺ إذا عَلَوا الثَّنايا كَبَّروا، وإذا هَبَطوا سَبَّحوا».

الفصل الخامسُ والثلاثون: في ذِكر الرُّجُوع مِن السَّفر

قال عبدُ الله بنُ عمر: «كان رسولُ الله ﷺ إذا قفلَ من حجٍّ أو عُمرةٍ أو غَزو، يُكبِّرُ على كلِّ شَرَفٍ من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقولُ: **(لا إله إلا الله وحدُه لا شَريكَ له، له المُلك، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قَديرٌ، آيبُون تائِبُون عابدُون ساجدُون، لرَبِّنا حامِدُون، صَدقَ الله وَعْده، ونَصَرَ عبدَهُ، وهَزمَ الأحزابَ وَحْده)**»، رواه البخاري ومسلم.

الفصل السادس والثلاثون: في الذِّكر على الدَّابةِ إذا اسْتَصْعَبت

قال يونُس بن عُبيد: «ليس رجُلٌ يكونُ على دابةٍ صَعبَةٍ فيقولُ في أُذُنها ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، إلا وقَفَتْ بإذْن الله تعالى.

قال شَيخنا قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ: «وقد فَعلنا ذلِك فكان كَذلِكَ».

الفصل السابع والثلاثون: في الدَّابةِ إذا انْفَلتَتْ، وما يُذكَرُ عندَ ذلك

عن ابن مسعودٍ ﷺ عن رسولِ الله ﷺ قال: «**إذا انَفلتَت دابَّةُ أحدِكم بأرْض فَلاةٍ، فليُنادِ: يا عبادَ الله احْبِسوا؛ فإنَّ لله عَزَّوَجَلَّ حاضِرًا سيَحبِسُه**»[1].

الفصل الثامن والثلاثون: في الذِّكر عندَ القَريةِ أو البَلدةِ إذا أرادَ دُخولَها

عن صُهيب ﷺ: «أن النبي ﷺ لم يرَ قريةً يُريدُ دُخولَها إلا قالَ حين يَراها: **(اللهمَّ ربَّ السمواتِ السَّبع وما أظْلَلْنَ، وربَّ الأرضينَ السَّبع وما أقلَلن، وربَّ الشَّياطين وما أضْلَلْنَ، وربَّ الرِّياح وما ذَرَيْنَ، أسألُك خيرَ هذه القريةِ، وخيرَ أهلِها، وخيرَ ما فيها، وأعوذُ بك من شرِّها، وشرِّ أهلها، وشرِّ ما فيها)**»، رواه النسائي.

---

(١) في إسناده مَعروف السمرقندي، قال أبو حاتم: «مجهول»، وقال ابن عدي في «الكامل» (٨/ ٣٠): «منكر الحديث».

الفصل التاسع والثلاثون: في ذكرِ المَنزلِ يُريدُ نُزولَه

قالت خَولةُ بنت حكيم ﵂: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «**مَن نزلَ منزلًا، ثمَّ قال: (أعوذُ بكلماتِ الله التَّاماتِ، من شرِّ ما خلقَ، لم يضرَّهُ شيءٌ حتى يَرتَحِلَ من منزِلِه ذلك)**»، رواه مسلم.

وعن عبدِ الله بن عمرو ﵄ قالَ: «كانَ رسولُ الله ﷺ إذا سافرَ فأقبلَ اللَّيلُ، قال: **(يا أرضُ! ربي وربُّك الله، أعوذُ بالله من شرِّكِ، وشرِّ ما فيك، وشرِّ ما خُلق فيك، وشرِّ ما يَدُبُّ عليك، وأعوذُ بالله من أَسَدٍ وأَسْوَد، ومن الحيَّة والعَقرب، ومن ساكن البلدِ، ومن والدٍ وما وَلد)**»، رواه أبو داود[1].

الفصل الأربعون: في ذِكر الطَّعام والشَّرابِ

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾.

وقال عمرُ بن أبي سلمةَ ﵁: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «**يا بُنيَّ، سَم الله تعالى، وكُل بيَمينِك، وكُل ممَّا يليك**»، متفق عليه.

وقالت عائشة ﵂: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أكلَ أحدُكم فليَذكُر اسمَ الله تعالى في أولِّه، فإن نَسِيَ أن يَذكُرَ اسمَ الله تعالى في أولِّه فليقُل: (بسم الله أوَّله وآخره)**»، قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وقال أُميَّة بن مَخْشِيٍّ ﵁: «كان رسولُ الله ﷺ جالسًا ورجلٌ يأكلُ فلم يُسمِّ، حتى لم يبقَ من طِعامِه إلا لُقمة، فلما رَفعَها إلى فيه قال: (بسم الله أوله وآخره)، فضحِكَ النبيُّ ﷺ ثم قال: **(ما زالَ الشيطانُ يأكلُ معَه، فلمَّا ذَكرَ اسمَ الله تعالى استَقاءَ ما في بطنِه)**»، رواه أبو داود[2].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرضَى عن العبدِ أن يأكُلَ الأكْلةَ فيحمدُهُ عَليها، ويشربُ الشربةَ فيحمدُهُ عليها**»، رواه مسلم في «صحيحه» من حديث أنس ﵁.

---

(١) في إسناده الزبير بن الوليد الشامي، وهو مجهول الحال، وليس له إلا هذ الحديث، ومثله لا يحتمل تفرده.

(٢) في إسناده المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي، قال ابن المديني: «مجهول»، وفي الباب حديث حُذيفة في «صحيح مسلم».

وقال أبو هريرة: «ما عابَ رسولُ الله ﷺ طعامًا قَط، إنْ اشْتَهاه أكلَه، وإلا تركَه»، متفق عليه.

وعن وَحْشِيٍّ: «أنَّ أناسًا قالوا: يا رسولَ الله، إنَّا نأكلُ ولا نَشبعُ، قال: (**فلعلكم تفترقون؟**)، قالوا: نعم، قال: (**فاجتمِعُوا على طعامِكم، واذكروا اسمَ الله تعالى يُبارَكُ لكُم فيه**)»، رواه أبو داود.

وعن معاذٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أكلَ أو شَربَ فقال: (الحمدُ لله الذي أطعَمني هذا الطَّعام ورزَقنِيه من غَير حَوْل مِني ولا قوَّة)، غُفر له ما تقدَّم مِن ذَنبه**»، قال الترمذي: حديث حسن.

وعن أبي سَعيدٍ ﷺ: «أنَّ النبي ﷺ كان إذا فَرغَ مِن طَعامِه، قال: (**الحمدُ لله الذي أطْعمَنا وسَقانا وجَعَلنا مسلمين**)»، رواه أبو داود والترمذي[1].

وذكرَ النسائي عن رَجل خَدمَ النبي ﷺ: «أنه كان يسمعُ النبي ﷺ إذا قُرِّب إليه طَعامُهُ يقولُ: (**بسم الله**)، وإذا فرغَ من طعامِه، قال: (**اللهمَّ أطعمتَ وسقيتَ، وأغنيْتَ، وأقنيْتَ، وهديْتَ واجتَبَيتَ، فلكَ الحمدُ على ما أعطيْتَ**)».

وفي «صحيح البخاري» عن أبي أُمامةَ ﷺ: أن النبي ﷺ كانَ إذا رفعَ مائِدته قال: (**الحمدُ لله كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، غيرَ مَكْفِيٍّ، ولا مُوَدَّع، ولا مُسْتَغنىً عنه ربَّنا**)».

الفصل الحادي والأربعون: في ذِكر الضَّيفِ إذا نزلَ بقَوم

عن عبدِ الله بن بُسر قال: «نزلَ رسولُ الله ﷺ على أَبي، فقَرَّبْنا إليه طعامًا، ثمَّ أُتِي بشَراب فقالَ أَبي: (ادعُ الله تعالى لنا)، فقالَ: (**اللهمَّ بارك لهم فيما رَزقتَهم، واغفِر لهم، وارحَمهم**)»، رواه مسلم.

وعن أنس: أن النبي ﷺ جاء إلى سعدِ بن عُبادةَ، فجاءَ بخُبز وبزَيتٍ فأكلَ، ثم قال النبي ﷺ: «**أفطرَ عندَكم الصَّائمون، وأكلَ طعامَكم الأبرارُ، وصلَّت عليكُم المَلائكة**»، رواه أبو داود.

---

(١) قال ابن مُفلح في الآداب (٣/ ٢٠٦): «فيه ضعفٌ واضطراب»، وقال الذهبي في الميزان (١/ ٢٢٨): «غريبٌ مُنكر».

وعن جابر قال: «صَنعَ أبو الهَيثم بن التَّيِّهان للنبي ﷺ طعامًا، فدَعا النبيَّ ﷺ وأصحابَه، فلمَّا فَرغُوا قال: (**أَثِيبوا أخاكم**)، قالوا: يا رسول الله وما إثابته؟، قال: (**إن الرجلَ إذا دُخلَ بيتُهُ فأُكِلَ طعامُهُ، وشُربَ شرابُه، فدَعَوا له، فذلك إثابتُهُ**)» رواه أبو داود[1].

الفصل الثاني والأربعون: في السَّلام

عن عبدِ الله بن عمرو ﷺ: «أنَّ رجلًا سألَ رسولَ الله ﷺ: أيُّ الإسلام خيرٌ؟، قالَ: (**تُطعِمُ الطعامَ، وتَقرأُ السَّلامَ على مَن عَرفتَ ومَن لم تَعرف**)»، متفق عليه.

وقالَ أبو هريرةَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا تَدخُلوا الجنةَ حتى تُؤمِنوا، ولا تُؤمِنوا حتى تَحابُّوا، أفلا أدلُّكم على شيءٍ إذا فَعَلتُموه تَحاببتُم؟ أفشُوا السلامَ بينَكم**»، رواه أبو داود.

وقالَ عمَّارُ بن ياسر ﷺ: «ثلاثٌ مَن جَمعَهُنَّ جَمعَ الإيمانَ: الإنصافُ مِن نفسِك، وبذلُ السَّلام للعالَم، والإنفاقِ مِن الإقْتار»، ذكَره البُخاري.

وقال عِمرانُ بن حُصين: «جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: (السَّلامُ عليكُم)، فردَّ عليه، ثمَّ جلسَ، فقال النبي ﷺ: (**عَشرٌ**)، ثم جاء آخرُ فقالَ: (السَّلامُ عليكُم ورحمةُ الله) فردَّ عليه، فجلَس، فقالَ: (**عُشرون**)، ثم جاءَ آخرُ، فقال: (السلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه) فردَّ عليه، فجلسَ فقال: (**ثلاثُون**)»، قال الترمذي: حديث حسن.

وعن أبي أُمامة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ أَوْلى النَّاس بالله مَن بدأَهم بالسَّلام**»، قال الترمذي: حديث حسن.

وخرَّج أبو داود عن عليٍّ ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**يُجزئُ عن الجماعةِ إذا مَرُّوا أن يُسلِّمَ أحدُهُم، ويُجزئُ عن الجُلُوس أن يَرُدَّ أحدُهُم**».

وقال أنس: «مَرَّ النبيُّ ﷺ على صِبيانٍ يلعبون، فسلَّم عليهم»، حديث صحيح.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**إذا انتهى أحدُكُم إلى المَجلس فليُسلِّم، فإذا أرادَ أن يقومَ فليسلِّم فليسَت الأُولى بأحقَّ مِن الآخِرةِ**»، حديثٌ حسن.

---

(١) فيه يزيد الدالاني، كثيرُ الخطأ، ومُدلِّسٌ، وفيه رجلٌ لم يُسَمَّ، وقد ضعَّف الحديث الحافظ ابن حجر في «النتائج».

الفصل الثالث والأربعون: في الذِّكر عند العُطاس

قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «**إنَّ الله يُحبُّ العُطاسَ، ويكرَهُ التَّثاؤبَ، فإذا عَطسَ أحدُكم وحَمِدَ الله كان حقًّا على كلِّ مسلم سَمِعَه أن يقولَ: (يرحمُك الله)، وأما التَّثاؤُبُ فإنَّما هو من الشَّيطان، فإذا تثاءَبَ أحدُكُم فليَرُدَّه ما استطاعَ، فإنَّ أحدَكُم إذا تثاءبَ ضَحِكَ الشيطانُ منه**»، رواه البخاري.

وعنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: «**إذا عطسَ أحدُكم فليقُل: (الحمد لله)، وليقُل له أخوه أو صاحبُه: (يرحمُك الله)، فإذا قال: (يرحمُك الله) فليقُل: (يَهديكُم الله، ويُصلِحُ بالَكُم)**»، رواه البخاري، وفي لفظِ أبي داود: (**الحمدُ لله على كلِّ حال**).

وقال أبو مُوسى الأشعَري رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إذا عَطسَ أحدُكم فحَمد الله، فشمِّتوه، فإن لم يَحمد الله فلا تُشمِّتوه**»، رواه مسلمٌ.

الفصل الرابع والأربعون: في ذكر النِّكاح، والتَّهنِئَةِ به، وذِكر الدُّخول بالزَّوجةِ

قال عبدُ الله بنُ مسعود: «علَّمنا رسولُ الله ﷺ خُطبة النكاح: «**الحمدُ لله، نَحمدُهُ ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسِنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يَهد الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسوله** -وفي روايةٍ زيادة: **أرسلَه بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا بين يدي السَّاعة، مَن يُطع الله ورسولَه فقد رَشد، ومَن يَعصِهما فلا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ الله شيئًا**- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾»، رواه أهلُ السُّنن الأربعة، وقال الترمذي: حديث حسن[1].

وعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ كان إذا رفَّأَ الإنسانَ؛ إذا تزوَّج قال: «**باركَ الله لكَ، وباركَ عليكَ، وجمعَ بينكُما في خَير**» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

---

(١) هذه الزيادة المذكورة تفرَّد بها: أبو عِياض وهو مجهول. انظر كتاب: «خطبة الحاجة» (ص١٣).

وعن عَمرو بن شُعيب عن أبيه عن جدِّه عن النبي ﷺ قال: «**إذا تزوَّجَ أحدُكم امرأةً أو اشترى خادمًا فليقُل: (اللهمَّ إني أسألك خَيرَها، وخيرَ ما جَبلتَها عليه، وأعُوذُ بك مِن شرِّها، وشرِّ ما جَبلتَها عليه)، وإذا اشتَرى بعيرًا فليَأخُذ بذُرْوَةِ سَنامِه وليقُل مِثل ذلك**» رواه أبو داود.

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**لو أنَّ أحدَكم إذا أَتى أهلَه قال: (بسم الله، اللهمَّ جنِّبنا الشَّيطان، وجنِّب الشيطانَ ما رزَقتَنا)، فقُضِيَ بينَهُما ولَدٌ لم يَضرَّهُ شيطانٌ أبدًا**».

الفصلُ الخامِس والأربعون: في الذِّكر عندَ الولادَةِ، والذِّكر المُتعلِّق بالوَلَدِ

يُذكر: أن فاطمةَ رضي الله عنها «لمَّا دنا وِلادُها، أمرَ النبي ﷺ أمَّ سلمةَ، وزَينبَ بنت جَحش أن تَأتياها، فتقرآ عليها آيةَ الكُرسي، و﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ إلى آخر الآيتَين، وتُعوِّذانها بالمُعوذتَين»[1].

وقال أبو رافع: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ أذَّنَ في أُذنِ الحَسن بن عليٍّ حينَ ولدَتْه فاطمةُ بالصلاةِ»، قال الترمذي: حديثٌ حسن صحيح[2].

ويُذكَر: عن الحُسين بن عليٍّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن وُلِدَ له مَولودٌ فأذَّن في أُذُنه اليُمنى، وأقامَ في أُذنه اليُسرى، لم تضرَّه أمُّ الصِّبيانِ**»[3].

وقالت عائشة: «**كان النبي ﷺ يُؤتى بالصِّبيان، فيدعُو لهم بالبركةِ، ويُحنِّكهم**»، رواه أبو داود.

وقال عبدُ الله بن عمرو رضي الله عنهما: «إنَّ النبي ﷺ أمرَ بتسميةِ المَولودِ يومَ سابعه، ووَضْع الأذى عنه، والعَقِّ»، قال الترمذي: حديثٌ حسن.

وقد سمَّى النبيُّ ﷺ ابنَه إبراهيم، وإبراهيم بن أبي مُوسى، وعبد الله بن أبي طلحَة،

---

(١) إسنادهُ ضعيفٌ جدًّا، فيه راويان ضعيفان، وثالثٌ متَّهمٌ بالكذب، لذا صدَّره المصنِّف بقوله: «ويُذكر» إشارة لضعفه.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٦٣): «مدارُهُ على عاصم بن عبيد الله، وهو ضعيفٌ»

(٣) في إسناده: يحيى بن العلاء، ومروان بن سالم، وكِلاهُما مُتَّهمٌ بوضعِ الحديث، لذا صدَّره المصنِّف بقوله: «ويُذكر» إشارة لشدَّة ضعفه. وقوله (**أم الصِّبيان**): هي ريحٌ تَعرضُ للصِّبيان يفزعون منها، وربَّما غُشيَ عليهم بسببها.

والمُنذر بن أُسيد قريبًا مِن وِلادَتِهم.

وعن أبي الدَّرداءِ قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنكُم تُدعَون يومَ القيامةِ بأسمائكم، وأسماء آبائكم؛ فأَحْسِنوا أَسماءَكم**»، ذكره أبو داود[1].

وذكرَ مسلمٌ عن عبدِ الله بن عمر قالَ: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أحبَّ أسمائكم إلى الله** عَزَّوَجَلَّ: **عبد الله، وعبد الرحمن**».

وعن أبي وَهْب الجُشَمي رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**تَسَمَّوا بأسماء الأنبياءِ، وإن أحبَّ الأسماء إلى الله** عَزَّوَجَلَّ: **عبد الله، وعبد الرحمن، وأَصدقَها: حارثٌ وهمَّامُ، وأَقبحَها: حربٌ، ومرَّة**»، رواه أبو داود والنسائي[2].

وغيَّر النبيُّ ﷺ الأسماءَ المكروهةَ إلى أسماءٍ حسنةٍ، فغيَّر اسمَ برَّة إلى زَينب، وغيَّر اسمَ حَزْنٍ إلى سَهل، وغيَّر اسمَ عاصِية فسمَّاها جَميلة، وغيَّر اسمَ أَصْرم إلى زُرعة، وسمَّى حربًا سلمًا، وسمَّى المُضطَجِع المُنبعِث، وسمَّى أرضًا يُقالُ لها: عَفْرة، خُضرة، وشِعَب الضَّلالةِ سمَّاه شِعَب الهُدى، وبنو الزِّنية سمَّاهم بني الرِّشْدة.

الفصل السَّادس والأربعون: في صياح الدِّيَكة، والنَّهيق والنباح

في «الصَّحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إذا سَمعتُم نهيقَ الحَمير، فتعوذُوا بالله مِن الشَّيطانِ، فإنها رأت شيطانًا، وإذا سمِعتُم صِياح الدِّيَكة فسلُوا الله مِن فضلِه، فإنها رأَت مَلَكًا**».

وفي «سُنن أبي داود» عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سمعتُم نِباح الكِلاب، ونهيقَ الحَمِير بالليل، فتعوَّذوا بالله منهنَّ، فإنهنَّ يَرينَ ما لاترونْ**»، رواه أبو داود.

الفصل السابع والأربعون: في الذِّكر يُطفأُ به الحَريق

يُذكر عن عمرو بن شُعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم**

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٥٧٧): «في سنده انقطاعٌ بين عبد الله بن أبي زكريا وأبي الدرداء فإنه لم يدركه».

(٢) قوله «**تسمَّوا بأسماء الأنبياء**» تفرَّدَ بها عُقيل بن شبيب، وهو مجهول، وأمَّا بقيَّة الحديث فله شواهد يرتقي بها للصِّحة.

الحريقَ فكبِّروا، فإن التَّكبيرَ يُطفِئهُ»[1].

الفصل الثامن والأربعون: في كفَّارةِ المجْلسِ

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن جلَسَ مَجلِسًا فكثُرَ فيه لَغَطُهُ، فقالَ قبل أن يقومَ من مَجلسِهِ ذلك: (سُبحانك اللهمَّ وبحمدِك، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، أستغفرُك وأتوبُ إليك) إلا كفَّر الله له ما كان في مجلسِهِ ذلك**»، قال الترمذي: حديثٌ حسن صحيح.

وفي حديثٍ آخر: «**أنه إنْ كانَ في مَجْلس خَيرٍ كان كالطَّابع له، وإن كان في مَجلسِ تَخليطٍ كان كفَّارة له**».

وفي «السُّنن» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «**ما مِن قَوم يقُومونَ مِن مَجْلس لا يَذكرُون الله تعالى فيه إلا قامُوا عن مِثل جِيفَةِ حِمار، وكان عليهم حَسْرة**».

وعن ابن عمر قال: «قلَّما كان رسول الله ﷺ يقومُ من مَجلس، حتى يَدعُوَ بهؤلاءِ الكلماتِ لأصحابه: (**اللهمَّ اقسِم لنا من خَشيَتِك ما تَحولُ به بيننا وبينَ مَعصيتِك، ومن طاعتِك ما تُبلِّغنا به جنَّتَكَ، ومن اليَقين ما تُهوِّنُ به عَلينا مَصائبَ الدنيا، اللَهمَّ متِّعنا بأسماعِنا وأبصارنا وقُوَّتِنا ما أحييتنا، واجعلْه الوارثَ منا، واجعلْ ثَأرنا على مَن ظَلَمَنا، وانصُرْنا على مَن عادانا، ولا تَجعَلْ مُصيبتَنا في دينِنا، ولا تجعَلْ الدنيا أكبرَ همِّنا، ولا مَبلغَ علمِنا، ولا تُسلِّط علينا مَن لا يَرحمنا**»، قال التِّرمذيُّ: حديث حسن.

الفصل التاسع والأربعون: فيما يُقال ويُفعلُ عند الغضب

قال الله ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

وقال سُليمانُ بن صُرَد: كنتُ جالسًا مع النبي ﷺ ورجُلان يَسْتَبَّان، أحدُهما قد احمَرَّ وَجْهُهُ، وانتفَخَتْ أوْدَاجُهُ، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلمُ كلمةً لو قالها لذهبَ عنه ما يَجِدُ، لو قالَ: (أعوذُ بالله من الشيطان الرَّجيم)، ذهبَ عنه ما يَجِدُ**»، متفقٌ عليه.

وعن عَطيَّة بن عُروة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الغضبَ من الشيطانِ، وإن الشيطانَ**

(١) قال الدارقطني: «منكرٌ»، وضعَّفه ابن رجب في «الفتح» (٣/ ٤٢٧)، لذا صدَّره المصنِّف بقوله: «ويذكر» إشارة لضعفه.

خُلقَ من النَّار، وإنما تُطفأُ النارُ بالماءِ، فإذا غَضبَ أحدُكم فلْيتوضأ»، رواه أبو داود[1].

وفي حديثٍ آخر: «**أنه أمرَ مَن غَضبَ إذا كان قائمًا أن يجلسَ، وإذا كان جالسًا أن يضطجعَ**».

الفصلُ الخَمسون: فيما يُقالُ عندَ رؤية أهل البلاءِ

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**مَن رأى مُبْتَلى فقال: (الحمدُ لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضَّلني على كَثير ممَّن خلقَ تفضيلًا)، لم يَصبْهُ ذلك البلاءُ**»، قال الترمذي: حديث حسن.

الفصل الحادي والخمسون: في الذِّكر عند دُخول السُّوقِ

عن عُمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن دخلَ السُّوقَ فقال: (لا إله إلا الله وحدُه لا شَريكَ له، له المُلك وله الحمدُ، يُحيي ويُميت، وهو حيٌّ لا يموتُ، بيده الخَير وهُو على كلِّ شَيء قديرٌ، كتبَ الله له ألفَ ألفَ حسنة، ومَحا عنه ألفَ ألفَ سيئة، ورفع له ألفَ ألفَ درجة**»، رواه التِّرمذي[2].

وعن بريدة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخلَ السُّوقَ قال: «**بسم الله، اللهمَّ إني أسألك خيرَ هذه السُّوق، وخيرَ ما فيها، وأعوذُ بك من شرِّها، وشرِّ ما فيها، اللهمَّ إني أعوذُ بك أن أُصيبَ بها، يمينًا فاجِرةً، أو صفْقةً خاسِرةً**»[3].

الفصلُ الثاني والخمسون: في الرَّجُل إذا خَدِرت رجْلُه

عن الهَيثم بن حَنش قال: «كنا عند عبد الله بن عمر ﷺ فخَدِرَتْ رجلُه، فقال له رجل: (اذكُر أحبَّ الناس إليك)، فقال: (يا محمد)، فكأنما نَشِطَ مِن عِقالٍ»[4].

---

(١) تفرَّد بروايته عطية بن محمد عن أبيه، وأبوه محمد مجهولٌ لا تُعرفُ حاله. انظر: «الضعيفة» (٥٨٢).

(٢) تقدَّم الكلام عليه (ص٥٣).

(٣) في إسناده محمد بن أبان الجعفي، ضعَّفه: ابن معين، وأبو داود، والنسائي، وغيرهم. انظر: «لسان الميزان» (٦/ ٤٨٨).

(٤) في سنده أبو إسحاق السَّبيعي وهو مشهورٌ بالتدليس، وقد عنعن في هذا الإسناد، وشيخه الذي روى عنه مجهول.

وعن مجاهدٍ رحمه الله قال: «خَدِرَت رجْلُ رَجُل عندَ ابن عباس رضي الله عنهما فقال: (اذكُر أحبَّ الناس إليكَ)، فقال: (محمد ﷺ) فذهبَ خدَرُهُ»[1].

الفصل الثالث والخمسون: في الدَّابةِ إذا عثَرَت

عن أبي المَليح عن رَجل قال: «كنتُ رَدِيفَ النبي ﷺ فعَثرَت دابَّتُهُ، فقلتُ: تَعِسَ الشيطانُ، فقالَ: (**لا تقل: تَعِسَ الشيطانُ، فإنك إذا قلتَ ذلك تَعَاظَم حتى يكونَ مِثلَ البيتِ، ويقول: (بقُوَّتي)، ولكِن قل: (بسم الله)، فإنك إذا قلتَ ذلِك تصاغَرَ حتى يكونَ مِثلَ الذُّبابِ**)».

الفصل الرابع والخمسون: في مَن أَهدَى هديةً، أو تصدَّقَ بصدقةٍ فدَعا له، ماذا يقولُ؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أُهْدِيتْ لرسول الله ﷺ شاةٌ، فقالَ: «**اقْسِمِيها**»، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا رَجَعَت الخادم تقولُ: ماذا قالوا؟ تقولُ الخادم قالوا: (بارَكَ الله فيكُم)، تقول عائشة رضي الله عنها: (وفيهم بارَكَ الله)، نردُّ عليهم مِثلَ ما قالوا، ويبقى أجرُنا لنا»، وقد رُويَ عنها في الصَّدقةِ مثلُ ذلك.

الفصل الخامس والخمسون: فيمَن أُميط عنه أذى

عن أبي أيوبَ رضي الله عنه: «أنه تَناولَ من لحيةِ رسول الله ﷺ أذىً، فقال رسول الله ﷺ: «مَسحَ الله عنكَ يا أبا أيوبَ ما تكرَهُ»، وفي لفظٍ آخر: «لا يكُن بك السُّوء يا أبا أيوبَ»[2].

وعن عمر رضي الله عنه: أنه أخذَ عن رجل شيئًا فقال الرجلُ: صرفَ الله عنكَ السُّوءَ، فقال عمر: صرفَ الله عنا السوءَ مِنذُ أسلَمْنا، ولكن إذا أُخِذَ عنك شيءٌ فقل: أخذَتْ يداكَ خيرًا.

---

(١) في إسناده غياث بن إبراهيم النَّخعي، اتُّهم بالكذب والوضع، والراوي عنه سلَّام بن سليمان، وهو متروك الحديث. **فلا يصحُّ في هذا الباب حديثٌ**، وعلى فرَضِ ثبوته فليس هو من قبيل التوسُّل، بل إنَّ هذا الدواء للخَدر معهودٌ عند العرب قبل الإسلام وبعدَه، فتذكُّر المحبوب يجعل الحرارة الغريزية تُحرِّكُ الدم في العروق؛ فيذهب الخَدَر، وهذا يحصلُ مع الكافرِ أيضًا إذا تذكَّر محبوبَهُ، كما ورد هذا في أشعار الجاهلية، وعليه فليس هذا الباب من قبيل الأذكار الشرعية، وإنَّما ذكره المصنِّف وشيخ الإسلام في «الكلم الطِّيب» تَبَعًا للنووي في كتابه «الأذكار». انظر كتاب: «هذه مفاهيمنا» (ص٥٢).

(٢) قال أبو زرعة الرازي: «هذا حديثٌ مُنكَر». انظر «العلل» لابن أبي حاتم (٢/ ٣٣٥).

الفصل السادس والخمسون: في رُؤيةِ باكُورَة الثَّمرةِ

قال أبو هريرة ﷺ: «كان الناسُ إذا رَأوا الثَّمرَ جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ، فقالَ: **(اللهمَّ بارك لنا في ثَمَرنا، وبارك لنا في مَدِينَتِنا، وبارك لنا في صَاعِنا، وبارك لنا في مُدِّنا)**، ثمَّ يعطيه أصْغرَ من يَحضُرُه مِن الوِلْدان»، رواه مسلم.

الفصل السابع والخمسون: في الشيءِ يَراه ويُعجِبُهُ، ويخافُ عليه العَين

قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾.

وقال النبي ﷺ: «**العَينُ حَقٌّ، ولو كان شيءٌ سابِقُ القَدَر، لَسَبقَتهُ العَينُ**»، حديث صحيح، ويُذكر عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا رَأى أحدُكم ما يُعجِبُهُ في نفسِه، أو مالِه، فلْيُبَرِّك عليه، فإن العَينَ حقٌّ**».

ويُذكر عنه ﷺ أنه قال: «**من رَأى شيئًا فأعْجبه، فليُقل: (ما شاءَ الله لا قوَّة إلا بالله)**»[1].

ويُذكر عنه ﷺ فيمَن خافَ أن يُصيبَ شيئًا بعَينِهِ قال: «**اللهمَّ بارك لنا فيه، ولا تَضُرَّه**»[2].

وقال أبو سعيد: «كان رسولُ الله ﷺ يتعوَّذُ من الجانِّ، وعَين الإنسانِ، حتى نزلَت المُعوِّذتان، فلما نزلَتا أخذَ بهما، وتركَ ما سِواهُما»، قال الترمذيُّ: حديثٌ حسن، ورواه ابن ماجه في «سنَنِه».

الفصل الثامن والخمسون: في الفَأْلِ والطِّيَرَةِ

قال النبي ﷺ: «**لا عَدوَى، ولا طِيَرةَ، وأصدقُها الفَأل، قيل: وما الفأل؟ قال: الكلمةُ الحسنةُ، يَسمعُها الرجل**».

وكان النبي ﷺ يُعجبُه الفَأل، كما كان في سَفر الهجْرَة، فَلَقِيَهُم رجُل، فقال: **ما اسمُكَ؟** قال: بُريدة، قال: (برَدَ أمرُنا)[3].

---

(١) في إسنادِه أبو بكر الهذلي وهو متروك، وحجَّاج بن نُصير وهو ضعيف، لذا صدَّره المصنِّف بقوله «يُذكرُ» إشارة لضعفه.

(٢) في إسنادِه عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي، وهو ضعيفُ الحديث.

(٣) في إسنادِه أوس بن عبد الله بن بُريدة، وهو متروك الحديث. انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ٢٨٧).

وقال ﷺ: «رأيتُ في مَنامي كأني في دار عُقبة بن رافِع، وأُتِينا مِن رُطَب ابن طاب، فأوَّلتُها الرِّفعة لنا في الدُّنيا، والعاقِبَة لنا في الآخرةِ، وأنَّ دينَنا قد طابَ».

وأما الطِّيَرةُ: فقالَ مُعاوية بن الحكم: قلت: يا رسول الله، منَّا رِجالٌ يتطيَّرون، قال: «**ذلك شيءٌ تَجِدونَه في صُدُوركم، فلا يَصُدَّنَّكم**»، وهذه الأحاديث في الصِّحاح.

وعن عُقبةَ بن عامر قال: «سُئِلَ رسولَ الله ﷺ عن الطِّيَرةِ، فقال: «**أصدقُها الفَأْلُ، ولا تَرُدُّ مُسلمًا، وإذا رأيتُم مِن الطِّيرةِ شيئًا تكرهُونه، فقولوا: (اللهمَّ لا يأتي بالحَسناتِ إلا أنتَ، ولا يَذهبُ بالسيئاتِ إلا أنتَ، ولا حَول ولا قوَّة إلا بالله)**»[1].

الفصل التاسع والخمسون: في الحَمَّام

يُذكرُ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «نِعم البيتُ الحمَّامُ يدخُلُه المسلمُ، إذا دخلَه سألَ الله الجنةَ، واستعاذَ به من النَّار».

الفصل الستون: في الذِّكر عند دُخول الخلاء والخُروج منه

في «الصحيحين» عن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا دخلَ الخلاءَ قال: (**اللهم إني أعوذُ بكَ من الخُبثِ والخَبائثِ**)»، وزاد سعيد بن منصور: «**بسم الله**».

وفي «مُسندِ الإمام أحمد» عن زَيد بن أرْقَم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذه الحُشوشَ مُحْتَضرة، فإذا أتى أحدُكم الخَلاءَ فليقُل: أعوذُ بالله مِن الخُبثِ والخَبائثِ**».

وفي «سنن ابن ماجه» عن أبي أُمامةَ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يَعجزُ أحدُكم إذا دخلَ مرفقه أن يقولَ: (اللهمَّ إني أعوذُ بك من الرِّجس النَّجس، الخَبيثِ المُخْبِثِ، الشَّيطان الرَّجيم)**»[2].

وفي «الترمذي» عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **سترُ ما بينَ الجنِّ وعوْراتِ**

---

(١) قوله: «عن عقبة بن عامر» كذا عند المصنِّف وشيخ الإسلام، ولعلَّهُما تَبِعَا النوَويَّ في كتابه «الأذكار»، والصوَّاب أنه: «عروة بن عامر»، كما في المصادر الحديثية، فيكون الحديثُ مُرسلًا. انظر: «السلسلة الضعيفة» (١٦١٩).

(٢) في إسناده علي بن يزيد الألهاني، وهو منكر الحديث، وضعَّف الحديث البوصيريُّ في «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٤).

بني آدم، إذا دخلَ الكَنيفَ أن يقولَ: بسمَ الله».

وقالت عائشة: «كان رسولُ الله ﷺ إذا خرجَ من الغائطِ، قال: **(غُفرانَك)**»، رواه الإمامُ أحمد، وأهل السُّنن.

وفي «سُنن ابن ماجه» عن أنس ﷺ: «كان النبي ﷺ إذا خرجَ من الخلاءِ، قال: «**الحمدُ لله الذي أذْهبَ عنِّي الأذَى، وعافاني**»[1].

الفصل الحادي والستون: في الذكر عند إرادة الوضوء

ثبتَ في «النسائي» عنه ﷺ: «أنه وَضعَ يده في الجَفْنَةِ وقال: «**توضَّؤوا ببسم الله**».

وفي «صحيح مسلم» عن جابر ﷺ في حديثِه الطَّويل، وفيه: «**يا جابر، نادِ بوَضوء**»، فقلتُ: ألا وَضوء؟ ألا وَضوء؟ ألا وَضوء؟ -وفيه:- فقال: «**خُذ يا جابر فصُبَّ عليَّ، وقل: بسم الله**» ، فصبَبتُ عليه، وقلت: بسم الله، فرأيتُ الماءَ يفورُ من بين أصابع رسول الله ﷺ».

وفي «المُسند»، و«السُّنن» مِن حديثِ سعيد بن زيد عن النبي ﷺ: «**لا وُضوءَ لمَن لم يذكُر اسمَ الله عليه**»، قال البخاريُّ: هذا أحسنُ شيءٍ في هذا الباب.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا صلاةَ لمَن لا وُضوءَ له، ولا وُضوءَ لمَن لم يَذكُر اسم الله عليه**»، رواه الإمامُ أحمد، وأبو داود.

وفي «المُسند» عن أبي سعيد الخُدري ﷺ عن النبي ﷺ: «**لا وضوءَ لمَن لم يذكُر اسم الله عليه**».

الفصل الثاني والستون: في الذِّكر بعد الفَراغ مِن الوضوءِ

روى مسلمٌ في «صحيحِه» عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «**ما مِنكم مِن أحدٍ يتوضَّأُ فيُبلغ - أو فيُسبِغُ - الوضوء، ثم يقول: (أشهدُ أن لا إله إلا الله وَحدَه لا**

---

(١) فيه إسماعيل بن مسلم المكي، متَّفق على ضعفه، وضعَّف هذا الحديث النووي في «المجموع» (٢/ ٩٠)، والبوصيري في «المصباح» (١/ ٤٤)، وغيرهما، وقد روي هذا الذِّكر عن أبي ذرٍّ ﷺ موقوفًا عليه بسندٍ جيِّد.

شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه) إلا فُتِحت له أبوابُ الجنةِ الثَّمانيةِ، يدخلُ من أيها شاءَ».

وزادَ فيه الترمذي بعد ذِكر الشَّهادتين: «**اللهمَّ اجعَلْني من التَّوابين، واجْعلني من المتطهِّرين**»[1].

وفي بعض طُرقِه ذكرَها أبو داود والإمام أحمد: «**فأحسنَ الوضوء، ثم رفعَ نَظَرَهُ إلى السماء فقال:...**» وذَكَرَه[2].

وفي لفظٍ للإمام أحمد: «**مَن توضَّأ فأحْسنَ الوضوء، ثم قالَ ثلاث مرات: أشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه**»[3].

وفي «سُنن النسائي» عن أبي سَعيد الخُدري قال: «مَن توضَّأَ ففَرَغَ من وُضوئِه، فقال: سُبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، أستغفِرُك وأتوبُ إليكَ، طُبِعَ عليها بطابع، ثم رُفِعَت تحتَ العَرش، فلم تُكسَر إلى يَوم القِيامةِ»، هكذا رواه مِن قَولِ أبي سعيد ﷺ، ورواه بَقيُّ بن مَخلد في «تفسيرِه» مِن حَديثِه أيضًا مرفوعًا.

وأمَّا الأذْكارُ التي يقولُها العامَّةُ على الوُضوءِ، عندَ كلِّ عُضو، فلا أصلَ لها عن رسُول الله ﷺ، ولا عن أحدٍ من الصَّحابةِ والتَّابعينَ، ولا الأئمَّة الأربعة، وفيها حديثٌ كذِبٌ على رسول الله ﷺ.

الفصلُ الثالث والسُّتون: في ذِكر صَلاةِ الجَنازة

في «صَحيح مُسلم» عن عَوفِ بن مالك قال: «صلَّى رسولُ الله ﷺ على جَنازةٍ، فحَفظْتُ مِن دُعائِه، وهو يقولُ: (**اللهمَّ اغفِر له وارحمهُ، وعافِهِ واعفُ عنهُ، وأكْرم نُزلَهُ، ووسِّع مُدخَلَهُ، واغسِلهُ بالماءِ والثَّلج والبَرَدِ، ونقِّه مِن الذنوب والخطايا، كما نقَّيتَ الثوبَ الأبيضَ من الدَّنس، وأبدِلهُ دارًا خيرًا مِن دارِه، وأهلاً خيرًا من أهله، وزَوجًا خيرًا**

---

(١) قال ابن حجر في النتائج (١/ ٢٤١): «لم تثبت هذه الزيادة في هذا الحديث، فإن جعفر بن محمد شيخ الترمذي تفرد بها».

(٢) رواه أبو عقيل، عن ابن عمِّه، فلا تصحُّ هذا الزيادة لتفرُّد هذا الرجل المبهم وعدم معرفة حاله، والحديث ثابتٌ بدونها.

(٣) في إسناده زيد العمِّي، وهو ضعيفٌ، وهذا الذِّكرُ ثابتٌ دون قوله: «ثلاث مرات». انظر «السلسة الضعيفة» (٤٥٧٨).

من زوجِهِ، وأَدخلهُ الجنةَ وأَعِذهُ مِن عذاب القَبر)، قال: حتَّى تمنَّيتُ أن أكونَ ذلك الميِّت لدعاءِ رسول الله ﷺ»، وفي لفظ: «وقِهِ فتنةَ القَبر وعذاب النَّار».

وفي «سنن أبي داود» عن أبي هريرة قال: «صلَّى رسول الله ﷺ على جنازةٍ فقال: «اللهمَّ اغفِر لحيِّنا وميِّتنا، وشاهدِنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذَكَرنا وأُنثانا، اللهمَّ مَن أَحيَيتَهُ مِنا فأحيِهِ على الإسلام، ومَن توفَّيتَهُ مِنا فتوَفَّهُ على الإيمان، اللهمَّ لا تَحرمنا أجرَه، ولا تضلِّنا بعده».

وفي «سُنن أبي داوُد» أيضًا عن واثلةَ بن الأَسْقَع: «صلَّى رسولُ الله ﷺ على رجُل من المسلمين، فسمِعتُهُ يقولُ: «اللهمَّ إنَّ فُلانَ بن فُلان في ذمَّتِك، وحَبل جِوارك، فقِهِ من فتنةِ القَبرِ، وعَذابِ النار، وأنتَ أهلُ الوَفاء والحمدِ، اللهمَّ فاغفِر له، وارحمهُ، إنكَ أنتَ الغفورُ الرَّحيم».

وسألَ مَروانُ أبا هُريرة: كيفَ سمعتَ رسولَ الله ﷺ يُصلِّي على الجنازةِ؟، قالَ: «اللهمَّ أنتَ ربُّها، وأنتَ خلقتَها، وأنتَ هَديتَها للإسلام، وأنت قبضتَ رُوحَها، وأنتَ أَعلمُ بسِرِّها وعلانِيَتِها، جِئنا شُفعاء فاغفِر له»، رواه الإمام أحمد، وأبو داود.

الفصل الرابع والستون: في الذَّاكر إذا قالَ هُجْرًا، أو جَرى على لسانِه ما يُسخِطُ ربَّه عَزَّوَجَلَّ

ثبتَ عن النبي ﷺ: «مَن حلفَ منكُم، فقالَ في حلفِه: واللاَّتِ والعُزَّى، فليقُل: (لا إله إلا الله)، ومَن قالَ لصاحبه: تعالَ أُقامِركَ فليتصدَّق».

فكلُّ مَن حلفَ بغَير الله فهذه كفَّارته؛ لأن النبيَّ ﷺ قال: «مَن حلفَ بغَير الله فقد أَشْركَ»، حديث صحيح.

وكفَّارةُ الشِّركِ: التَّوحيد، وهو كلمةُ (لا إله إلا الله).

ومَن قال: «تعالَ أُقامركَ»، فقد تكلَّم بهُجْر وفُحْش يتضمَّن أكلَ المالِ وإخراجه بالباطِل، وكفَّارةُ هذه الكلِمة بضدِّ القِمار، وهو إخراجُ المالِ في أحقِّ مواضعه، وهو الصَّدقة.

وقال مُصعب بن سعد بن أبي وقَّاص عن أبيه: حلفتُ باللَّات والعزَّى - وكان العهد قريبًا - فذَكرتُ ذلك للنبي ﷺ فقال: «قد قلتُ هُجْرًا[1]، **قُل: (لا إله إلا الله وحدُه لا شريكَ له)، وانفُث عن يسارِك سبعًا ولا تَعُد**».

الفصل الخامس والستون: فيما يقولُ مَن اغتابَ أخاه المُسلم

يُذكر عن النبيِّ ﷺ: أنَّ كفارةَ الغيبةِ أن تَستغفرَ لمَن اغتبتُه تقول: (**اللهمَّ اغفِر لنا وله**)»، ذكرُه البيهقي في كتاب «الدَّعواتِ الكَبير»، وقال: في إسنادِه ضَعفٌ.

وهذه المسألة فيها قَولانِ للعُلماءِ -هما رُوايتانِ عن الإمام أحمد- وهُما: هَل يكفِي في التَّوبة مِن الغيبةِ الاستِغفار للمُغتاب أم لا بُدَّ مِن إعلامِه وتَحلُّلِه؟

والصَّحيحُ: أنه لا يحتاجُ إلى إعلامِه، بل يكْفيهِ الاسْتِغفارُ له، وذِكرُهُ بمَحاسن ما فيه في المَواطِن التي اغتابه فيها، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره.

والذين قالوا: لابدَّ من إعلامِه جعلوا الغيبةَ كالحُقوقِ الماليةِ، والفَرقُ بينَهما ظاهرٌ، فإنَّ في الحقوق المالية ينتفعُ المَظلومُ بعَود نَظير مَظلمتِهِ إليه، فإن شاءَ أخذَها، وإن شاءَ تصدَّقَ بها، وأما في الغيبةِ فلا يُمكن ذلك، ولا يَحصُلُ له بإعلامِه إلا عكس مقصُود الشارع ﷺ، فإنه يُوغِرُ صدرَه ويُؤذيهِ إذا سَمع ما رُمي به، ولعلَّه يُنتِجُ عداوتَهُ، ولا يَصفُو له أبدًا، وما كان هذا سبيلُهُ فإنَّ الشارعَ الحكيمَ ﷺ لا يُبيحُه، ولا يُجَوِّزُه، فضلًا عن أن يوجِبَهَ ويأمرَ به، ومدارُ الشَّريعةِ على تَعطيل المَفاسدِ وتقليلِها، لا على تحصيلِها وتكميلِها، والله تعالى أعلم.

الفصل السادس والستون: فيما يُقالُ ويُفعلُ عندَ كُسوفِ الشَّمس، وخُسوفِ القَمر

في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الشمسَ والقمرَ لا يَخْسفانِ لموتِ أحدٍ، ولا لحياتِه، فإذا رأيتُم ذلك، فادعُوا الله، وكبِّروا، وتصدَّقوا**».

---

(١) هذه الجملة مُدرجة من كلامِ بعض الصحابةِ، كما جاء في «مسند» الإمام أحمد: «فقال أصحابي: قد قلتَ هجرا».

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الرحمن بن سَمُرة قال: «بينا أنا أرْمي بأسْهُمٍ لي في حياةِ رسول الله ﷺ، إذ كَسفت الشَّمسُ فنَبَذْتُهُنَّ، وقلتُ: لأَنظُرَنَّ ما حدثَ لرسولِ الله ﷺ في كُسُوف الشَّمس اليوم، فانتهيتُ إليه، وهو رافعٌ يديه؛ يُسبِّحُ، ويحمدُ، ويهلِّلُ، ويدعُو، حتى حُسِرَ عن الشَّمس، فقرأَ بسُورتين، ورَكعَ ركعتين»

والنبي ﷺ أمرَ في الكسوفِ بالصَّلاةِ، والعَتاقةِ، والمُبادرةِ إلى ذِكر الله تعالى، والصَّدقةِ، فإنَّ هذه الأمورَ تدفعُ أسبابَ البلاءِ.

الفصل السابع والستون: فيما يقولُ مَن ضاعَ له شيءٌ، ويدعُو به

ذكرَ علي بن المديني، عن سفيان، عن ابن عَجلان، عن عمرَ بن كَثير بن أفلَح، قال: «كان ابنُ عمر يقولُ للرجُل إذا أضلَّ شيئًا: (قُل: اللهمَّ ربَّ الضَّالةِ هادِي الضَّالةِ تَهدي مِن الضَّلالةِ، رُدَّ عليَّ ضالتي بقُدرتِك، وسُلطانِك، فإنَّها مِن عطائِك وفضلِك)».

وفي وجهٍ آخر: «سُئلَ ابن عمر ﷺ عن الضَّالةِ فقال: يتوضَّأ، ويُصلي ركعتين، ثم يتشهدُ ويقولُ: اللهمَّ رادَّ الضَّالةِ، هادي الضَّلالةِ، تهدي مِن الضَّلالِ، رُدَّ عليَّ ضالتِي، بعزتِك وسُلطانِك، فإنها مِن فضلِك وعطائِك»، قال البيهقي: «هذا موقوفٌ حسن».

وقد قيلَ: إنَّ مَن ضاعَ له شيءٌ، فقال: (يا جامِعَ الناس لِيَوم لا ريبَ فيه، رُدَّ عليَّ ضالتي)، ردَّها الله تعالى عليه.

الفصل الثامن والستون: في عَقْد التَّسبيح بالأصابع، وأنه أفضل من السُّبْحة

روى الأعمشُ عن عَطاء بن السَّائب عن أبيه عن عبدالله بن عمرو قال: «رأيتُ رسول الله ﷺ يَعقِدُ التَّسبيحُ بيمينِه»، رواه أبو داود.

وروت يُسيرَة -إحدى المُهاجرات- ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**عليكُنَّ بالتَّسبيح، والتَّهليل، والتَّقديس، ولا تَغفُلنَ فتَنْسَيْنَ الرَّحمةَ، واعقِدْنَ بالأنامِل، فإنهنَّ مَسؤولاتٌ ومُستَنطقَات**».

الفصل التاسع والستون: في أحبِّ الكَلام إلى الله ﷻ بعد القرآن

ثبت في «صحيح مسلم» عن سُمرة بن جُندب قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحبُّ الكلام إلى الله تعالى أربعٌ لا يضرُّك بأيهنَّ بدأت: سُبحان الله، والحَمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»، وفي أثَرٍ آخر: «**أفضلُ الكلام بعدَ القُرآن أربع وهنَّ من القرآنِ: سُبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**».

وفي أثر آخر: «**أفضلُ الكَلام ما اصْطفى الله لملائكتِه: سُبحان الله وبحمدِه**».

وفي «الصَّحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**كَلمتانِ خَفيفتانِ على اللِّسانِ، ثَقيلتان في المِيزان، حَبيبتان إلى الرحمن: سُبحانَ الله وبحمدِه، وسُبحانَ الله العظيم**».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لأَن أقولُ: سُبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبُّ إليَّ مما طَلعت عليه الشَّمس**».

الفصل السبعون: في الذِّكر المُضاعَف

في «صحيح مسلم» عن جُويريةَ أم المؤمنين أن النبيَّ ﷺ خرجَ من عندِها بُكرةً حين صلَّى الصُّبح، وهي في مسجدِها، ثمَّ رجعَ بعدَما أضْحى وهي جالسةٌ، فقالَ: «**ما زلتِ على الحالِّ التي فارقتُك عليها؟** قالت: نعم، فقال النبي ﷺ: **لقد قُلتُ بَعدَكِ أربعَ كلماتٍ ثلاث مرات لو وُزِنَت بما قُلتِ منذُ اليومَ لوزنَتهنَّ: (سُبحان الله عددَ خلقِه، سُبحانَ الله رضَى نفسِهِ، سبحان الله زنَةَ عرشِهِ، سبحان الله مِدادَ كلماتِه)**».

وعن سعد بن أبي وقَّاص: «أنه دخلَ مع رسول الله ﷺ على امرأةٍ، وبينَ يديها نَوى أو حَصى تُسبِّحُ به فقال: **ألا أخبرُك بما هو أيسرُ عليكِ من هذا وأفضل**، فقال: (**سبحان الله عددَ ما خلقَ في السماءِ، سبحانَ الله عددَ ما خلقَ في الأرضِ، سبحانَ الله عددَ ما بينَ ذلك، سبحانَ الله عددَ ما هو خالِقٌ، والله أكبر مِثل ذلك، ولا إله إلا الله مِثل ذلك، والحمدُ لله مِثل ذلك، ولا حَول ولا قوَّة إلا بالله مِثل ذلك**»، رواه أبو داود والتِّرمذي وقال: حديث حسن[1].

---

(١) تقدَّم الكلام عليه (ص١٠١).

الفصل الحادي والسبعون: فيما يُقال لِمَن حَصَلَ له وَحْشَة

رُوِّينا في «مُعجم الطَّبراني» عن البراءِ بن عازب: «أنَّ رجلًا اشتكَى إلى رسول الله ﷺ الوَحْشَةَ فقال: **(قل: سبحانَ المَلِك القُدُّوس، رب الملائكةِ والرُّوح، جَلَّلْتَ السمواتِ والأرض بالعزِّة والجبرُوت)**، فقالها الرجلُ: فأذهبَ الله عنه الوَحْشةَ»[1].

الفصل الثاني والسبعون: في الذِّكر الذي يقولُه أو يُقالُ لَه إذا لبِسَ ثوبًا جديدًا

عن أبي نَضْرَة عن أبي سعيد الخُدري قال: «كان رسول الله ﷺ إذا استَجدَّ ثوبًا سمَّاه باسمه، قميصًا أو إزارًا أو عمامةً يقول: **(اللهمَّ لكَ الحمدُ أنتَ كَسوتَنِيه، أسألُك مِن خَيرِه، وخَير ما صُنعَ له، وأعوذُ بك من شرِّه، وشرِّ ما صُنعَ له)**».

قالَ أبو نضرة: وكانَ أصحابُ رسول الله ﷺ إذا رَأى أحدُهم على صاحبِه ثوبًا، قال: «تُبلي وَيُخلِفُ الله تعالى»، ذكره البيهقي.

وعن سَهل بن مُعاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**من لَبسَ ثوبًا فقالَ: (الحمدُ لله الذي كساني هذا ورزَقَنيه مِن غَير حَول مني ولا قوَّة)، غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر**».

الفصل الثالث والسبعون: فيما يُقالُ عند رؤية الفَجر

روى ابن وَهْب، عن سليمان بن بلال، عن سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا كان في سَفَر فبَدا له الفجر، قال: **(سَمَّع سامعٌ بحمد الله ونعمَتِهِ وحُسْن بلائه علينا، ربَّنا صَاحِبْنَا فَأَفضِلْ علينا، عائذًا بالله من النار)**، يقولُ ذلك ثلاث مرات، ويرفعُ بها صوتَهُ»، هذا إسنادٌ صحيح على شرطِ مسلم.

الفصل الرابع والسَّبعون: في التَّسليم للقضاءِ والقَدر، بعد بذل الجُهد في تَعاطي ما أُمِرَ به من الأسبابِ

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ

---

(١) في إسناده دَرمك بن عمرو، وهو مجهولٌ، وقد تفرَّد بهذا الحديث، قال الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٤/ ١٢٨): «هذا حديث غريب، وسنده ضعيف»، وحكمَ الذهبيُّ عليه بالنَّكارة في «ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٦).

كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾، فنهى سُبحانه عبادَه أن يتشبَّهوا بالقائلين : (لو كان كذا وكذا لما وقعَ قَضاؤُه بخِلافه).

وقال النبي ﷺ: «**وإيَّاكَ واللَّو، فإن اللَّو تَفتحُ عملَ الشيطانِ**».

وقال أبو هريرة : قال النبي ﷺ: «**المؤمنُ القوِّي خيرٌ، وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضَّعيف، وفي كلٍّ خير، احرصْ على ما ينفَعُك، واستَعِنْ بالله ولا تَعجِز، وإن أصابك شيء فلا تقُل: (لو أني فعلتُ كذا كان كذا وكذا)، ولكن قُل : (قَدَرُ الله وما شاءَ فعلَ)، فإن لو تَفتحُ عمل الشيطانِ**»، رواه مسلم .

وعن عَوف بن مالك: «أن النبيَّ ﷺ قضَى بين رَجُلين، فقال المَقضيُّ عليه لمَّا أدبر: (حسبنا الله ونِعمَ الوكيل)، فقال النبي ﷺ: «**إن الله يلومُ على العَجز، ولكن عَليك بالكَيْس، فإذا غلبَك أمرٌ، فقُل: (حسبيَ الله ونِعمَ الوكيل)**»[1].

فنهى النبي ﷺ أن يقولَ عند جَريان القضاءِ ما يضرُّه ولا ينفعُهُ، وأمرَه أن يفعلَ مِن الأَسبابِ ما لا غِنى له عنهُ، فإنْ أعْجزَهُ القَضاءُ، قال: (حَسبيَ الله ونعم الوكيل)، فإذا قال: (حَسبيَ الله) بعد تَعاطِي ما أُمِرَ به مِنَ الأسباب قالَها وهو مَحمودٌ، فانتفع بالفِعل والقَول، وإذا عَجَزَ وتركَ الأسبابَ وقالها؛ قالها وهو مَلُومٌ بتركِ الأسبابِ التي اقتَضتْها حكمةُ الله عَزَّوَجَلَّ، فلم تنفَعْهُ الكلمةُ نفعَها لمن فعلَ ما أُمرَ به.

الفصل الخامس والسبعون: في جَوامِع من أَدعيةِ النبي ﷺ وتعوُّذَاتِهِ لا غِنى للمرءِ عنها

قالت عائشة: «كان النبي ﷺ يُحبُّ الجَوامِعَ من الدعاءِ، ويدَعُ ما بين ذلك».

وفي «المُسند» و «النسائي»، وغيرهما: «أنَّ سعدًا سمعَ ابنًا له يقولُ: (اللهمَّ إني أسألُك الجنةَ وغُرفَها وكذا وكذا، وأعوذُ بك من النَّار وأغلالِها وسلاسِلها)؛ فقال سعد رضي الله عنه: لقد سألتَ الله خيرًا كثيرًا وتعوذت من شرٍّ كثير، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

(١) تفرَّد به سيفُ الشامي عن خالد بن مَعدان، وقال النسائي: «سيفٌ لا أعرفُهُ»، فمثلُهُ لا يُحتَملُ تفرُّده، والله أعلم.

«**سيكونُ قومٌ يعتدُون في الدعاءِ**»، وبحَسْبك أن تقولَ: (اللهم إني أسألُك من الخَير كلِّه، ما علمتُ منه وما لم أعْلَم، وأعوذُ بك من الشرِّ كلِّه، ما علمتُ منه وما لم أعْلَم)».

وفي «مُسندِ الإمام أحمد» و«سنن النسائي» عن ابن عباس قال: «كان من دعاءِ النبيِّ ﷺ: (**ربِّ أعنِّي ولا تُعِن عليَّ، وانصُرْني ولا تَنصُر عَليَّ، وامكُرْ لي ولا تَمكُرْ عليَّ، وانصُرْني على من بغَى عليَّ، ربِّ اجعلني لكَ شكَّارًا، لكَ ذكَّارًا، لكَ رهَّابًا، لكَ مُخبِتًا، إليكَ أوَّاهًا مُنيبًا، ربِّ تقبَّل تَوبتي، واغسِل حَوبتي، وأَجِبْ دَعوَتي، وثبِّت حُجَّتي، واهْدِ قلبي، وسدِّد لساني، واسْلُل سَخِيمَة صدري**)»، هذا حديثٌ صحيح .

وفي «الصحيحين» مِن حديثِ أنس بن مالك قال: «كنتُ أَخدمُ النبي ﷺ فكنتُ أسمعُه يكثرُ أن يقولَ: (**اللهم إني أعوذُ بك من الهمِّ والحَزَن، والعَجز والكَسل، والبُخل والجُبن، وضَلَع الدَّيْن، وغَلَبة الرِّجال**).

وفي «صحيح مسلم» عن زيد بن أَرقم رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه كان يقولُ: «**اللهمَّ إني أعوذُ بك من العَجز والكَسَل، والجُبن والبُخل، والهَرَم، وعَذاب القبر، اللهمَّ آتِ نفسي تقْواها، وزكِّها أنتَ خيرَ مَن زكَّاها، أنتَ وليُّها ومَولاها، اللهمَّ إني أعوذُ بك من قلب لا يَخشع، ونفْسٍ لا تَشبع، وعِلم لا يَنفع، ودعوةٍ لا يُستجابُ لها**».

وفي «الصحيحين» عن عائشةَ رضي الله عنها: «أن رسولَ الله ﷺ كان يدعو في صلاته: (**اللهمَّ إني أعوذُ بك من عذاب القبر، وأعوذُ بك من فتنةِ المَسيح الدَّجال، وأعوذُ بك من فتنةِ المَحيا والمماتِ، اللهمَّ إني أعوذُ بك مِن المَأْثم والمَغْرم**)، فقال له قائلٌ: ما أكثر ما تستعيذُ من المَغْرم؟ قال: (**إن الرَّجلَ إذا غَرِمَ حدَّثَ فكَذِبَ، ووَعَدَ فأَخلَف**)».

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان من دعاءِ النبي ﷺ: (**اللهم إني أعوذ بك من زَوال نِعمَتك، وتَحوُّل عافيتك، ومِن فُجاءَة نِقْمتك، ومن جميع سخطك**)».

وفي «الترمذي» عن عائشةَ قالت: قُلتُ: «يا رسول الله، إن وافقتُ ليلة القَدر ما أسألُ؟ قال: **قُولي**: (**اللهمَّ إنكَ عفُوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي**)»، قال الترمذي: حديث صحيح.

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أبي بكر الصِّديق عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بالصدِّق فإنه معَ البِر، وهُما في الجنةِ، وإيَّاكم والكَذب فإنه مع الفُجور، وهُما في النَّار، وسَلُوا الله المُعافاةَ، فإنه لم يؤتَ رجلٌ بعد اليَقين خيرًا من المُعافاةِ**».

وفي «صحيح الحاكم» عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**ما سُئل الله عَزَّوَجَلَّ شيئًا أحبَّ إليه من أن يُسأل العافية**»[1].

وذَكرَ الفِريابيُّ في «كتاب الذِّكر» من حديثِ أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: أيُّ الدُّعاءِ أفضل؟ قال: «**تسألُ الله العفوَ والعافيةَ، فإذا أُعطِيتَ ذلك فقد أفلَحْت**».

وفي «الدَّعواتِ» للبيهقِي عن مُعاذ بن جبل قال: «مرَّ رسول الله ﷺ برجُل يقول: (اللهم إني أسألك الصبر)، قال: (**سألتَ الله البلاءَ، فسَل العافيةَ**)، ومرَّ برجُل يقولُ: (اللهمَّ إني أسألك تمامَ النِّعمةِ)، فقال: (**وما تمام النِّعمةِ؟**) قال: سألتُ وأنا أرجُو الخيرَ، قال له: (**تمامُ النِّعمةِ: الفوزُ مِن النَّار، ودخولُ الجنة**)[2].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي مالكٍ الأشجعي عن أبيه رضي الله عنه قال: «كان رسولُ الله ﷺ يعلِّمُ مَن أسلمَ أن يقولَ: (**اللهمَّ اهْدِني، وارْزُقني، وعافِني، وارحَمني**)».

وفي «المُسند» عن بُسْر بن أرْطاة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**اللهمَّ أحسِن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأَجِرنا من خِزي الدُّنيا، وعَذاب الآخرةِ**».

وفي «المُسند» و«صحيح الحاكم» عن ربيعةَ بن عامر: عن النبي ﷺ: «**ألِظُّوا بـ:(يا ذا الجَلال والإكرام)**»، أي: الزَمُوها، وداوِمُوا عليها.

وفي «صحيح الحاكم» أيضًا عن أبي هريرة: «أن رسولَ الله ﷺ قال: « **أتحبُّون أيها الناس أن تجتهدوا في الدَّعاء؟** قالوا: نعم، يا رسول الله قال: (**اللهمَّ أعنَّا على ذكرك،**

---

(١) قال الترمذيُّ في «الجامع» (٣٥٤٨): «هذا حديث غريب، لا نعرفُهُ إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو المكي المليكي، **وهو ضعيف في الحديث**...».

(٢) تفرَّد به أبو الوَرد بن ثُمامة، وهو مجهول الحال. انظر: «السلسلة الضعيفة» للألباني (٣٤١٦).

وشُكرك، وحُسْن عبادتِك)».

وفي «الترمذي» وغيره أن النبيَّ ﷺ أوصَى معاذًا أن يقولَها في دُبر كلِّ صلاةٍ.

وفي «صحيحه» أيضًا عن أنس قال: «كنا مع النبي ﷺ في حَلْقةٍ، ورجُلٌ قائم يُصلِّي، فلما رَكعَ وسَجدَ تشهَّدَ ودَعا، فقال في دُعائه: (اللهمَّ إني أسألُك بأنَّ لكَ الحمدَ، لا إله إلا أنتَ بَديع السمواتِ والأرض، يا ذا الجَلال والإكْرام، يا حيُّ يا قيُّوم)، فقال النبي ﷺ: **(لقد سَألتَ باسمِه الأعظم، الذي إذا دُعِي به أجابَ، وإذا سُئل به أعطى)**.

وفي «المُسند» و«صحيح الحاكم» أيضًا عن شدَّاد بن أوْس ﷺ قال: قال لي رسول الله «**يا شدَّاد، إذا رأيتَ الناس يَكْنِزُون الذهبَ والفضةَ، فاكْنِز هؤلاءِ الكلماتِ: (اللهمَّ إني أسألك الثَّباتَ في الأمر، والعزيمةَ على الرُّشدِ، وأسألك شُكرَ نِعمتك، وحُسْن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك مِن خَير ما تَعلم، وأعوذُ بك من شرِّ ما تَعلم، وأستغفرُك لما تَعلم، إنَّك أنتَ علَّام الغُيوب)**»».

وفي «التِّرمذي» أنَّ حُصين بن المُنذر الخُزاعِي ﷺ قال له النبي ﷺ: «**كم تعبدُ إلهًا؟** قال: سَبعة: ستَّة في الأرض، وواحدًا في السماءِ، قال: **فمَن تَعُدُّ لرَغبَتِك ورهبتك؟**، قال: الذي في السماءِ، قال: **أما لو أسلَمْتَ لعلَّمتُك كلمتَين تَنفعانِك**، فلمَّا أسلمَ، قال: يا رسول الله، علِّمني الكلمتَين، قال: **قل: (اللهمَّ ألهِمْني رُشدِي، وقِني شرَّ نفسِي)**»، حديث صحيح.

وزادَ الحاكِمُ في «صحيحِه»: «**اللهمَّ قنِي شرَّ نفسِي، واعْزم لي علَى أرشَد أمْري، اللهم اغفِر لي ما أسررتُ، وما أعلنتُ، وما أخطأتُ، وما تعمَّدتُ، ما علمتُ، وما جهلتُ**»، وإسنادُه على شرطِ الصَّحيحين.

وفي «صحيح الحاكم» عن عائشةَ قالت: «دخلَ عليَّ أبو بكر ﷺ فقال: هل سمعتِ من رسولِ الله ﷺ دعاءً علَّمَنيه؟ قلتُ: ما هو؟ قال: كان عيسى بن مريم ﷺ يُعَلِّمُه أصحابه قال: **لو كان على أحدِكُم جبلُ ذهب دَيْنًا، فدَعا الله بذلك لقَضاه الله عنه: (اللهمَّ فارجَ الهمِّ، كاشِفَ الغمِّ، مُجيبَ دعوة المُضْطرِّين، رَحْمن الدنيا والآخرةِ ورَحيمهُما،**

أنتَ تَرحَمُني، فارحمني رحمةً تُغْنِيني بها عن رحمةِ مَن سِواك)»[1].

وفي «صحيحه» أيضًا عن أم سلمةَ عن النبي ﷺ: هذا ما سألَ محمَّدٌ ربه: «**اللهمَّ إني أسألك خيرَ المسألةِ، وخيرَ الدُّعاءِ، وخير النَّجاح، وخيرَ العمل، وخيرَ الثواب، وخيرَ الحياةِ، وخيرَ المَماتِ، وثَبِّتني، وثقِّل مَوازيني، وحقِّق إيماني، وارفع درجتي، وتقبَّل صَلاتي، واغفر خَطِيئتي، وأسألك الدَّرجات العُلى من الجنةِ، آمين.**

اللهم إني أسألكَ فَواتِح الخَير، وخَواتمَه وجَوامعَه، وأولَّه وآخرَه، وظاهِرَه وباطنَه، والدَّرجاتِ العُلى من الجنةِ، آمين.

اللهم إني أسألك خيرَ ما آتي، وخير ما أفعلُ، وخيرَ ما بطنَ، وخير ما ظهرَ، والدَّرجاتِ العُلى من الجنةِ، آمين.

اللهمَّ إني أسألك أن ترفعَ ذِكري، وتَضعَ وزْري، وتُصلحَ أمري، وتُطَهِّرَ قلبي، وتُحصِّنَ فرجي، وتُنوِّرَ لي قلبي، وتغفرَ لي ذنبي، وأسألك الدَّرجاتِ العُلى من الجنةِ آمين.

اللهم إني أسألك أن تُبارِكَ لي في نفسِي، وفي سمعِي، وفي بصري، وفي روحِي، وفي خَلقِي، وفي خُلقي، وفي أهلي، وفي مَحياي، وفي مماتي، وفي عَملي وتقبَّل حسناتي، وأسألك الدَّرجاتِ العُلى من الجنةِ، آمين».

وفي «صحيحه» أيضًا من حديثِ مُعاذ قال: «أبطأَ عنَّا رسولُ الله ﷺ بصلاةِ الفَجر، حتى كادت أن تُدركَنا الشمسُ، ثمَّ خرجَ، فصلَّى بنا فخففَّ في صلاتِه، ثم انصرفَ فأقبلَ علينا بوجهه، فقال: **على مكانِكُم، أُخبركم ما أبطأني عنكم اليومَ: إني صلَّيتُ في ليلتي هذه ما شاء الله، ثم ملكَتْني عيني فنمتُ، فرأيتُ ربي تبارك وتعالى، فألهَمني أن قلت: (اللهم إني أسألك الطيباتِ، وفعلَ الخيراتِ، وتركَ المنكراتِ، وحبَّ المساكين، وأن تتوبَ عليَّ وتغفرَ لي وترحمَني، وإذا أردتَ في خلقِك فتنةً فنجِّني إليكَ منها غيرَ مفتُون، اللهم وأسألك حُبَّك، وحُبَّ مَن يُحبُّك، وحبَّ عَمل يُقرِّبني إلى حبِّك)**، ثم أقبلَ علينا رسول الله ﷺ فقال: «**تَعلَّموهُنَّ، وادرسُوهُنَّ، فإنهنَّ حقٌّ**»، ورواه التِّرمذي، والطَّبراني،

---

(١) في إسناده الحكم بن عبد الله الأيلي، متروك الحديث، واتُّهم بالوضع والكذب. انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ٥٧٢).

وابن خزيمة، وغيرهم بألفاظٍ أُخر.

وفي «صحيح الحاكم» أيضًا عن ابن عباس قال: «كان النبي ﷺ يدعُو: «**اللهمَّ قَنِّعْني بما رزَقتني، وبارك لي فيه، واخلُفْ على كلِّ غائبةٍ لي بخَير**».

وفيه: عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان يقولُ: «**اللهم انفَعني بما علَّمتني، وعلِّمني ما ينفَعني، وارزُقني علمًا تَنفَعني به**».

وفيه أيضًا عن عائشةَ: «أن رسولَ الله ﷺ أمرَها أن تدعُوَ بهذا الدعاء: (**اللهمَّ إني أسألك من الخَير كلِّه عاجله وآجله، ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذُ بكَ من الشرِّ كلِّه، عاجله وآجله، ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأسألك الجنةَ، وما قرَّبَ إليها من قَول أو عمل، وأعوذُ بك من النار، وما قرَّبَ إليها من قَول أو عمل، وأسألك من خَير ما سألكَ منه عبدُك ورسولُك محمد ﷺ، وأعوذ بك من شَرِّ ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما قضيتَ لي مِن أَمر أن تجعلَ عاقِبَتَهُ رُشدًا**)».

وفيه: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أوصَى سلمانَ الخَير فقال له: «**إني أريدُ أن أمنحَك كلماتٍ تَسْألُهنَ الرحمن، وتَرغَبُ إليه فيهنَّ، وتدعُو بهنَّ في الليل والنهار، قُل: (اللهم إني أسألك صحةً في إيمان، وإيمانًا في حُسْن خُلق، ونجاحًا يتبعُهُ فَلاح، ورحمةً منك، وعافيةً ومغفرةً منك ورضوانًا)**»[1].

وفيه أيضًا عن أمِّ سلمة عن النبي ﷺ: «أنه كان يدعُو بهؤلاءِ الدَّعواتِ: (**اللهمَّ أنتَ الأوَّل لا شيءَ قبلك، وأنتَ الآخِر لا شيءَ بعدك، أعوذُ بك من شرِّ كلِّ دابَّةٍ ناصيتُها بيدك، وأعوذُ بك من الإثم والكَسل، ومن عذاب القبر، ومن فِتنة الغِنى، ومن فِتنة الفَقر، وأعوذُ بك من المَأثم والمَغْرم، اللهمَّ نقِّ قلبي من الخَطايا، كما نقَّيتَ الثوبَ الأبيض من الدَّنس، اللهم بعِّد بيني وبين خَطيئتي، كما بعَّدتَ بين المشرقِ والمَغرب**)».

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«صحيح الحاكم» أيضًا: عن عمَّار بن ياسر رضي الله عنه: أنه صلَّى صلاةً أوْجزَ فيها، فقيل له في ذلك، فقال: لقد دعوتُ الله فيها بدعواتٍ سمعتهنَّ من

---

(١) في إسناده عبد الله بن الوليد التجيبي، ضعيف الحديث، وفي الإسناد انقطاعٌ أيضًا. انظر: «السلسلة الضعيفة» (٢٩١١).

رسول الله ﷺ: (**اللهمَّ بعلمِك الغَيب، وقُدرتِك على الخَلق، أحيني ما علمتَ الحياةَ خيرًا لي، وتوفَّني ما علمتَ الوفاة خيرًا لي، اللهمَّ وأسألك خشيتَك في الغَيب والشهادةِ، وأسألك كلمةَ الحقِّ في الغَضب والرِّضى، وأسألك القصدَ في الفَقرِ والغِنى، وأسألك نعيمًا لا ينفَد، وأسألك قُرةَ عَين لا تَنقطع، وأسألك الرِّضا بعد القَضاء، وأسألك بردَ العَيش بعد الموتِ، وأسألك لذَّة النَّظر إلى وجهك، وأسألك الشوقَ إلى لقائِك من غَير ضرَّاء مُضِرَّة، ولا فِتنةٍ مُضِلَّة، اللهمَّ زيِّنا بزينةِ الإيمان، واجعلنا هُداةً مُهتدين**)».

وفي «صحيح الحاكم» أيضًا عن ابن مسعودٍ قال: «كان مِن دعاءِ رسول الله ﷺ: (**اللهمَّ إنا نسألك مُوجباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، والسَّلامةَ من كلِّ إثم، والغنيمةَ من كلِّ بـرٍّ، والفوزَ بالجنةِ، والنجاةَ من النار**)»[1].

وفيه أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعُو: «**اللهمَّ احفَظني بالإسلام قائمًا، واحفَظني بالإسلام قاعدًا واحفَظني بالإسلام راقِدًا، ولا تُشمِت بي عدوًّا حاسِدًا، اللهمَّ إني أسألك من كُلِّ خَيرٍ خَزائنُهُ بيدك، وأعوذُ بك من كُلِّ شرٍّ خَزائنه بيدك**»

وعن النَّواس بن سَمعان: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما من قَلب إلا بين إصْبعَين من أصابع الرَّحمن، إن شاءَ أقامَه، وإن شاءَ أزاغَه**»، وكان رسول الله ﷺ يقول: «**يا مُقَلِّبَ القلوب ثبِّت قلبي على دينِك، والميزانُ بيدِ الرَّحمن** عَزَّوَجَلَّ، **يرفعُ أقوامًا، ويخفضُ آخرين إلى يَوم القيامةِ**»، حديثٌ صحيحٌ، رواه الإمام أحمد، والحاكم في «صحيحه».

وفي «صحيح الحاكم» أيضًا عن ابن عمر: «أنه لم يكن يَجلسُ مجلسًا - كان عنده أحد أو لم يكن - إلا قال: (**اللهم اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أسرفتُ، وما أنتَ أعلمُ به منِّي، اللهم ارزقْني من طاعتِك ما تَحُولُ به بيني وبينَ مَعصِيتِك، وارزقني من خَشيتِك ما تُبلِّغني به رحمتَك، وارزقني من اليَقين ما تهوِّنُ به عليَّ مصائبَ الدنيا، وبارك لي في سَمعي وبَصري، واجْعلهما الوارثَ منِّي، اللهمَّ اجعل**

(١) في إسناده حُميد الأعرج الكوفي وهو متروك الحديث كما قال الذهبيُّ في تلخيصه للمستدرك (١/ ٥٣٤).

ثَأري على مَن ظَلمني، وانصُرني على مَن عاداني، ولا تجعل الدنيا أكبرَ همِّي، ولا مبلغَ عِلمي، اللهمَّ لا تُسلِّط عليَّ مَن لا يَرحمُني)، فسُئِل عنهنَّ ابن عمر فقال: (كان رسولُ الله ﷺ يختمُ بهنَّ مجلسه)».

والحمدُ لله ربِّ العالمين، حمدًا طيِّبًا مُباركًا فيه، كما يُحِبُّ ربنا ويَرضَى، وكما يَنبغي لكَرم وجهِهِ وعزِّ جلاله، مِلء سَماواتِه، ومِلء أرضِه، ومِلء ما بينهما، ومِلء ما شاءَ مِن شَيء بعدُ، حمدًا لا ينقطِعُ ولا يَبيدُ ولا يفنَى، عددَ ما حمِدَه الحامِدون، وعددَ ما غَفل عن ذِكره الغافِلونَ، وصلَّى الله على خاتَم أنبيائِه ورسُلِه ،وخِيرَته من بَرِيَّته، وأَمِينِهِ على وَحْيه، وسَفِيرِهِ بينه وبين عِباده، فاتِح أبواب الهُدى، ومُخرج الناس من الظُّلماتِ إلى النُّور، بإذنِ ربهم إلى صراطِ العَزيز الحميدِ، الذي بعثهُ للإيمان مُناديًا، وإلى الصِّراطِ المُستقيم هاديًا، وإلى جناتِ النَّعيم داعِيًا، وبكلِّ معروفٍ آمِرًا، وعن كلِّ مُنكر ناهيًا، فأحْيا به القلوب بعد مَماتِها، وأَنارَها به بعد ظُلماتِها، وأَلَّف بينها بعد شتاتِها، فدعا إلى الله عَزَّوَجَلَّ على بَصيرةٍ من ربه بالحكمةِ والمَوعظةِ الحسنةِ، وجاهدَ في الله تعالى حقَّ جهادِه، حتَّى عُبد اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ له، وسارَت دعوتُه سيرةَ الشَّمس في الأقْطار، وبلَغَ دينُهُ الذي ارتضاه لعباده ما بلَغَ اللَّيل والنَّهار، وصلَّى الله عَزَّوَجَلَّ وملائكتُه وجميعُ خلقِه عليه، كما عرَّف بالله تعالى، ودَعا إليه، وسلَّم تَسليمًا.

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المعتني	٥
مقدمة المصنِّف	٧
فصلٌ في أن استقامةَ القلب تحصلُ بشيئين	١٠
فصلٌ في علامات تعظيم الأوامر المناهي	١٦
فصلٌ في أنَّ القلوب ثلاثة	٢٩
فصلٌ في بيان فضل الصيام	٣١
فصلٌ في بيان فضل الصَّدقة	٣٧
فصلٌ في بيان فضل الذِّكر والذاكرين	٤٣
تعدادُ فوائد الذِّكر، وذكر ﷺ ثلاثةً وسبعين فائدة للذِّكر	٤٨-٩٤
ذكر فصولٍ متعلِّقة بفقه الأذكار	١٠١
بيان أن الذكر على نوعين	١٠١
بيان أن الذِّكر أفضل من الدعاء	١٠٣
بيان أن قراءة القرآن أفضل من الذكر	١٠٥
أذكار طرفي النهار	١٠٧
أذكار النوم	١١٠
أذكار الانتباه من النوم	١١٣
أذكار الفزع في النوم والقلق	١١٣
أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبُّها	١١٤
أذكار دخول المنزل والخروج منه	١١٥
أذكار دخول المسجد والخروج منه	١١٦

الموضوع	الصفحة
أذكار الأذان	١١٦
أذكار استفتاح الصلاة	١١٨
أذكار الركوع والسجود والجلسة بين السجدتين	١٢٠
أدعية الصلاة بعد التشهُّد	١٢١
أذكار بعد السلام من الصلاة	١٢٢
صيغُ تشهُّد الصلاة	١٢٤
صيغ الصلاة على النبي ﷺ	١٢٥
دعاء الاستخارة	١٢٦
أذكار الكرب والغم والحزن والهم	١٢٦
الأذكار الجالبة للرزق والدافعة للضيق والأذى	١٢٨
الأذكار التي تطرد الشيطان	١٢٩
في الذِّكر الذي تُحفظُ به النِّعم	١٣٠
في الذِّكر عند المصيبة	١٣٠
في الذكر الذي يُدفعُ به الدَّيْن	١٣١
أذكار الرقية من اللسعة واللدغة	١٣١
أذكار دخول المقابر	١٣٢
أذكار الاستسقاء	١٣٢
أذكار الرِّيح إذا هاجت	١٣٣
أذكار سماع الرعد وأذكار نزول الغيث	١٣٤
الدعاء عند زيادة المطر والخوف منها	١٣٥
الذِّكر عند رؤية الهلال	١٣٥
أذكار الصائم وعند فطره	١٣٥

الموضوع	الصفحة
أذكار السَّفر	١٣٦
أذكار ركوب الدَّابة	١٣٧
أذكار الرجوع من السَّفر	١٣٨
في الذكر عند انفلات الدابة أو استصعباها	١٣٨
الذكر عند دخول القرية أو البلدة	١٣٨
أذكار نزول المنزل	١٣٩
أذكار الطعام والشراب	١٣٩
ذكر الضيف إذا نزل بقومٍ	١٤٠
في السَّلام والردِّ عليه	١٤١
في الذِّكر عند العطاس	١٤٢
أذكار النكاح والتهنئة به والدخول بالزوجة	١٤٢
الذِّكر عند الولادة، والذكر المتعلق بالولد	١٤٣
الذِّكر عند صياح الديكة والنهيق والنباح	١٤٤
الذِّكر عند الحريق	١٤٤
كفَّارة المجلس	١٤٥
ما يُقال ويُفعل عند الغضب	١٤٥
الذِّكر عند رؤية أهل البلاء	١٤٦
الذكر عند دخول السوق	١٤٦
في الرجل إذا خَدِرَت رجلُهُ	١٤٦
في الدابة إذا عَثَرت	١٤٧
ما يقوله من أَهدى هدية ودُعي له	١٤٧
ما يُقال فيمَن أُميطَ عنه الأذى	١٤٧

الموضوع	الصفحة
ما يقال عند رؤية باكورة الثّمرة	١٤٨
ما يقال عند الإعجاب بالشيء	١٤٨
في الفأل والطِّيَرة	١٤٨
في الذِّكر عند دخول الخلاء والخروج منه	١٤٩
أذكار الوضوء	١٥٠
أذكار صلاة الجنازة	١٥١
ماذا يقول من جَرى على لسانه ما يُسخط ربه عَزَّوَجَلَّ	١٥٢
ما يقول من اغتاب أخاه المسلم	١٥٣
أذكار كسوف الشمس وخسوف القمر	١٥٣
ماذا يقول من ضاع منه شيءٌ	١٥٤
فضل عقد التسبيح بالأصابع	١٥٤
بيان أحب الكلام إلى الله بعد القرآن	١٥٥
في الذِّكر المُضاعف	١٥٥
ماذا يقول مَن حصل له وحشةٌ	١٥٦
أذكار لبس الثوب الجديد	١٥٦
فيما يقال عند رؤية الفجر	١٥٦
التسليم للقضاء والقدر بعد بذل الأسباب	١٥٦
جوامع من أدعية النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعوُّذاته	١٥٧